تذكير الأباة بأسباب النجاة

سعيد مصطفى دياب



.

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، رضي من عباده بالقليل من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، دعا خلقه إلى دار السلام؛ فعمهم بالدعوة حكمة منه وعدلا، واختص من شاء بالهداية والتوفيق نعمة منه وفضلا ، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف لها الغمة ، وجاهد في الله حق جهاده، فهَدَى الله تعالى به من الضلالة وعلَّم به من الجهالة وبَصَّرَ به من العمى، وفتح الله به أعينًا عميًا وآذانًا صمًا وقلوبًا غلفًا، فجزاه الله عنا خير ما جزى به نبيًا عن أمته، ورسولًا عن دعوته.

وبعد فهذا شرح لطيف لحديث عظيم من أحاديث نبينا الكريم ﷺ وهذا الحديث وصية من وصاياه لأحد أصحابه الكرام ﷺ وهو عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ». وكان شرح هذا الحديث عبارة عن دروس ألقيتها في بعض مساجد الدوحة، ثم عنَّ لي أن أجمع هذه الدروس؛ ليعم بها النفع، وتكتمل بها الفائدة، فأسأل الله الكريم أن يجعل عملي لوجهه خالصًا، وأن ينفع بها كاتبها وقارئها، أنه خير مسئول وأكرم مأمول، وما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، والحمد لله أولًا و آخرًا وصلى الله على بنيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

سعيد مصطفى محمد دياب

الدوحة في: ٢٥ من ذي الحجة/ ١٤٣١هـ

٢٠١٠/١٢/١م



مِنْ أَســــــبَابُ النَّجَاةِ

(حِفْظُ اللِّسَانِ)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ».[1]

ترجمة عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ:

هُوَ الإِمَامُ، المُقْرِئُ، أَبُو حَمَّاد، عُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَبْسٍ بْن عَمْرو بْن عدي بْن عَمْرو بْن رفاعة بْن مودوعة بْن عدي بْن غنم بْن الربعة بْن رشدان بْن قيس بْن جهينة الْجُهَنِيُّ، المِصْرِيُّ، صَاحِبُ النَّبِيِّ ﷺ.

قَالَ: بَلَغَنِي قَدُومُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي غُنَيْمَةٍ لِي، فَرَفَضْتُهَا، ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ أُبَايِعُكَ، فَقَالَ: «بَيْعَةً عَرَبِيَّةً تُرِيدُ أَوْ بَيْعَةَ هِجْرَةٍ؟» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ ، وَأَقَمْتُ ، فَقَالَ يَوْمًا: «مَنْ كَانَ هُنَا مِنْ مَعْدٍ فَلْيَقُمْ» ، فَقَامَ رِجَالٌ ، وَقُمْتُ مَعَهُمْ، فَقَالَ لِي: «اجْلِسْ» . قَالَ: فَفَعَلَ ذَاكَ بِي مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْنَا مِنْ مَعْدٍ؟، قَالَ: «لَا» ، قُلْتُ: مِمَّنْ نَحْنُ؟، قَالَ: «أَنْتُمْ مِنْ قُضَاعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِمْيَرَ».[2]

كَانَ عَالِماً، مُقْرِئاً، فَصِيْحاً، فَقِيْهاً، فَرَضِيّاً، شَاعِراً، كَبِيْرَ الشَّأْنِ.

كَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتاً بِالقُرْآنِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: اعْرِضْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ، فَبَكَى عُمَرُ.

وَكَانَ عُقْبَةُ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ، فعَنْه ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».[3]

وَكَانَ عُقْبَةُ ﷺ مِنَ الرُّمَاةِ المَذْكُوْرِيْنَ.

حَدَّثَ عَنْهُ: أَبُو الخَيْرِ مَرْثَدٌ اليَزَنِيُّ، وَجُبَيْرُ بنُ نُفَيْرٍ، وَسَعِيْدُ بنُ المُسَيِّبِ، وَأَبُو إِدْرِيْسَ الخَوْلاَنِيُّ، وَعُلَيُّ بنُ رَبَاحٍ، وَأَبُو عِمْرَانَ أَسْلَمُ التُّجِيْبِيُّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ شُمَاسَةَ، وَمِشْرَحُ بنُ هَاعَانَ، وَأَبُو عُشَّانَةَ حَيُّ بنُ يُؤْمِنَ، وَأَبُو قَبِيْلٍ المَعَافِرِيُّ، وَسَعِيْدٌ المَقْبُرِيُّ، وَبَعْجَةُ الجُهَنِيُّ، وَخَلْقٌ سِوَاهُمْ.

وَهُوَ كَانَ البَرِيْدَ إِلَى عُمَرَ بِفَتْحِ دِمَشْقَ.

---

١ – رواه أحمد– حديث: ٢١٦٧٥، والترمذي– أبواب الزهد عن رسول الله ﷺ– باب ما جاء في حفظ اللسان، حديث: ٢٣٨٨، بسند صحيح

٢ – رواه الطبراني في الكبير– حديث رقم: ٨٣٩، والأوسط– حديث رقم: ٣٤٥

٣ – رواه مسلم– كتاب صلاة المسافرين وقصرها– بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ وَتَعَلُّمِهِ، حديث رقم: ١٣٧٧



.

وَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَدَبَ أَبُو بَكْرٍ النَّاسَ إِلَى الشَّامِ خَرَجَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَشَهِدَ فُتُوحَ الشَّامِ وَمِصْرَ، وَشَهِدَ مَعَ مُعَاوِيَةَ صِفِّينَ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى مِصْرَ، فَنَزَلَهَا، وَابْتَنَى بِهَا دَارًا، وَتُوُفِّيَ بِهَا فِي آخِرِ خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَدُفِنَ بِالْمُقَطَّمِ مَقْبَرَةِ أَهْلِ مِصْرَ.

وَعَنْ عُقْبَةَ، قَالَ: بَايَعْتُ رَسُوْلَ اللهِ عَلَى الهِجْرَةِ، وَأَقَمْتُ مَعَهُ.

وَكَانَ مِنْ رُفَعَاءِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ، وَوَلِيَ إِمْرَةَ مِصْرَ، وَكَانَ يَخْضِبُ بِالسَّوَادِ.

وَكَانَ يَنْشُدُ فِي ذَلِكَ:

أُسَوِّدُ أَعْلَاهَا وَتَأْبَى أُصُولُهَا = وَلَا خَيْرَ فِي الْأَعْلَى إِذَا فَسَدَ الْأَصْلُ

وَجملَة مَا روى عَن رَسُول الله: خَمْسَةٌ وَخَمْسُوْنَ حَدِيْثاً، لَهُ مِنْهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ سَبْعَة عشر.

وفاته:

مَاتَ رضي الله عنه: سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِيْنَ.[1]

---

١ – أنظر ترجمته في سير أعلام النبلاء – (٢/ ٤٦٩)، وأسد الغابة – (٣/ ٥٥١)،



.

سؤال ينبغي على كل عاقل أن يسأله، ما النجاة ؟ كيف أنجو غداً بين يدي الله تعالى؟

إنَّ طلب النجاة هو ما أقض مضاجع الصالحين، وأقلق قلوب العابدين، ولهجت به ألسنة الذاكرين، فيارب نسألك النجاة في الدنيا والآخرة.

أولى فوائد هذا الحديث العظيم حرص أصحاب النبي ﷺ على طلب النجاة خصوصًا، وعلى تحصيل الخير عمومًا، نعم كان أصحابُ النَّبيِّ ﷺ أحرصَ الناس على الخير، وأسرع الناس في تحصيله،كانوا يسألون النَّبيِّ ﷺ على سبله وطرق تحصيله فهذا عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود ﷺ يقول:سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ قَالَ:« الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ أَيٌّ قَالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ حَدَّثَنِي بِهِنَّ وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي».[1]

وهذا سائل يسأل النَّبيَّ ﷺ:« أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ».[2]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ قَالَ:«تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا فَلَمَّا وَلَّى قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا».[3]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنْ النَّارِ قَالَ:«لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ....».[4]

بل كان أصحابُ النَّبيِّ ﷺ يسألونه عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يقعوا فيه فعن حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ:«نَعَمْ» قُلْتُ وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ قَالَ« نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ » قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ قَالَ:«قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ قَالَ:«نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ قَالَ تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ »

---

١ – رواه البخاري- كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها- حديث: ٥١٣ ، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال – حديث: ١٤٧

٢ – رواه مسلم- كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره- حديث:١٣٤٣ عن عائشة ﷺ

٣ – رواه البخاري- كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة – حديث:١٣٤٤، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة، حديث: ٤١

٤ – رواه أحمد- حديث:٢١٤٧٢ ، والترمذي كتاب الإيمان، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث: ٢٦٠٤، وابن ماجة- كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة- حديث: ٣٩٧١



قُلْتُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ».[1]

وهذا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ ﷺ يسأل النَّبِيَّ عن النجاة ويخبره النبي ﷺ عن ثلاثة من سبل النجاة أولها حفظ اللسان وقد يقول قائل هل اللسان على هذه الدرجة من الخطورة حتى يجعله النبي ﷺ أول أسباب النجاة ؟ نقول نعم فاللسان أخطر أعضاء ابن آدم، و لم لا وهو إما أن يكون سببًا في نجاة العبد وسعادته سعادة لا شقاء بعدها وإما أن يكون سببًا في شقاء العبد شقاءً لا سعادة بعده أبدًا ، لذا حذر النبي ﷺ أصحابه منه، فهذا معاذ بن جبل ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ رَأْسُ الْأَمْرِ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ فَقُلْتُ لَهُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».[2]

فاللسان سلاح ذو حدين إذا حفظه صاحبه كان من أعظم أسباب النجاة ومن أسباب دخول الجنة، ومن أطلق له العنان يرتع به فيما حرم الله كان من أعظم أسباب دخول النار.

حفظ اللسان من أعظم أسباب النجاة :

فمن حفظ لسانه وكبح جماحه، وحفظ فرجه فقد ضمن له النبي ﷺ الْجَنَّةَ ودليل ذلك ما ورد عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ».[3]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ اطَّلَعَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ وَهُوَ يَمُدُّ لِسَانَهُ فَقَالَ:مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا أَوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ، إلا وَهُوَ يَشْكُو ذَرَبَ اللِّسَانِ».[4]

ومعنى ذرب اللسان: حدته وشره وفحشه، وإذا كان الصديق ﷺ يقول هذا ويفعل هذا بلسانه فما بالنا نحن. وهذا عبد الله بن مسعود ﷺ يقول والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان.

---

١ – رواه البخاري– كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام– حديث: ٣٤٣٠ رواه مسلم– كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر– حديث: ٣٥٢٣

٢ – رواه أحمد– حديث: ٢١٤٧٤، والترمذي، كتاب الإيمان، أبواب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في حرمة الصلاة حديث: ٢٦٠٧، وابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ رقم: ٣٩٧٢، والحاكم في المستدرك، كتاب التفسير، تَفْسِيرُ سُورَةِ السَّجْدَةِ– رقم: ٣٥٤٨ تفسير سورة السجدة ،حديث: ٣٤٨٣، والنسائي– كتاب قصر الصلاة في السفر، سورة السجدة قوله تعالى: تتجافى جنوبهم عن المضاجع، رقم: ١٠٩٥٢، وابن ماجة– كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة – حديث:٣٩٧١، بسند صحيح

٣ – رواه البخاري– كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان– حديث: ٦١١٩

٤ – رواه أبو يعلى– حديث:٥، والبيهقي في الشعب، فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٢٦



.

وصدق والله القائل:

واحفظْ لسانكَ واحترزْ من لفظِهِ ***** فالمرءُ يسلمُ باللسانِ ويعطبُ

وزنِ الكلامَ إذا نطقتَ ولا تكنْ ***** ثرثارةً في كلِ نادٍ تخطبُ

حِفْظُ اللِّسَانِ وصية النبي ﷺ لأصحابه:

كما أوصى النبي ﷺ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه أوصى غيره من أصحابه رضي الله عنهم .

فعن أَسْوَدَ بنِ أَصْرَمَ الْمُحَارِبِيُّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: تَمْلِكُ يَدَكَ؟ قُلْتُ: فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ يَدِي؟ قَالَ: تَمْلِكُ لِسَانَكَ؟ قَالَ: فَمَاذَا أَمْلِكُ إِذَا لَمْ أَمْلِكْ لِسَانِي؟ قَالَ: لا تَبْسُطْ يَدَكَ إِلا إِلَى خَيْرٍ، وَلا تَقُلْ بِلِسَانِكَ إِلا مَعْرُوفًا.[١]

وقال لمعاذٍ رضي الله عنه:«أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ فَقُلْتُ لَهُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ فَقَالَ كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا».[٢]

وقال الصاحب بن عباد:

حِفْظُ اللِّسَانِ رَاحَةُ الإِنْسَانِ ***** فَاحْفَظْهُ حِفْظَ الشُّكْرِ لِلإِحْسَانِ

وقال طاوس: لساني سبع إن أرسلته أكلني.

وقال وهب بن منبه: في حكمة آل داود:(حق على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه حافظًا للسانه مقبلًا على شأنه).

وقال الحسن: ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه.

وقال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

وقيل: الصمت يجمع للرجل فضيلتين السلامة في دينه والفهم عن صاحبه.

وقال يونس بن عبيد: لَيْسَ خَلَّةٌ مِنْ خِلالِ الخَيْرِ تَكُونُ في الرَّجُلِ هِيَ أَحْرَى أَنْ تَكُونَ جَامِعةً لأنْواعِ الخَيْرِ كُلِّها فِيه مِنْ حِفْظِ اللِّسَانِ.

وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار: يا أبا يحيى حفظ اللسان أشد على الناس من حفظ الدينار والدرهم.

وقال يونس بن عبيد: ما من الناس أحد يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك في سائر عمله.

---

١ – رواه الطبراني في الكبير– حديث:٨١٧، والبيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧١٣

٢ – رواه أحمد– حديث: ٢١٤٧٤، والترمذي– كتاب الذبائح – باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث:٢٦٠٧ والنسائي،كتاب قصر الصلاة في السفر، سورة السجدة– قوله تعالى : تتجافى جنوبهم عن المضاجع، حديث: ١٠٩٥٢، ابن ماجه – كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة– حديث: ٣٩٧١ وصححه الألباني

.

وعن يحي بن سعيد أن عيسى ابن مريم ﷺ لقي خنزيرًا في طريق فقال له: أنفذ بسلام فقيل له: تقول هذا لخنزيرٍ! فقال عيسى ابن مريم ﷺ: إني أخاف أن أعود لساني المنطق السوء.[1]

وعن سفيان قال: قالوا لعيسى بن مريم ﷺ : دلنا على عمل ندخل به الجنة؟ قال: لا تنطقوا أبدا قالوا: لا نستطيع ذلك ! قال: فلا تنطقوا إلا بخير.

صاحب اللسان البذيء من أبغض الناس لقلب النَّبيِّ ﷺ ومن أبعدهم عن مجلسه:

فإذا كان اللسان معوجًا،كثيرَ الزلل، شأنه الخطأ، ودأبه الخطل، كان صاحبه من أبغض الناس عند النَّبيِّ ﷺ وكفى بذلك خزيًا، وكفى بصاحبه خيبةً و خسرانًا.

فعَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ قَالَ:«الْمُتَكَبِّرُونَ».[2]

استقامةُ اللسان استقامةٌ للجوارح:

وأول دلائل الاستقامة وأعظم مظاهرها وأبهى صورها؛ استقامة اللسان و لم لا؟ واستقامته استقامة للجوارح فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ فَتَقُولُ اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا».[3]

فإن قيل فكيف نجمع بين هذا الحديث وما ورد عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ أنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: «إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ».[4]

---

١ – رواه مالك كتاب الكلام باب ما يكره من الكلام– حديث: ١٧٩٤، ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت– باب ما أمر به الناس أن يستعملوا فيه أنفسهم من القول، حديث: ٣٠٥

٢ – رواه أحمد حديث: ١٧٤١٧، والترمذي كتاب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في معالي الأخلاق حديث: ١٩٩١ بسند صحيح

٣ – رواه الترمذي– كتاب الزهد باب حفظ اللسان، حديث: ٢٣٨٩، ورواه البيهقي– في الشعب، فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٢٥ بسند حسن

٤ – رواه البخاري– كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه– حديث:٥٢، ورواه مسلم– كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات– حديث: ٣٠٨١

قلت: لا تعارض بين الحديثين؛ فإن القلب هو ملك الجوارح واللسان رسوله وترجمانه، وبكلامه يستدل على ما في القلب من خير وشر، وإيمان وكفر، وكما قيل المرء مخبوء تحت لسانه.

قال الطيبي: وهذا لا تناقض بينه وبين خبر: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ... ». إلى آخره لأن اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن فإذا أسند إليه الأمر فهو مجاز في الحكم كقولك سقى الطبيب المريض الدواء قال الميداني: المرء بأصغريه قلبه ولسانه أي تقوم معانيه بهما. قال الشاعر:

لسان الفتى نصف فؤاده ***** فلم يبق إلا صورة اللحم والدم [1]

قال ابن رجب: فأصلُ الاستقامةِ استقامةُ القلب على التوحيد، كما فسر أبو بكر الصِّديق وغيرُه قولَه:{ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}بأنَّهم لم يلتفتوا إلى غيره، فمتى استقام القلبُ على معرفةِ الله، وعلى خشيته، وإجلاله، ومهابته، ومحبته، وإرادته، ورجائه، ودعائه، والتوكُّلِ عليه، والإعراض عما سواه، استقامت الجوارحُ كلُّها على طاعته،فإنَّ القلبَ هو ملكُ الأعضاء، وهي جنودهُ، فإذا استقامَ الملك، استقامت جنودُه ورعاياه، وكذلك فسَّر قوله تعالى:{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً} بإخلاص القصد لله وإرادته وحدَه لا شريكَ له. وأعظم ما يُراعى استقامتُه بعدَ القلبِ مِنَ الجوارح اللسانُ، فإنَّه ترجمانُ القلب والمعبِّرُ عنه، ولهذا لما أمر النَّبيُّ ﷺ بالاستقامة، وصَّاه بعدَ ذلك بحفظ لسانه، وفي "مسند الإمام أحمد" عن أنس ﷺ عن النَّبيِّ ﷺ قال:«لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتَّى يستقيم قلبُه، ولا يستقيمُ قلبُه حتى يستقيمَ لسانُه».[2]

ومعنى تُكَفِّر اللسان تذل وتخضع له من قولهم كفَّر اليهودي إذا خضع وطأطأ رأسه وانحنى لتعظيم صاحبه.

قال الغزالي: المعنى فيه أن نطق اللسان يؤثر في أعضاء الإنسان بالتوفيق والخذلان فاللسان أشد الأعضاء جماحاً وطغياناً وأكثرها فساداً وعدواناً ويؤكد هذا المعنى قول مالك بن دينار ﷺ إذا رأيت قساوة في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم أنك تكلمت فيما لا يعنيك.[3]

---

١ – فيض القدير – ٢٨٦/١

٢ – جامع العلوم والحكم ٢٠٥/١، والحديث رواه أحمد- حديث:١٢٨١٩، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت، باب حفظ اللسان وفضل الصمت حديث:٩ ، والبيهقي في الشعب – باب الدليل على أن التصديق بالقلب، حديث:٨ بسند حسن

٣ – فيض القدير ٢٨٦/١ بتصرف يسير



.

اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة :

اللسان قد يكون من أعظم أسباب دخول الجنة،إذا حفظه صاحبه من السوء،وجعله رطبا من ذكر الله تعالى،فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ».[١]

اللسان سبب حبوط الأعمال :

واللسان من أعظم أسباب حبوط الأعمال إذا تكلم به صاحبه بشيء مما يحبط العمل الصالح ومن ذلك الشرك بالله تعالى والمن بالعطية قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى}.[٢]

ومن ذلك التألي على الله فعَنْ جُنْدَبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلاَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».[٣]

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلاَنِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ خَلِّنِي وَرَبِّى أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.[٤]

وسيأتي لذلك مزيد بيان إن شاء الله عند الحديث عن التألي على الله تعالى.

---

١ – رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان – حديث:٦١١٩

٢ - سورة الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٦٤

٣ – رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى – حديث: ٤٨٦٠

٤ – رواه أحمد حديث: ٨١٠٦، رواه أبو داود كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي– حديث: ٤٢٧٦، وابن حبان كتاب الحظر والإباحة باب ما يكره من الكلام وما لا يكره – حديث: ٥٧٩٠

.

اللسان من أعظم أسباب دخول النار :

وكما أن اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة إذا حفظه صاحبه، فإنه كذلك من أعظم أسباب دخول النار إذا لم يقيده صاحبه بأحكام الشرع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ فَقَالَ «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الْفَمُ وَالْفَرْجُ».[١]

وقد يكون سبب دخول النار كلمة يقولها الإنسان ولا يهتم لها، بل ربما ينساها بعد دقائق، وقد جلبت له شقاء الأبد، وما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، وهذا يبين لنا أهمية الكلمة، ومدى خطر اللسان.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا يَهْوِى بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».[٢]

لذلك كان أخوف ما يخافه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ على المسلم اللسان، ولم لا وهو الذي يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ.

فعَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ قَالَ :« قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ ». قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا».[٣]

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ قَالَ كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ:«لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ عَظِيمٍ وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَحُجُّ الْبَيْتَ». ثُمَّ قَالَ « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَصَلاَةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ». قَالَ ثُمَّ تَلاَ: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ} حَتَّى بَلَغَ {يَعْمَلُونَ} ثُمَّ قَالَ:«أَلاَ أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ». قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلاَمُ وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ». ثُمَّ قَالَ: «أَلاَ

---

١ – رواه أحمد ،حديث: ٧٧٢٣ ، ورواه ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب– حديث: ٤٢٤٤، والبخاري في الأدب المفرد– باب حسن الخلق إذا فقهوا، حديث: ٣٠٤

٢ – رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، حديث: ٦١٢٢، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ، كتاب الزهد والرقائق، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار، حديث : ٥٤١٤

٣ – رواه أحمد، حديث: ١٥١٤٦، والترمذي كتاب الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، حديث: ٢٣٩٢، وابن ماجه، كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة– حديث: ٣٩٧٠

أُخْبِرُكَ بِمَلاَكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ». قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَالَ فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ قَالَ:«كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».[1]

جناية اللسان على صاحبه:

كثير من الناس لا يقدِّرون اللسانَ حق قدره، ولا يدركون مدى خطرهِ، حتى يصيبهم من بأسه، وينالهم من شرره، فيصبح أحدهم عبرة للمعتبرين، وأثرًا في الغابرين، وما جال بخلده طرفةَ عينٍ أن يكون قتيلَ لسانهِ، أو أسيرَ بيانهِ، أو ذليلًا بسبب كلمة خرجت من فمه لم يلق لها بالاً، و لم يعرها التفاتًا، لذا قالوا: (آفَةُ الإِنْسَانِ فِي اللِّسانِ)، وقالوا أيضًا :(اللسانُ أجْرَحُ جَوَارِحِ الإِنْسَانِ) ، وقالوا : (القَوْلُ يَنفذُ ما لا تَنْفُذُ الإِبَرُ).

وقال الشاعر:

وَقَدْ يُرْجَى لِجُرْحِ السَّيْفِ بُرْءٌ ***** وَجُرْحُ الَّدهْرِ مَا جَرَحَ اللّسانُ

وقيل :

جِرَاحَاتُ السِّــنَانِ لَهَا التِئَامٌ ***** وَلا يَلْتَامُ مَا جَــرَحَ الِّلسَــانُ

ويروى :

وَجُــرْحُ السَّيْفِ تَدْمِلُهُ فَيَبْرَا ***** وجُــرْحُ الّدهَرِ مَا جَرَح اللِّسانُ

ومن جناية اللسان على صاحبه ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ لَا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ: قُلْتَ طَهُورٌ كَلَّا بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ أَوْ تَثُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ فَنَعَمْ إِذًا».[2]

وفي رواية: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«نَعَمْ فهو كذلك فمات الرجل».[3]

وصدق رسول الله ﷺ عندما علق البلاء بالمنطق فعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ».[4]

---

١ – رواه أحمد، حديث:٢١٥٢١، والترمذي، كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في حرمة الصلاة، حديث: ٢٦٠٧، وابن ماجه كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة – حديث: ٣٩٧١

٢ – رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام – حديث: ٣٤٤٠

٣ – رواه معمر بن راشد في جامعه – المرض وما يصيب الرجل، حديث: ٩١٩

٤ –رواه البيهقي في شعب الإيمان، فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه حديث: ٤٧٢٧، والشهاب في مسنده، البلاء موكل بالمنطق حديث: ٢١٩



.

ومن جناية اللسان على صاحبه ما حدث ليعقوب بن السكيت، جلس أبو يوسف يعقوب بن السكيت يوماً مع المتوكل، وكان يؤدب أولاده، فجاءه المعتز والمؤيد ولدا المتوكل فقال له: يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فقال: والله إن قنبرًا خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك. فقال المتوكل للأتراك: سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا به ذلك، فمات. ومن العجب أنه كان قبل ذلك بيسير أنشد لولدي المتوكل وهو يعلمهما:

يصاب الفتى من عثرة بلسانه ***** وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته بالقول تذهب رأسه ***** وعثرته بالرجل تبرا على مهل [1]

قال الشافعي:

احفظْ لسانَكَ أيها الإنســـانُ ***** لا يقتـــلنـــكَ إنـــه ثعبـــانُ

كم في المقابر من قتيلِ لسانهِ ***** كانت تخـــافُ لقاءَه الأقرانُ [2]

ومن جناية اللسان على صاحبه ما ثبت عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ »، قَالَ قَتَادَةُ: فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا، أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ».[3]

ومن جناية اللسان على صاحبه ما حكاه أبو بكر الخطيب البغدادي عن صالح بن عبد القُدُّوس الأزدي، وكان يعلن في البصرة مذهبه في الثنوية. ويقال أن أبا الهذيل العلاف المتكلم ناظره فقطعه، ثم قال له: على أي شيء تعزم يا صالح؟ فقال: أستخير الله وأومن بالاثنين. ولما علم بأن ديوان الزنادقة يرصده هرب إلى دمشق؛ فطلبه المهدي وزجَّ به في سجن تلك الفئة الباغية، حتى يحاكَمَ، فقال في سجنه:

---

١ – حياة الحيوان الكبرى – ٢ / ٩٩

٢ – حياة الحيوان الكبرى – ٢ / ٩٩

٣ – رواه البخاري– كتاب أحاديث الأنبياء– بَابُ حَدِيثِ الغَارِ، حديث: ٣٣٠١، ومسلم– كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله– حديث: ٥٠٧٤

.

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ***** فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

قُبِرْنَا و لم ندفن فنحن بمعزلٍ ***** من الناس لا نُخْشَى فنُغْشى ولا نَغْشى

وقيل: إنه صلى صلاة تامة الركوع والسجود؛ فقيل له: ما هذا ومذهبك معروف: قال سُنَّة البلد وعادة الجسد وسلامة الأهل والولد. وأحضر للمحاكمة بحضرة المهدي الخليفة فنوظر فيما اتُّهم به من الزندقة؛ فأظهر التوبة، فقال له المهدي ألست القائل في حفظك ما أنت عليه:

رُبَّ سرٍّ كتمتُه فكأني ***** أخرسٌ أو ثَنَى لسَانِي خَبْلُ

ولو أني أبديتُ للناس علمي ***** لم يكن لي فِي غير حَبْسَى أَكْلُ

قال: فإني أتوب وأرجع، فقال له المهدي: هيهات! ألست القائل:

وَالْشيَخُ لَا يَترُك أخلاقَهُ ***** حَتَى يُوارَى فِي ثَرَى رَمْسِهِ

إِذَا ارْعَوى عادَ إِلى جهلِهِ ***** كَذِي الْضَّنَى عادَ إِلى نكْسِهِ

ثم قُدِّم، فقتل وصُلب على الجسر ببغداد.[1]

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلًا مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ؟ فَقَالُوا: مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلَا سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ، إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ- أَوْ يَعْصِبَ- عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً، ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ».[2]

ومن جناية اللسان على صاحبه ما حكي عن أبي الطيب المتنبي أنّه لما وفد علي عَضُدِ الدولة وَصَله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مُسْرَجَة مُحلاة وثياب مُفْتَخَرة، ثم دسّ عليه من سأله: أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة؟ فقال: هذا أجْزَل إلّا أنّه عطاءُ مُتَكَلِّفٍ، وسيف الدولة كان يُعطي طبْعًا، فغضب عَضُدُ الدولة، فلما انصرف جهّز عليه قومًا من بني ضبّة، فقتلوه بعد أن قاتل قتالًا شديدًا، ثم أنهزم، فقال له غلامه: أين قولك:

الخَيْلُ واللَّيْلُ والبَيْداءُ تعرِفُنِي ***** والحربُ والضَرْبُ والقِرطَاسُ والقَلَمُ

---

١ – انظر في أخبار صالح أمالي المرتضي–١/ ١٤٤ وما بعدها، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي– ٩/ ٣٠٣، وتاريخ دمشق لابن عساكر– ٢٣/ ٣٤٧

٢ – رواه أبو داود بسند حسن

.

فقال: قتلتني قاتلك الله، ثم قاتل حتى قُتل.[1]

ومن جناية اللسان على صاحبه ما حكاه أبو عبيد من سبب قولهم: (مَحَا الَّسْيفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَهَ أَجْمَعا).

وسبب هذا المثل أن سالم بن دارة أحد بني عبد الله بن غطفان كان قد هجا رجلا من بني فزارة يقال له زميل وبالغ في هجائه فاغتاله الفزاري حتى ضربه بالسيف.

ثم قال القاتل:

أَنَا زُميلٌ مِنْ بَنِي فَزاره ***** أنا زُميلٌ قَاتِلُ ابنِ دَارَه

ثُمَّ جَعَلتُ عَقْلَهُ البكَارَه ***** ....

ولما عوتب في فتكه به وقتله قال:

فَلا تُكْثِرُوا فِيه الضِّجاجَ فَإِنَّهُ ***** محَا السَّيْفُ مَا قَالَ ابْنُ دَارَةَ أجمْعَا

ولما قيل له ويحك يا زميل لِمَ قَتَلْتَ سالماً ؟ قال أحرقني بالهجاء.

---

١ – تاريخ الإسلام للذهبي – (٢٦/ ١٠٥)



مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(القولُ عَلى اللهِ تَعالى بغَيرِ عِلمٍ)

من أعظم آفات اللسان خطرًا على صاحبها آفة القولِ عَلى اللهِ تَعالى بِغَيرِ عِلمٍ ، ومن كانت فيه هذه الآفة لا يفلح أبدًا ومن كانت فيه هذه الآفات فهو أظلم الناس على الإطلاق، ومن كانت فيه هذه الآفة كان مرتكبًا لأعظم المحرمات، فإن القولُ عَلى اللهِ تَعالى بِغَيرِ عِلمٍ أعظم المحرمات على الإطلاق، فإن الله تعالى جعله أعظم من الشرك بالله تعالى.

القَوْلُ عَلى اللهِ تَعالى بغَيرِ عِلمٍ من أعظم مقاصد الشَّيْطَانِ:

القولُ عَلى اللهِ تَعالى بغَيرِ عِلمٍ من أعظم مقاصد أبليس، ومن أَوْلَى مَسَاعِيهِ لإغواء بني آدم، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلًا طَيِّبًا وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.[١]

قال ابن كثير قَوْلُهُ: {إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} أَيْ: إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ عَدُوُّكُمُ الشَّيْطَانُ بِالْأَفْعَالِ السَّيِّئَةِ، وَأَغْلَظُ مِنْهَا الْفَاحِشَةُ كَالزِّنَا وَنَحْوَهُ، وَأَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ الْقَوْلُ عَلَى اللَّهِ بِلَا عِلْمٍ، فَيَدْخُلُ فِي هَذَا كُلُّ كَافِرٍ وَكُلُّ مُبْتَدِعٍ أيضًا.[٢]

قال ابن جرير: وَالسُّوءُ: الْإِثْمُ مِثْلُ الضُّرِّ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: سَاءَكَ هَذَا الْأَمْرُ يَسُوءُكَ سُوءًا؛ وَهُوَ مَا يَسُوءُ الْفَاعِلَ. وَأَمَّا الْفَحْشَاءِ: فَهِيَ مَصْدَرٌ مِثْلُ السَّرَّاءِ، وَالضَّرَّاءِ، وَهِيَ كُلُّ مَا اسْتُفْحِشَ ذِكْرُهُ، وَقَبُحَ مَسْمُوعُهُ. وَقِيلَ: إِنَّ السُّوءَ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ هُوَ مَعَاصِي اللَّهِ؛ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا سَمَّاهَا اللَّهُ سُوءًا؛ لِأَنَّهَا تَسُوءُ صَاحِبَهَا بِسُوءِ عَاقِبَتِهَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ. وَقِيلَ: إِنَّ الْفَحْشَاءَ: الزِّنَا؛ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَإِنَّمَا يُسَمَّى لِقُبْحِ مَسْمُوعِهِ وَمَكْرُوهِ مَا يُذْكَرُ بِهِ فَاعِلُهُ.[٣]

وقال تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا}.[٤]

---

١ – سورة البقرة : الآية / ١٦٨ ، ١٦٩

٢ - تفسير ابن كثير – (١/ ٤٧٩)

٣ - تفسير الطبري – (٣/ ٤٠)

٤ – سورة الإسراء :الآية/ ٣٦



القَوْلُ عَلى اللهِ تَعالى بِغَيرِ عِلمٍ أعظم المحرمات على الإطلاق:

قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}.[1]

ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أصول المحرمات فبدأ بأقلها حرمة فقال: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} وهذه تشمل الزنا واللواط وما شابهها من الفواحش، ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطراً وأعظم ضرراً وهو وأقبح أثراً، وهو الإثم والظلم {وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} وذلك لأن ضرر البغي متعد إلى الغير وأثره أعظم من أثر الفواحش، ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطرا وأعظم ضررا وأقبح أثرا ، وهو الشرك بالله تعالى{وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا} ثم ارتقى الخطاب درجة إلى ما هو أشد خطرا وأعظم ضررا وأقبح أثراً، وهو القول على الله تعالى بغير علم{وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} فالقول على الله تعالى بغير علم أخطر من الشرك بالله تعالى وذلك لأن مفسدة القول على الله تعالى بغير علم أعظم من مفسدة الشرك بالله تعالى فإن الشرك ضرره قاصر على صاحبه أما القول على الله تعالى بغير علم فإن ضرره متعد وإن شئت فانظر إلى ما أحدثه مسيلمة الكذاب من الفتنة عندما ادعى النبوة فضل بقوله فئام عظيمة من الناس، ولا شك أن من ضل في نفسه أقل شراً وأثراً وإثماً ممن ضل في نفسه وأضل غيره، وقد بين ذلك القرآن أعظم بيان قال الله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}.[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قول الله تعالى: {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ} فحصر التحريم في هذه الأربعة فإنها محرمة في كل ملة لا تباح بحال إلا عند الضرورة وبدأ بالأخف تحريما ثم بما هو أشد منه فإن تحريم الميتة دون تحريم الدم فإنه أخبث منها ولحم الختزير أخبث منها وما أهل به لغير الله أخبث الأربعة.

ونظير هذا قوله: {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ} فبدأ بالأسهل تحريمًا ثم ما هو أشد منه إلى أن ختم بأغلظ المحرمات وهو القول عليه بلا علم فما أهل به لغير الله في الدرجة الرابعة من المحرمات.[3]

---

١ – سورة الأعراف الآية /٣٣

٢ – سورة العنكبوت: الآية ١٢، ١٣

٣ – أحكام أهل الذمة – (١ / ٥٢٨)



.

قال الإمام عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} عامٌّ في تحريم القول في الدين من غير يقين).

من قال عَلى الله تَعالى بغَير عِلمٍ لا يفلح أبدًا:

القولُ عَلى الله تَعالى بغَير عِلمٍ افتراء عَلى الله تَعالى ومن افترى عَلى الله تَعالى فلا يفلح أبدًا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ. مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ}.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.[2]

من قال عَلى الله تَعالى بغَير عِلمٍ فلا أظلم منه:

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلِمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}.[4]

صُوَرُ القولِ عَلى الله تَعالى بغَير عِلمٍ:

مِنْ صُوَرِ القولِ عَلى الله تَعالى بغَير عِلمٍ (الفَتْوَى بغَير عِلْمٍ):

مِنْ صُوَرُ القولِ عَلى الله تَعالى بغَير عِلمٍ، الإفتاء بغير علم وهو أن يسأل إنسان عن أمر من أمور الدين فيجيب بالتحليل أو التحريم بلا مستند له ولا بينة ولا دليل من كتاب أو سنة، ومن العجيب أن كثيرا من الناس إذا سئل عن أمر من أمور الدنيا رده إلى أهل الاختصاص ولا يجد غضاضة في أن يقول لا أعلم وإذا سئل عن أمر من أمور الدين كادت إجابته أن تسبق سؤال السائل وليس هو من أهل الاختصاص، ولا من ينتمي لأهل العلم بصلة، وإذا عوتب على ذلك غضب أشد الغضب، وكأن الكلام في الدين كلأً مباحًا، وقد حذر الله تعالى من ذلك أشد التحذير فقال سبحانه: {وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ}.[5]

---

١ - سورة يُونُسَ: الآية/ ٦٩، ٧٠

٢ - سورة النحل: الآية/١١٦، ١١٧

٣ - سورة الأنعام: الآية/ ٢١

٤ - سورة هود: الآية/ ١٨

٥ - سورة النحل الآية /١١٦



.

وقال تعالى: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً}.[1]

قال الله تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣) فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.[2]

أَثَرُ الْإِفْتَاءِ بِغَيْرِ عِلْمٍ:

ولا يدري الذي يفتي بغير علم أنه قد يحرم ما أحل الله تعالى، أو يحرم ما أحله الله تعالى، فيبيح الفروج المحرمة، أو يهدم بيوتاً قائمة، ويفرق بين المرء وأهله، وقد يتشرد بسبب فتياه الأبناءُ، إذا كانت الفتيا متعلقة بمسائل الطلاق، أو الرضاع أو غير ذلك، ولا يدري أنه ربما قتل بفتياه وهو لا يشعر، بل ربما يظن أنه يحسن صنعاً، وسأذكر على ذلك مثالين يستبين منهما خطر الفتوى التي بنيت على الجهل.

المثال الأول: عَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ خَرَجْنَا فِي سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِي رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِي رُخْصَةً فِي التَّيَمُّمِ فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتَيَمَّمَ وَيَعْصِرَ».[3]

والشاهد هو قول النبي ﷺ «قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ». فإنه نسب لهم القتل لما كانت الفتوى سبب القتل.

المثال الثاني: عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنَ تَوْبَةٍ فَقَالَ لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ. فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا

---

١ – سورة الإسراء الآية /٣٦

٢ – سورة آل عمران: الآية /٩٣، ٩٤

٣ – رواه أبو داود– كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم، حديث رقم: ٢٨٨، وابن ماجة– كتاب الطهارة وسننها، أبواب التيمم– باب في المجروح تصيبه الجنابة حديث رقم: ٥٦٩، بسند حسن، والحاكم في المستدرك – حديث: ٥٨٢، بسند صحيح

.

قَطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ».[1]

والشاهد في الحديث قول النبي ﷺ: «فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً». فهذا الراهب إنما قتله جهله، لما أفتى بغير علم كان هو أول ضحايا فتواه.

قال صاحب مرقاة المفاتيح: فيه إشارة إلى قلة فطنة الراهب؛ لأنه كان من حقه التحرز ممن اجترأ على القتل حتى صار له عادةً، بأن لا يواجهه بخلاف مراده، وأن يستعمل معه المعاريض مداراة عن نفسه، هذا لو كان الحكم عنده صريحاً في عدم قبول توبة القاتل، فضلاً عن أن الحكم لم يكن عنده إلا مظنونًا.[2]

قال ابن المعتز:

يارُبَّ ألسنةٍ كالسيوفِ ***** تَقْطَعُ أعناقَ أصحابها
وكم دُهى المرءُ من نفسهِ ***** فلا تُؤكَلَنَّ بأنيابها

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَمْلأَ أَلْوَاحِي مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ: لاَ أَدْرِي، لَفَعَلْتُ.[3]

وَقَالَ مَالِكٌ: جُنَّة العَالِمِ: "لاَ أَدْرِي"، فَإِذَا أَغفَلَهَا أُصِيْبَتْ مَقَاتِلُهُ.

مِنْ صُوَرُ القولِ عَلى اللهِ تَعالى بِغَيرِ عِلمٍ :(تحريف كلام الله تعالى):

وَمِنْ صُوَرُ القولِ عَلى اللهِ تَعالى بِغَيرِ عِلمٍ، نسبةُ شيءِ من الكلامِ للهِ تعالى وليس هو من كلام الله تعالى، وهذا أكثر ما وجد عند اليهود والنصارى والتحريف أنواع ثلاثة:

الأول نسبة كلامٍ لم يقله الله تعالى إليه:

قال الله تعالى:{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ}.[4]

وقال الله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}.[5]

---

١ – رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار – حديث رقم : ٣٣٠١، ومسلم- كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، حديث رقم: ٥٠٧٤

٢ – مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح – ٨ / ٤٧

٣ – سير أعلام النبلاء – (٧/ ١٨٥)

٤ – سورة البقرة : الآية /٧٩

٥ – سورة الأنعام الآية /٢١



.

الثاني لَيُّ اللسانِ بالكلام لإيهام السامع أنه كلام الله وهو ليس من كلام الله تعالى:

قال الله تعالى:{وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.[1]

وقال تعالى:{مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّين}.[2]

الثالث تأويل كلام الله تعالى وصرفه عن حقيقته بغير دليل:

قال الله تعالى:{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ}.[3]

مِنْ صُوَرُ القولِ عَلى اللهِ تَعالى بِغَيرِ عِلمٍ: (تفسير القرآن بالرأي والهوى):

وَمِنْ صُوَرُ القولِ عَلى اللهِ تَعالى بِغَيرِ عِلمٍ تفسير القرآن بالرأي والهوى، فعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».[4]

وعَنْ جُنْدُب بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ».[5]

قَالَ أَبُو عِيسَى: هَكَذَا رُوِىَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي هَذَا فِي أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِغَيْرِ عِلْمٍ. وَأَمَّا الَّذِي رُوِىَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْقُرْآنِ أَوْ فَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ وَقَدْ رُوِىَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

---

١ – سورة آل عمران : الآية /٧٨

٢ – سورة النساء :الآية / ٤٦

٣ – سورة آل عمران: الآية/٧

٤ – رواه أحمد حديث: ٢٠١٤، والترمذي– أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه حديث: ٢٩٥١ بسند ضعيف

٥ – رواه أبو داود،كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم – حديث:٣١٨٥ ، رواه الترمذي كتاب الذبائح ،أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ،حديث:٢٩٥٣ بسند ضعيف

فإذا قيل لهم ذلك وهم أساطين البلاغة، وأرباب الفصاحة، وشاهدوا التنزيل، وصحبوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، ومن كانت العلوم عندهم سجية، والأفهام صحيحة، والعقول سوية، واللسان مستقيم لم تخالطه عجمة، بل لو حاول أحدهم الخطأ ما استطاع إليه سبيلاً، واستمع إلى ما رواه أهل البلاغة والأدب مما جرى بين سيبويه والكسائي في ذلك ، ورد سيبويه بغداد على يحيى البرمكي، فجمع بينه وبين الكسائي للمناظرة، فقال له: كيف تقول: قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور؛ فإذا هو هي؛ أو هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب، فقال الكسائي: أخطأتَ! العربُ ترفع ذلك وتنصبه، وجعل يورد عليه أمثلةً؛ من ذلك: خرجت فإذا زيد قائم أو قائماً، وسيبويه يمنع النصب، فقال يحيى: قد اختلفتما، وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما؟ فقال الكسائي: هذه العرب ببابك قد وفدوا عليك؛ وهم فصحاء الناس؛ فاسألهم، فقال يحيى: أنصفت، وأحضروا فسئلوا، فاتبعوا الكسائي، فاستكان سيبويه، وقال: أيها الوزير، سألتك إلا ما أمرتهم أن ينطقوا بذلك؛ فإن ألسنتهم لا تجري عليه، وكانوا إنما قالوا: الصواب ما قاله هذا الشيخ؛ فقال الكسائي ليحيى: أصلح الله الوزير! إنه قد وفد إليك من بلده مؤملاً، فإن رأيت ألا ترده خائباً! فأمر له بعشرة آلاف درهم؛ فخرج إلى فارس.[١]

والشاهد في القصة قول سيبويه ليحيى البرمكي أيها الوزير: (سألتك إلا ما أمرتهم أن ينطقوا بذلك؛ فإن ألسنتهم لا تجري عليه) لأنهم عرب خلص ومن كان على شاكلتهم كان لمعاني القرآن أعرف، وبتفسيره أعلم، ومع ذلك لا يجوز لهؤلاء أن يفسر أحدهم القرآن برأيه، فضلا عمن بعدهم ممن قل علمهم، واعوجت بالعجمى ألسنتهم، وما عاصروا التنزيل، وفاتهم معرفة أسباب النزول.

ولقد كان السلف عليهم رضوان الله من أشد الناس تحرجاً في تفسير القرآن، مع غزارة علمهم، وجودة قرائحهم، واستقامة لغتهم، فعن إبراهيم التَّيْمِي؛ أن أبا بكر الصديق ﷺ سُئل عن قوله:{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}.[٢]

فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني ؟ إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وعن أنس ﷺ أن عمر بن الخطاب ﷺ قرأ على المنبر:{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}.[٣]

فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأَبُّ ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر.

وعن ابن أبي مُلَيْكَة: أن ابن عباس ﷺ سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها.

---

١ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – ٢ / ١٣٠

٢ – سورة عبس:الآية/ ٣١

٣ – سورة عبس: :الآية/ ٣١



.

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: سأل رجلُ عبد الله بن عباس عن{يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ }.[1]

فقال له عبد الله بن عباس: فما{يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ }؟ [2]

فقال له الرجل: إنما سألتك لتحدثني. فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله أعلم بهما. فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم.

وعن الوليد بن مسلم، قال: جاء طَلْق بن حبيب إلى جُنْدُب بن عبد الله ﷺ فسأله عن آية من القرآن؟ فقال: أحرِّج عليك إن كنت مسلمًا إلا ما قمتَ عني، أو قال: أن تجالسني.

وروى مالك عن سعيد بن المسيب: إنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إنا لا نقول في القرآن شيئًا.

وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن.

وعن يزيد بن أبي يزيد، قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت، كأن لم يسمع.

وقال عبيد الله بن عمر: لقد أدركتُ فقهاء المدينة، وإنهم ليعظِّمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع.

وقال هشام بن عُرْوَة: ما سمعت أبي تَأوَّل آية من كتاب الله قط.

وقال مسروق: اتقوا التفسير ، فإنما هو الرواية عن الله.

قال ابن كثير رحمه الله: فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها، الواردة عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعًا، فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى:{ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ }.[3]

---

١ – سورة السجدة: الآية/ ٥

٢ – سورة المعارج: الآية/٤

٣ – سورة آل عمران: الآية /١٨٧



.

مِنْ صُوَرُ القولِ عَلى اللهِ تَعالى بِغَيرِ عِلمٍ: (ادعاء النبوة):

وَمِنْ صُوَرِ القولِ عَلى اللهِ تَعالى بِغَيرِ عِلمٍ أن يقول العبد: {أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ} وهذه الصورة أعظم صور القول على الله وأشدها خطراً، وأبعدها في الضلالة أثراً، ولا يفعل ذلك إلا من طمث الله على بصيرته، وأعمى قلبه، لذا توعده الله تعالى بالخسران في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزلُ مِثْلَ مَا أَنزلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}.[1]

١ – سورة الأنعام الآية /٩٣



مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْكَذِب)

من آفات اللسان الخطيرة، ومن شروره المستطيرة الكذب، وهو من أقبح هذه الآفات على صاحبه، ومن أسوءها أثرًا، وأشدها خطرًا، و لم لا؟ والكذب أقرب طريق إلى النار، وهو شعبة من شعب النفاق، بل النفاق أثرٌ من آثاره، وهو سبب محق البركة، وعلامة ذهاب الإيمان، وسبب الريبة والاضطراب.

حَدُ الْكَذِبِ:

إذا كان الصدق هو مطابقة الكلام للواقع، فإن الكذب هو مخالفة الكلام للواقع، وإن شئت فقل مخالفة السر للعلانية.

أنْوَاعُ الْكَذِبِ:

الْكَذِبُ عَلَى اللهِ تَعَالَى:

أقبح أنواع الكذب على الإطلاق الكذب على الله تعالى، وتقدم الحديث عنه عند الكلام على آفة القول على الله بغير علم.

قال الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}.[1]

وقال الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنَزلَ اللّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ}.[2]

الْكَذِبُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

وأشنع أنواع الكذب بعد الكذب على الله تعالى، الكذب على النبي ﷺ وقد توعد النبي ﷺ صاحبه بالنار، وسخطِ الجبار، وذلك لأن الذي يتعمد الكذبَ على النَّبِيِّ ﷺ يؤدي إلى تبديل دين الله تعالى، وتغيير شرعه، ويؤذنُ قبيحُ فعلهِ، وسوءُ عملهِ، بانسلاخه من الدين، وسوء معتقده، نسأل الله العفو والعافية.

عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ».[3]

---

١ – سورة الأنعام: الآية/٢١

٢ – سورة الأنعام الآية /٩٣

٣ – رواه البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ، حديث: ١٠٥، ومسلم، باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ حديث:٢

وعَنْ الْمُغِيرَةِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :«إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ».[1]

الْكَذِبُ عَلَى النَّاسِ :

النوع الثالث من أنواع الكذب، الكذب على الناس، ومع أنه أقل أنواع الكذب خطرًا، وأخفها على صاحبه أثرًا إلا إنه من الكبائر، ومناف للإيمان، وسبب محق البركة، وعلامة من علامات النفاق، وأقرب الطرق للنار، وسبب الريبة والاضطراب، ومن اتصف به كان أبعدَ الناس عن الهداية، وأقرَبَهم إلى الغواية.

أثرُ الْكَذِبَ :

الْكَذِبُ سَبَبُ مَحْقُ البَرَكَةِ:

وعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا».[2]

الْكَذِبُ رِيبَةٌ :

عن أبي الحوراء السعدي قال قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله ﷺ؟ قال حفظت من رسول الله ﷺ:« دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَالا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طمأنينة وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَة».[3]

وسبب الريبة أن آفة الكذاب نسيان كذبه؛ لذلك يظل متخوفًا من أن يفتضح أمره، ويطلع الناس على كذبه، وسوء فعله.

إذا عرف الكذاب بالكــذب لم يــزل	*****	لدى الناس كذاباً وإنّ كــان صــادقًا
ومن آفة الكذاب نســيان كــذبه	*****	وتلقاه ذا ذهن إذا كــان حــاذقًا

الْكَذِبُ مستقبحٌ عِندَ كلِ ذي عقلٍ:

من مساوئ الكذب وقبحه أنه مذموم في سائر الشرائع، ومستقبح عند كل صاحب عقل، ويستنكف منه البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ودليل ذلك ما حكاه أبو سفيان ابن حرب ﷺ عما جرى قبل إسلامه بينه وبين هرقل فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ﷺ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا

---

١ – رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت– حديث:١٢٤٢، ورواه مسلم باب في التحذير من الكذب على رسول الله ﷺ حديث: ٥

٢ – رواه البخاري، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا – حديث:١٩٨٩ ، ورواه مسلم، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان – حديث: ٢٩٠٤

٣ – رواه أحمد حديث: ١٦٧٥، والترمذي كتاب الذبائح، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ باب حديث:٢٥٠٢ بسند صحيح

.

تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ: « أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ..... ».[١]

وروى ابن عساكر أن سليمان بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك فقال له: يا سليمان الذي تولى كبره من هو؟ قال: عبد الله بن أبي، قال: كذبت هو علي، قال: أمير المؤمنين أعلم بما يقول فدخل الزهري فقال: يا ابن شهاب من الذي تولى كبره؟ فقال: ابن أبي. قال: كذبت هو علي، قال: أنا أكذب؟ لا أبا لك والله لو نادى مناد من السماء أن الله قد أحل الكذب ما كذبت، حدثني عروة وسعيد وعبد الله وعلقمة عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي".[٢]

وقال معاوية ﷺ يوماً للأحنف بن قيس ﷺ وقد حدثه: أتكذب؟ قال: والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب شين.

الْكَذِبُ قَرِينُ الفُجُورِ:

من قبح الكذب وشؤمه على صاحبه أنه قرين الفجور، والوسيلة إليه، والسبيل الموصل إليه، كما أن الفجور هو السبيل إلى النار.

عن أوسط بن إسماعيل بن أوسط البجلي أنه سمع أبا بكر ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ عام الأول مقامي هذا ثم بكى ثم قال : عليكم بالصدق فإنه مع البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار وسلوا الله المعافاة فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين شيئا خيرا من المعافاة ثم قال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا".[٣]

تركُ الْكَذِبِ مِنْ أَسْبَابِ الفَوزِ بالجَنةِ :

إذا ترك العبد الكذب لله تعالى، و لم يخلف إذا وعد،و لم يخن إذا أئتمن، وغض بصره وحصن فرجه وكف عن الناس شره – نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يتصف بذلك – فقد ضمن له النبي ﷺ الجنة.

---

١ – رواه البخاري، باب بدء الوحي، حديث :٧ ، ورواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى – حديث: ٣٤٠٩

٢ - تاريخ دمشق لابن عساكر – (٥٥/ ٣٧١)

٣ – رواه ابن ماجه– كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية– حديث: ٣٨٤٧، وأبو يعلى حديث: ١١٥ بسند صحيح

.

فعن معاوية ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:« تكفلوا لي بست أتكفل لكم بالجنة إذا حدثتم فلا تكذبوا وإذا وعدتم فلا تخلفوا وإذا ائتمنتم فلا تخونوا وغضوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا أيديكم ».[1]

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :« اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ».[2]

الكذاب أبعد الناس عن الهداية:

قال الله تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}.[3]

قال أبو حيان: فيه إشارة إلى علو شأن موسى ﷺ وأن من اصطفاه الله للنبوة لا يمكن أن يقع منه إسراف ولا كذب ، وفيه تعريض بفرعون ، إذ هو غاية الإسراف على نفسه بقتل أبناء المؤمنين، وفي غاية الكذب، إذ ادّعى الإلهية والربوبية ، ومن هذا شأنه لا يهديه الله .[4]

ويكفي في معرة الكذب أن من عرف به مُقِتَ إذا نَطَقَ وكُذِّبَ وإن صَدَقَ.

الْكَذِبُ علامةٌ مِنْ عَلَامَاتِ النفاق:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:« أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ».[5]

روى مَالِك عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّهُ قَالَ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ:« أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا فَقَالَ نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا فَقَالَ نَعَمْ فَقِيلَ لَهُ أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا فَقَالَ لَا».[6]

عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :«يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ».[7]

---

١ – رواه القطاعي في مسند الشهاب، من أصاب مالا من نهاوش أذهبه الله في نهابر، حديث:٤٢٣

٢ – رواه أحمد حديث:٢٢١٦٦ ، والبيهقي في السنن كتاب الوديعة، باب ما جاء في الترغيب في أداء الأمانات – حديث:١١٨٧٤، وشعب الإيمان، باب في حفظ اللسان حديث:٤٥٩٩ بسند صحيح

٣ – سورة غافر: الآية /٢٨

٤ – تفسير البحر المحيط ٧ / ٤٤٢

٥ – رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق – حديث:٣٣، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق – حديث:١١٣

٦ – رواه مالك كتاب الكلام، باب ما جاء في الصدق والكذب – حديث:١٨٠٥ والبيهقي في الشعب باب في حفظ اللسان، حديث:٤٦٠٧

٧ – رواه البيهقي كتاب الشهادات، باب: من كان منكشف الكذب مظهره غير مستتر به ، – حديث:١٩٣٧٧ ، ورواه أحمد حديث: ٢١٦١٨ عن أبي أمامة ﷺ

.

النفاقُ أثرٌ مِنْ آثَارِ الْكَذِبِ :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:« قَالَ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». [1]

قال الله تعالى:{وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ }.[2]

فانظر يرحمك الله كيف صار النفاق أثرا من آثار الكذب، ونتيجة مترتبة عليه ، لشدة خطره ، وقبيح أثره ، فسأل الله تعالى السلامة من الكذب ، والنجاة من شر ألسنتنا.

الْكَذِبُ ينافي الإيمانَ:

ويكفي في ذم الكذب نفي الإيمان عن الكذابين قال تعالى:{ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ}.[3]

وعَنْ سَعْدٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :«يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ».[4]

فعن محمد بن أبي بكر بن حزم، أنه بلغهم عن رسول الله ﷺ أنه قيل يا رسول الله هل يكون المؤمن شحيحاً، فقال:« نعم » فقيل: يا رسول الله فهل يكون المؤمن سيئ الخلق؟ قال :« نعم »، فقيل: يا رسول الله فهل يكون المؤمن جبانا؟ قال: «نعم»، فقيل: يا رسول الله فهل يكون المؤمن كذابا؟ قال: «لا». [5]

الكذب أقرب طريق إلى النار:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».[6]

---

١ – رواه البخاري– كتاب الإيمان، باب علامة المنافق– حديث:٣٣ ، ومسلم– كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق – حديث:١١٤

٢ – سورة التوبة: الآيات/٧٥:٧٧

٣ – سورة النحل الآية/١٠٥

٤ – رواه البيهقي– كتاب الشهادات، باب من كان منكشف الكذب مظهره غير مستتر به– حديث:١٩٣٧٧

٥ – رواه ابن وهب في جامعه كتاب الصمت، باب العزلة – حديث:٥٠٩ بسند منقطع

٦ – رواه البخاري– كتاب الأدب، باب قول الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله – حديث:٥٧٤٩ ، ومسلم– كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله – حديث:٤٨٢٨ واللفظ له

.

تعمد الكذب من أسباب عذاب البرزخ:

عن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ :«هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا قَالَ فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُصَّ وَإِنَّهُ قَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ وَإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي انْطَلِقْ وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ فَيَتَهَدْهَدُ الْحَجَرُ هَا هُنَا فَيَتْبَعُ الْحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّى يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ لَهُمَا سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرَهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ قَالَ ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذَلِكَ الْجَانِبُ كَمَا كَانَ ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ الْمَرَّةَ الْأُولَى قَالَ قُلْتُ سُبْحَانَ اللَّهِ مَاهَذَانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى مِثْلِ التَّنُّورِ قَالَ فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصْوَاتٌ قَالَ فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذَا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَؤُلَاءِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَانِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ كَرِيهِ الْمَرْآةِ كَأَكْرَهِ مَا أَنْتَ رَاءٍ رَجُلًا مَرْآةً وَإِذَا عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَى رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنِ الرَّبِيعِ وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَيْ الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لَا أَكَادُ أَرَى رَأْسَهُ طُولًا فِي السَّمَاءِ وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلْدَانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ قَالَ قُلْتُ لَهُمَا مَا هَذَا مَا هَؤُلَاءِ قَالَ قَالَا لِي انْطَلِقْ انْطَلِقْ قَالَ فَانْطَلَقْنَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ عَظِيمَةٍ لَمْ أَرَ رَوْضَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا وَلَا أَحْسَنَ قَالَ قَالَا لِي ارْقَ فِيهَا قَالَ فَارْتَقَيْنَا فِيهَا فَانْتَهَيْنَا إِلَى مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ فَأَتَيْنَا بَابَ الْمَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنَا فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاهَا فَتَلَقَّانَا فِيهَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ وَشَطْرٌ كَأَقْبَحِ مَا أَنْتَ رَاءٍ قَالَ قَالَا لَهُمْ اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ قَالَ وَإِذَا نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كَأَنَّ مَاءَهُ الْمَحْضُ فِي الْبَيَاضِ فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ قَالَ قَالَا لِي هَذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ وَهَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَ فَسَمَا بَصَرِي صُعُدًا فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ الْبَيْضَاءِ قَالَ قَالَا لِي هَذَاكَ مَنْزِلُكَ قَالَ قُلْتُ لَهُمَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ قَالَا أَمَّا الْآنَ فَلَا وَأَنْتَ دَاخِلَهُ قَالَ قُلْتُ لَهُمَا فَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا فَمَا هَذَا الَّذِي رَأَيْتُ قَالَ قَالَا لِي أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ أَمَّا الرَّجُلُ الْأَوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بِالْحَجَرِ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ الْقُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنْ الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ وَأَمَّا



الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَإِنَّهُمْ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا وَأَمَّا الرَّجُلُ الْكَرِيهُ الْمَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَى حَوْلَهَا فَإِنَّهُ مَالِكٌ خَازِنُ جَهَنَّمَ وَأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي فِي الرَّوْضَةِ فَإِنَّهُ إِبْرَاهِيمُ ﷺ وَأَمَّا الْوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ فَكُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ فَقَالَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ وَأَمَّا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنًا وَشَطْرٌ قَبِيحًا فَإِنَّهُمْ قَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُمْ ».[1]

والشاهد من الحديث قول النبي ﷺ وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ وَمَنْخِرُهُ إِلَى قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الْكَذْبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ.... ».

قال ابن حجر رحمه الله: وَإِنَّمَا اِسْتَحَقَّ التَّعْذِيب لِمَا يَنْشَأ عَنْ تِلْكَ الْكِذْبَة مِنْ الْمَفَاسِد وَهُوَ فِيهَا مُخْتَار غَيْر مُكْرَه وَلَا مُلْجَأ . قَالَ اِبْن هُبَيْرَة: لَمَّا كَانَ الْكَاذِب يُسَاعِد أَنْفُهُ وَعَيْنُهُ لِسَانَه عَلَى الْكَذِب بِتَرْوِيجِ بَاطِله وَقَعَتْ الْمُشَارَكَة بَيْنَهُمْ فِي الْعُقُوبَة.[2]

وليس هذا العذاب لشخص من الناس بعينه، بل هذا العذاب لكل من اتصف بهذه الصفة القبيحة وهي كثرة الكذب والمبالغة فيه، ولو لم يحدث بذلك ضرر على أحد من الناس.

ما يرخص فيه من الكذب:

رخص النبي ﷺ في الكذب في حالات ثلاثة لا رابع لها أولها: في الإصلاح بين الناس، وصورة ذلك أن تأتي لمتخاصمين فتقول لأحدهما فلان يعن الذي يخاصمه ويقاطعه يقرئك السلام ويثني عليك خيرًا ويمدحك ونحو ذلك وهو ما أثني خيرًا ولا مدح وأرسل معه سلامًا، ويذهب إلى الآخر ويقول له مثل هذا الكلام يقصد بذلك الإصلاح بينهما، فهذا ليس كذبا في عرف الشرع بنص كلام النبي ﷺ.

وثانيها: في الحرب فلو أُخِذَ المسلمُ أسيراً ثم سئل عن جيش المسلمين وعن سلاحهم لا يحل له أن يخبر بما يعلم من ذلك صيانة للمسلمين وقد قال النبي ﷺ «الْحَرْبُ خُدْعَةٌ».[3]

---

١ – رواه البخاري- كتاب التعبير، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح – حديث:٦٦٥٩ ، وأحمد- حديث:١٩٦٥٠

٢ – فتح الباري لابن حجر – ٢٠ / ٥٢

٣ – رواه البخاري-كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة- حديث: ٢٨٨٧، ومسلم-كتاب الجهاد والسير باب، جواز الخداع في الحرب، حديث:٣٣٦١ عن أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما.

ومما يدل على جواز الكذب في الحرب كذلك ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﵄ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ «مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ ». فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ «نَعَمْ» قَالَ ائْذَنْ لِي فَلأَقُلْ قَالَ: «قُلْ» فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ وَذَكَرَ مَا بَيْنَهُمَا وَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَرَادَ صَدَقَةً وَقَدْ عَنَّانَا. فَلَمَّا سَمِعَهُ قَالَ وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ. قَالَ إِنَّا قَدِ اتَّبَعْنَاهُ الآنَ وَنَكْرَهُ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ أَمْرُهُ – قَالَ – وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ تُسْلِفَنِي سَلَفًا قَالَ فَمَا تَرْهَنُنِي قَالَ مَا تُرِيدُ. قَالَ تَرْهَنُنِي نِسَاءَكُمْ قَالَ أَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ أَنَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا قَالَ لَهُ تَرْهَنُونِي أَوْلاَدَكُمْ. قَالَ يُسَبُّ ابْنُ أَحَدِنَا فَيُقَالُ رُهِنَ فِي وَسْقَيْنِ مِنْ تَمْرٍ. وَلَكِنْ نَرْهَنُكَ اللأْمَةَ – يَعْنِى السِّلاَحَ – قَالَ فَنَعَمْ وَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالْحَارِثِ وَأَبِى عَبْسِ بْنِ جَبْرٍ وَعَبَّادِ بْنِ بِشْرٍ قَالَ فَجَاءُوا فَدَعَوْهُ لَيْلاً فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ إِنِّي لأَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ صَوْتُ دَمٍ قَالَ إِنَّمَا هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعُهُ وَأَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ لَيْلاً لأَجَابَ. قَالَ مُحَمَّدٌ إِنِّي إِذَا جَاءَ فَسَوْفَ أَمُدُّ يَدِي إِلَى رَأْسِهِ فَإِذَا اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَدُونَكُمْ قَالَ فَلَمَّا نَزَلَ نَزَلَ وَهُوَ مُتَوَشِّحٌ فَقَالُوا نَجِدُ مِنْكَ رِيحَ الطِّيبِ قَالَ نَعَمْ تَحْتِي فُلاَنَةُ هِيَ أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ. قَالَ فَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ مِنْهُ قَالَ نَعَمْ فَشُمَّ. فَتَنَاوَلَ فَشَمَّ ثُمَّ قَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَعُودَ قَالَ فَاسْتَمْكَنَ مِنْ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ دُونَكُمْ. قَالَ فَقَتَلُوهُ.[1]

وثالثها: حديث الرجل امرأته والمرأة زوجها، إذا سئل الزوج زوجته فقال هل تحبينني؟ فإن كانت تبغضه فلا يجوز لها أن تظهر ذلك له بل يجب عليها أن تقول نعم أحبك، وكذا الزوجة إذا سئل زوجها وكان يبغضها لا يجوز له أن يظهر ذلك لها حتى تدوم العشرة بينهما ولا يهدم البيت ولا يتشرد الأولاد، بل ويجوز له الحلف على ذلك إن احتاج إليه.

فعن ابن أبي عزرة الدؤلي، وكان في خلافة عمر يخلع النساء التي يتزوجها، فطار له في الناس من ذلك أحدوثة فكرهها، فلما علم بذلك قام بعبد الله بن الأرقم حتى أدخله بيته، فقال لامرأته وابن الأرقم يسمع: أنشدك بالله، هل تبغضينني؟ فقالت امرأته: لا تناشدني. قال: بلى. فقالت: اللهم نعم. فقال ابن أبي عزرة لعبد الله: أتسمع. ثم انطلق حتى أتى عمر، ثم قال: يا أمير المؤمنين يحدثون أني أظلم النساء، وأخلعهن، فاسأل عبد الله بن الأرقم عما سمع من امرأتي، فسأل عمر عبد الله فأخبره، فأرسل عمر إلى امرأته، فجاءت، فقال لها:« أنت التي تحدثين زوجك أنك تبغضينه؟ »، قالت: يا أمير المؤمنين، إني أول من تاب، وراجع أمر الله، إنه يا أمير المؤمنين أنشدني بالله،

---

١ – رواه البخاري–كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف – حديث:٣٨٢٩ ، ومسلم –كتاب الجهاد والسير، باب قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود – حديث:٣٤٤٧



فتحرجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: «نعم، فاكذبي، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدًا، فلا تحدثه بذلك، فإن أقل البيوت الذي يبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام، والإحسان».[1]

عَنِ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنْتَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِى مُعَيْطٍ رضي الله عنها وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ اللاَّتِي بَايَعْنَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِى خَيْرًا ». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلاَّ فِي ثَلاَثٍ الْحَرْبُ وَالإِصْلاَحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا.[2]

حكم التعريض في الكلام:

قال البخاري رحمه الله : باب الْمَعَارِيضُ مَنْدُوحَةٌ عَنِ الْكَذِبِ. وَقَالَ إِسْحَاقُ سَمِعْتُ أَنَسًا رضي الله عنه يقول مَاتَ ابْنٌ لأَبِى طَلْحَةَ رضي الله عنه فَقَالَ كَيْفَ الْغُلاَمُ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ هَدَأَ نَفَسُهُ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَنَّهَا صَادِقَةٌ.[3]

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه عنه بِحَسْبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكَذِبِ أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ.[4]

عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِى عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: « وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ».[5]

وقال بعض الأعراب: عجبت من الكذاب المشيد لكذبه، وإنما هو يدل الناس على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة والأخبار عنه متضادة، إن قال حقاً لم يصدق، وإن أراد خيراً لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله، الدال على فضيحته بمقاله، فما صح من صدقه نسب إلى غيره ،وما صح من كذب غيره نسب إليه.

ويقال الكذب جِمَاعُ النفاق، وعِمَادُ مساوي الأخلاقِ، عارٌ لازمٌ، وذلٌ دائمٌ، يخيف صاحبُه نفسَه وهو آمن، ويكشف ستر الحسب عن لؤمه الكامن.

---

١ – رواه الخرائطي في مساوئ الأخلاق– باب ما يرخص فيه من الكذب، حديث:١٧٨

٢ – رواه مسلم– كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكذب وبيان ما يباح منه– حديث:٤٨٢٣

٣ – رواه البخاري– كتاب الجنائز، باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة – حديث:١٢٥٢

٤ – رواه مسلم – باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث:٧

٥ – رواه أحمد– حديث:١٩٦٠٤ ، أبو داود– كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب، حديث:٤٣٥٩، والترمذي — كتاب الذبائح، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، حديث:٢٢٩٣، والنسائي– سورة النساء قوله تعالى: فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره، حديث:١٠٦٨٥، والحاكم –كتاب الإيمان– حديث:١٢٩ بسند حسن

.

قال الشاعر:

إن النموم أغطى دونه خبري ***** وليس لي حيلة في مفتري الكذب
لا يكذب المرء إلا من مهانته ***** أو عادة السوء أو من قلة الأدب

قيل لبعض الحكماء أيما أشر الكذاب أو النمام ؟ فقال الكذاب؛ لأنه يخلق عليك والنمام ينقل عنك.

وصدق القائل:

لي حيلة فيمن ينم ***** وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ***** ل فحيلتي فيه قليلة

وقال جعفر الصادق ﷺ لا تصحب خمسة: الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب، والأحمق فإنك لست منه على شيء، يريد أن ينفعك فيضرك ، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان فإنه يسلمك ويفر عند الشدة، و الفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها، فقيل وما أقل منها قال الطمع فيها ثم لا ينالها.[1]

وقال أبو حيان التوحيدي الكذب شعارٌ خَلِقٌ، وأدبٌ سيءٌ، وعادةٌ فاحشةٌ، وقل من استرسل معه إلا ألفه، وقل من ألفه إلا أذله.

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال :إياك والكذب؛ فإنه يزري بقائله وإن كان شريفًا في أصله، ويذله وإن كان عزيزًا في أهله.

وقيل: ثنتان لا يجتمعان الكذب والحياء.

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: لأن يضعني الصدق وقلما يفعل أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.

وقيل: لا يجوز أن يكذب الرجل لصلاح نفسه، فإن ما عجز الصدق عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده.

ولقد صدق من قال:

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به ***** إنّ اللسان لما عوّدت معتاد
موكل بتقاضي ما سننت له ***** في الخير والشر فانظر كيف ترتاد



١ – إحياء علوم الدين – ٢ / ١٧٢



مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْغِيبَةُ)

إن من أعظم آفات اللسان خطرًا على العبد الغيبة، ولم لا ؟ وهي من أسباب عذاب القبر، ومما يحبط العمل الصالح، ودليل دناءة النفس وخستها، وهي من أسباب ذهاب الإيمان .

حد الغيبة:

الْغِيبَةُ لغة: من الاغْتِيَاب يقال: اغتابَ الرجلُ صاحِبَه اغْتِيَاباً، إِذَا وَقَعَ فيه: وهو أَن يَتَكَلَّم خَلْف إِنْسَان مَسْتُورٍ بسُوءٍ، أَوْ بِمَا يَغُمُّه وإِن كَان فِيهِ.[1]

قَالَ الرَّاغِب: الْغِيبَةُ هِيَ أَنْ يَذْكُرَ الْإِنْسَانُ عَيْبَ غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ مُحْوِجٍ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ.

وَقَالَ النَّوَوِيّ فِي "الْأَذْكَار" تَبَعًا لِلْغَزَالِيِّ: ذِكْر الْمَرْء بِمَا يَكْرَههُ، سَوَاء كَانَ ذَلِكَ فِي بَدَن الشَّخْص، أَوْ دِينه، أَوْ دُنْيَاهُ، أَوْ نَفْسه، أَوْ خَلْقه، أَوْ خُلُقه، أَوْ مَاله، أَوْ وَالِده، أَوْ وَلَده، أَوْ زَوْجه، أَوْ خَادِمه، أَوْ ثَوْبه، أَوْ حَرَكَته، أَوْ طَلَاقَته، أَوْ عُبُوسَته، أَوْ غَيْر ذَلِكَ مِمَّا يَتَعَلَّق بِهِ، سَوَاء ذَكَرْته بِاللَّفْظِ أَوْ بِالْإِشَارَةِ وَالرَّمْز.[2]

وهذا هو المعنى في الشرع، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ». قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:«ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ». قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أخي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ».[3]

حُكْمُ الغِيبَةِ :

الغيبة حرام بنص القرآن والسنة وإجماع العلماء، بل هي من كبائر الذنوب، قال الله تَعَالَى: {وَلاَ يَغْتَب بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}.[4]

قال النووي رحمه الله: فأما الغيبة فهي ذكرُك الإنسانَ بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنه أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خَلقه أو خُلقه، أو ماله أو ولده أو والده، أو زوجه أو خادمه أو مملوكه، أو عمامته أو ثوبه، أو مشيته وحركته وبشاشته، وخلاعته وعبوسه وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابك، أو رمزتَ، أو أشرتَ إليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك. أما البدن فكقولك: أعمى أعرج أعمش أقرع، قصير طويل أسود أصفر. وأما الدِّيْنُ فكقولك: فاسق سارق خائن، ظالم متهاون بالصلاة، متساهل في النجاسات، ليس بارّاً

---

١ – تاج العروس من جواهر القاموس – ٣ / ٥٠١

٢ – فتح الباري لابن حجر – ١٧ / ٢٠٧

٣ – رواه مسلم– كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة– حديث: ٤٧٩٦

٤ – سورة الحجرات: الآية / ١٢



بوالده، لا يضعُ الزكاة مواضعَها، لا يجتنبُ الغيبة. وأما الدنيا: فقليلُ الأدب، يتهاونُ بالناس، لا يرى لأحد عليه حقاً، كثيرُ الكلام، كثيرُ الأكل أو النوم، ينامُ في غير وقته، يجلسُ في غير موضعه، وأما المتعلِّق بوالده فكقوله: أبوه فاسق، أو هندي أو نبطي أو زنجي، إسكاف بزاز نخاس نجار حداد حائك. وأما الخُلُق فكقوله: سيء الخلق، متكبّر مُرَاء، عجول جبَّار، عاجز ضعيفُ القلب، مُتهوِّر عبوس، خليع، ونحوه. وأما الثوب: فواسع الكمّ، طويل الذيل، وَسِخُ الثوب ونحو ذلك، ويُقاس الباقي بما ذكرناه. وضابطُه: ذكرُه بما يكره. [١]

الْغِيبَةُ تَحُتُّ الْإِيمَانَ عَنْ صَاحِبِهَا:

الغيبة من أعظم أسباب ذهاب الإيمان، فالمغتاب عارٍ عن الإيمان كالشجرة اليابسة التي تحات ورقها.

فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«الْغِيبَةُ وَالنَّمِيمَةُ يَحُتَّانِ الْإِيمَانَ كَمَا يَعْضِدُ الرَّاعِي الشَّجَرَةَ». [٢]

الْغِيبَةُ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ الْقَبْرِ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ». [٣]

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: (لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ نَظَرَ فِي النَّارِ فَإِذَا قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجِيَفَ قَالَ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ». قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ). [٤]

قال البخاري ﷺ: بَاب الْغِيبَةِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}. [٥]

ثم روى بسنده عَنِ عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ». ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ، فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ، فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا ، مَا لَمْ يَيْبَسَا». [٦]

---

١ – الأذكار النووية للإمام النووي – ١ / ٤٢٤

٢ – رواه الْأَصْبَهَانِيُّ

٣ – رواه أَحْمَدُ – حديث رقم : ١٣١١٢، رواه أبو داود كتاب الأدب، باب في الغيبة – حديث رقم : ٤٢٥٦

٤ – رواه أَحْمَدُ – حديث رقم: ٢٢٦١

٥ – سورة الحجرات : الآية /١٢

٦ – رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول – حديث: ١٣٢٣، ورواه مسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه– حديث: ٤٦٥

.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ مِنْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَالْبَوْلِ، وَإِيَّاكُمْ وَذَلِكَ».[1]

الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ رائحتُهُم كرَائِحَةِ الجِيفَةِ الْمُنْتِنَةِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَفَعَتْ رِيحُ جِيفَةٍ مُنْتِنَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ الرِّيحُ هَذِهِ رِيحُ الَّذِينَ يَغْتَابُونَ الْمُؤْمِنِينَ».[2]

الْغِيبَةُ تُحبِطُ الأَعْمَالَ الصالحةَ:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».[3]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ حَتَّى قَالَهَا أَرْبَعًا، فَلَمَّا كَانَ فِي الْخَامِسَةِ قَالَ: «زَنَيْتُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «وَتَدْرِي مَا الزِّنَى؟» قَالَ: نَعَمْ. أَتَيْتُ مِنْهَا حَرَامًا مَا يَأْتِي الرَّجُلُ مِنِ امْرَأَتِهِ حَلَالًا. قَالَ: «مَا تُرِيدُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ» قَالَ: أُرِيدُ أَنْ تُطَهِّرَنِي. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَدْخَلْتَ ذَلِكَ مِنْكَ فِي ذَلِكَ مِنْهَا كَمَا يَغِيبُ الْمِيلُ فِي الْمُكْحُلَةِ وَالْعَصَا فِي الشَّيْءِ؟» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَأَمَرَ بِرَجْمِهِ فَرُجِمَ، فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلَيْنِ يَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا، سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ تَدَعْهُ نَفْسُهُ حَتَّى رُجِمَ رَجْمَ الْكَلْبِ؟ فَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، ثُمَّ مَرَّ بِجِيفَةِ حِمَارٍ، فَقَالَ: «أَيْنَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ انْزِلَا فَكُلَا مِنْ جِيفَةِ هَذَا الْحِمَارِ» قَالَا: غَفَرَ اللَّهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ يُؤْكَلُ هَذَا؟ قَالَ: «فَمَا نِلْتُمَا مِنْ أَخِيكُمَا آنفًا أَشَدُّ أَكْلًا مِنْهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ الْآنَ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ يَتَقَمَّصُ فِيهَا».[4]

الكَلِمَةُ مِنْ الْغِيبَةِ لو مُزِجَتْ بماءِ الْبَحْرِ لَغَيرَتْهُ:

عَنْ عَائِشَةَ ﷺ أنها قَالَتْ: قُلْتُ للنَّبِيِّ ﷺ حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا تَعْنِى قَصِيرَةً فَقَالَ: « لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا».[5]

---

[1] - رواه البيهقي في إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين-

٢ – رواه أَحْمَدُ– حديث: ١٤٥٢٢ بسند حسن، والبخاري في الأدب المفرد – باب حديث: ٧٥٤

٣ – رواه البخاري–كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور – حديث: ١٨١٣

٤ – رواه ابن حبان– كتاب الحدود، باب ذكر البيان بأن المصطفى ﷺ رد ماعز بن مالك– حديث: ٤٤٦٤، وأبو يعلى– حديث: ٦٠٠٤، وأبو داود الطيالسي– حديث: ٢٥٩٥، بسند ضعيف

٥ – رواه أحمد– حديث:٢٥٠١٩، وأبو داود– كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث: ٤٢٥٣، والترمذي– كتاب الذبائح، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب حديث:٢٤٨٦، والبيهقي كتاب الشهادات– باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حديث: ١٩٦٩٠بسند صحيح

.

قَالَ النَّوَوِيّ: مزجته أي خالطته مخالطة يتغيرُ بها طعمُه أو ريحُه لشدّة نتنها وقبحها، وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئاً من الأحاديث يبلغُ في الذمّ لها هذا المبلغ.

الْغِيبَةُ أربا الربا:

عَنْ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَرْبَا الرِّبَا اسْتِطَالَةُ أَحَدِكُمْ فِي عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمُ». رواه البزار

ذَمُ السَلَفِ للْغِيبَةِ وَمَنْ يَقَعُ فِيهَا:

قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ : الْغِيبَةُ مَرْعَى اللِّئَامِ .

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: إياك والغيبة فإنها أدم كلاب النار.

وقال قتيبة لرجل يغتاب آخر: لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام، الغيبة مرعى اللئام وجهد العاجز.

وَقَالَ أَبُو عَاصِمٍ النَّبِيلُ: لَا يَذْكُرُ فِي النَّاسِ مَا يَكْرَهُونَهُ إِلَّا سَفَلَةٌ لَا دِينَ لَهُ.

قال بعض الحكماء أربعة من علامات اللؤم: أفشاء السر واعتقاد الغدر وغيبة الأحرار وإساءة الجوار.

قال عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنه قال لي أبي: إني أرى أمير المؤمنين – يعني عمر رضي الله عنه- يدنيك ويقربك، فاحفظ عني ثلاثاً: إياك أن يجرّب عليك كذبة، وإياك أن تفشي له سرًّا، وإيَّاك أن تغتاب عنده أحدًا، ثم قال: يا عبد الله! ثلاثاً وأيّ ثلاث. فقال له رجل: يا ابن عباس كلٌّ واحدةٍ خير من ألف فقال: بل كلٌّ واحدةٍ خيرٌ من عشرة آلاف.

أجر مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ فِي الْغِيبَةِ :

إذا أُنتهك عرضُ المسلمِ، وأسيء إليه حال غيبته، فيجب على من سمع ذلك أن يرد عنه بالغيب، وأن يذكر محاسن هذا الذي وقع الطعن عليه ذبا عنه وردا لهذا المغتاب، فإذا فعل ذلك فإن الله تعالى يرد عنه النار يوم القيامة والجزاء من جنس العمل.

فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيّ ﷺ قَالَ:« مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْض أَخِيهِ رَدَّ اللَّه عَنْ وَجْههِ النَّارَ يَوْم الْقِيَامَة».[1]

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ فِي الْغِيبَةِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ».[2]

١ – رواه أحمد- حديث رقم :٢٦٩٣٠، وروَاه التِّرْمِذِيّ- كتاب الذبائح، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم، حديث: ١٩٠٣ وقَالَ هَذَا حَدِيث حَسَن، وصححه الألباني

٢ – رواه أحمد- حديث رقم: ٢٦٩٩٨ بسند صحيح



.

مِنْ صُوَرِ الْغِيبَةِ:

كثير من الناس يظنون أن ألفاظ الغيبة لابد أن تكون قبيحة، كصفة ذم أو إظهار نقص، أو فضح بعيب، ولكن من الغيبة أيضا أمرًا لا يفطن له كثير من الناس، منه ما يكون في صورة دعاء، ومنه ما يكون حمدًا لله على المعافاة، ومنه ما هو إشارة، يفهم منها السامع المراد، ولو لم يتكلم بكلام قبيح.

قال الفضيل: الرجل يقول سبحان الله وأخشى عليه بذلك النار، وهو الذي يستمد بذلك الغيبة إذا سمعها.

وقيل: إذا رأيت من يغتاب الناس فأجهد جهدك أن لا يعرفك، فأشقى الناس به معارفه.

وقال النووي رحمه الله الغيبة: ذكرك الإنسان بما يكره، سواء ذكرته بلفظك أو في كتابك، أو رمزتَ أو أشرتَ إليه بعينك أو يدك أو رأسك. وضابطُه: كلّ ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرّمة، ومن ذلك المحاكاة بأن يمشي متعارجاً أو مُطَأْطِئاً أو على غير ذلك من الهيئات، مريداً حكاية هيئة من يَتَنَقَّصُهُ بذلك، فكلُّ ذلك حرام بلا خلاف، ومن ذلك إذا ذَكرَ مُصنفُ كتاب شخصاً بعينه في كتابه قائلاً : قال فلان كذا مريداً تنقيصه والشناعةَ عليه، فهو حرام، فإن أرادَ بيانَ غلطه لئلا يُقلَّدَ أو بيانَ ضعفه في العلم لئلا يُغترّ به ويُقبل قوله، فهذا ليس غيبة، بل نصيحة واجبة يُثاب عليها إذا أراد ذلك، وكذا إذا قال المصنف أو غيره: قال قوم أو جماعة كذا، وهذا غلط أو خطأ أو جَهالة وغفلة، ونحو ذلك فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين .

ومن ذلك غيبة المتفقهين والمتعبدين، فإنهم يعرضون بالغيبة تعريضاً يفهم به كما يفهم بالصريح، فيُقال لأحدهم: كيف حال فلان؟ فيقول : اللّه يُصلحنا، اللّه يغفر لنا، اللّه يُصلحه، نسأل اللّه العافية، نحمدُ اللّه الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة، نعوذ باللّه من الشرّ، اللّه يُعافينا من قلّة الحياء، اللّه يتوبُ علينا وما أشبه ذلك مما يُفهم منه تنقُّصه، فكل ذلك غيبة محرّمة، وكذلك إذا قال: فلان يُبتلى بما ابتلينا به كلُّنا، أو ماله حيلة في هذا، كلُّنا نفعلُه، وهذه أمثلة وإلا فضابط الغيبة: تفهيمك المُخاطَبِ نقص إنسان كما سبق، وكلُّ هذا معلوم من مقتضى الحديث الذي ذكرناه في الباب الذي قبل هذا عن صحيح مسلم وغيره في حدّ الغيبة، واللّه أعلم.[1]

الحالات التي تجوز فيها الغيبة:

الأولى التَظَلُّمُ: ودل عليه ما رواه جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى جِئْنَا امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ فِي الأَسْوَاقِ فَجَاءَتِ الْمَرْأَةُ بِابْنَتَيْنِ لَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَاتَانِ بِنْتَا ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ قُتِلَ مَعَكَ يَوْمَ أُحُدٍ وَقَدِ اسْتَفَاءَ عَمُّهُمَا مَالَهُمَا وَمِيرَاثَهُمَا كُلَّهُ فَلَمْ يَدَعْ لَهُمَا مَالاً إِلاَّ أَخَذَهُ فَمَا تَرَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَوَ اللَّهِ لاَ تُنْكَحَانِ أَبَدًا إِلاَّ وَلَهُمَا مَالٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقْضِى اللَّهُ فِي ذَلِكَ». قَالَ وَنَزَلَتْ سُورَةُ النِّسَاءِ (يُوصِيكُمُ

١ – الأذكار النووية للإمام النووي – ١ / ٤٢٨



اللَّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ) الآيَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْعُوا لِيَ الْمَرْأَةَ وَصَاحِبَهَا». فَقَالَ لِعَمِّهِمَا: «أَعْطِهِمَا الثُّلُثَيْنِ وَأَعْطِ أُمَّهُمَا الثُّمُنَ وَمَا بَقِيَ فَلَكَ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ أَخْطَأَ بِشْرٌ فِيهِ إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَا سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ قُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ.[1]

الثانية الاستِفتَاءُ: ودل عليه قولُ هِنْد امرأة أَبِي سُفْيَانَ رضي الله عنهما يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ آخُذَ مِنْ مَالِهِ مَا يَكْفِينِي وَبَنِيَّ قَالَ: «خُذِي بِالْمَعْرُوفِ».[2]

الثالثة التَحذِيرُ: ودل عليه قول النَّبيِّ ﷺ لفَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ رضي الله عنها: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلاَ يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لاَ مَالَ لَهُ انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ».[3]

قال النووي:وَفِيهِ دَلِيل عَلَى جَوَاز ذِكْر الْإِنْسَان بِمَا فِيهِ عِنْد الْمُشَاوَرَة وَطَلَب النَّصِيحَة وَلَا يَكُون هَذَا مِنْ الْغِيبَة الْمُحَرَّمَة بَلْ مِنْ النَّصِيحَة الْوَاجِبَة.

الرابعة المجاهرةُ بالفسقِ: ودل عليه قول النَّبيِّ ﷺ لرَجُل اسْتَأْذَنَ عَلَيه: «ائْذَنُوا لَهُ فَبِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ».[4]

قال ابن حجر: وَهَذَا الْحَدِيث أَصْل فِي الْمُدَارَاة، وَفِي جَوَاز غِيبَة أَهْل الْكُفْر وَالْفِسْق" وَنَحْوهمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَقَالَ الْخَلَّالُ: أَخْبَرَنِي حَرْبٌ سَـــمِعْت أَحْمَدَ رحمه الله يَقُولُ: إذَا كَانَ الرَّجُلُ مُعْلِنًا بِفِسْقِهِ فَلَيْسَتْ لَهُ غِيبَةٌ.

وَقَالَ أَنَسٌ وَالْحَسَنُ: مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ فِيهِ.

الخَامِسَةُ التَعْرِيفُ: ودل عليه قول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: «كَانَ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ مُؤَذِّنَانِ بِلَال وَابْن أُمّ مَكْتُوم الْأَعْمَى رضي الله عنهما».[5]

---

١ – رواه أَبو دَاوُدَ- كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث الصلب، حديث:٢٥٢٠، والترمذي- كتاب الفرائض، باب ما جاء في ميراث البنات، حديث:٢٠٦٩

٢ – رواه البخاري-كتاب النفقات، باب وعلى الوارث مثل ذلك وهل على المرأة منه شيء وضرب- حديث:٥٠٦١، ومسلم- كتاب الأقضية، باب قضية هند- حديث:٣٣١٩

٣ – رواه مسلم- كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها – حديث:٢٧٨٧

٤ – رواه البخاري- كتاب الأدب، بَاب لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا- حديث: ٥٦٩٢، ورواه مسلم- كتاب البر والصلة والآداب، باب مداراة من يتقى فحشه – حديث:٤٧٩٩

٥ – رواه مسلم- كتاب الصلاة، باب استحباب اتخاذ مؤذنين للمسجد الواحد – حديث: ٥٩٩



.

السَادِسَةُ طَلَبُ الْإِعَانَةِ عَلَى إِزَالَةِ مُنْكَرٍ:

وَنَظَمَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ فَقَالَ:

تَظَلَّمْ وَاسْتَغِثْ وَاسْتَفْتِ حَذِّرْ ***** وَعَرِّفْ بِدْعَةً فِسْقَ الْمُجَاهِرْ

وَنَظَمَ ذَلِكَ آخَرُ أَيضًا فَقَالَ:

الْقَــدْحُ لَيْسَ بِغِيبَةٍ فِي سِــتَّةٍ ***** مُتَظَلِّمٍ وَمُعَرِّفٍ وَمُحَــذِّرٍ

وَلِمُظْهِرٍ فِسْقًا وَمُسْتَفْتٍ وَمَــنْ ***** طَلَبَ الْإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرٍ

قال النووي: " اعلم أن الغيبة وإن كانت محرمة، فإنها تباح في أحوال:

الأول: التظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي، فيذكر أن فلاناً ظلمني.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا فازجره.

الثالث: الاستفتاء، بأن يقول للمفتي : ظلمني أبي.

الرابع: تحذير المسلمين من الشر ونصحهم، كجرح المجروحين من الرواة، ومنها إذا استشارك إنسان في مصاهرته، أو مشاركته، أو إيداعه، أو الإيداع عنده، أو معاملته، أو غير ذلك .

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب، كالأعمش والأعرج والأصم والأحول، جاز تعريفه بذلك بنية التعريف، ويحرم إطلاقه على جهة النقص.

سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ ﷀ عَنْ الرَّجُلِ يَسْأَلُ عَنْ الرَّجُلِ يَخْطُبُ إلَيْهِ فَيَسْأَلُ عَنْهُ فَيَكُونُ رَجُلَ سُوءٍ فَيُخْبِرُهُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ لِفَاطِمَةَ: «مُعَاوِيَةُ عَائِلٌ، وَأَبُو جَهْمٍ عَصَاهُ عَلَى عَاتِقِهِ»، يَكُونُ غِيبَةٌ إنْ أَخْبَرَهُ؟ قَالَ: الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ يُخْبِرُهُ بِمَا فِيهِ وَهُوَ أَظْهَرُ، وَلَكِنْ يَقُولُ مَا أَرْضَاهُ لَك وَنَحْوَ هَذَا أَحْسَنُ.



.

الغيبة تدل على نقص في المغتاب وقلة مروءته:

قيل: من وجدتموه عيابًا وجدتموه معيبًا لأنه يعيب الناس بفضل عيبه.

وصدق القائل:

وأجرأ من رأيتُ بظَهْرِ غيبٍ ***** على عيب الرجال أولو العيوب

و قال المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ***** فهي الشهادة لي بأني كامل

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(النَّمِيمَةُ)

تعريفُ النَّميمَةِ:

النَّميمَةُ هي: نَقْلُ كَلَامِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ.[1]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:« أَتَدْرُونَ مَا الْعَضْهُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ:«نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ لِيُفْسِدَ بَيْنَهُمْ».[2]

النَّميمَةُ من أشد الآفات فتكاً، وأبينها على الأحبة ضررًا، وأسرعها في إضرام نار العداوة شررًا، تعمل عمل السحر في تفريق الأحبة، وعمل السيوف في تمزيق أواصر ذوي القربى، فلا جرم أن كانت من أسباب عذاب البرزخ، ودليلاً على فساد أخلاق صاحبها، وسوء سريرته، وقبح طويته.

قال الله تعالى:{ وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ }.[3]

قال ابن كثير:{مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ} يعني: الذي يمشي بين الناس، ويحرِّش بينهم، وينقل الحديث لفساد ذات البين، وهي الحالقة.[4]

قال ابن منظور رحمه الله: وَيُقَالُ للنَّمَّام: القَتّاتُ، يُقَالُ: قَتَّ إِذَا مَشَى بالنَّميمة. وَيُقَالُ للنَّمّام قَسّاسٌ ودَرَّاجٌ وغَمّازٌ وهَمّازٌ ومائسٌ ومِمْآسٌ، وَقَدْ ماسَ مِنَ الْقَوْمِ ونَمِلَ. قال الْجَوْهَرِيُّ: نَمَّ الحديثَ يَنِمُّه ويَنُمُّه نَمّاً أَيْ قَتَّه، وَالِاسْمُ النَّميمَةُ.

---

١ – شرح النووي على مسلم – (٢/ ١١٢)

٢ – رواه مسلم– كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة ، حديث: ٤٨٢٤، والبخاري– في الأدب المفرد، باب المستبان ما قالا فعلى الأول، حديث: ٤٣٨ ، والبيهقي في السنن كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حديث: ١٩٦٨٤

٣ – سورة القلم : الآية /١٠، ١١

٤ – تفسير ابن كثير – ٨ / ١٩١



.

خَطَرُ النَّمِيمَةِ:

النمام لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ:

عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الْحَدِيثَ إِلَى عُثْمَانَ فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ».[1]

النمام شر الناس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«تَجِدُ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ بِحَدِيثِ هَؤُلَاءِ».[2]

وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: قَال النَبي ﷺ:«ألا أُخبِرُكم بخيَاركُم؟» قالوا: بلى قال:« الذينَ إذا رُؤوا ذُكِر الله. أفَلا أُخبِرُكم بشِرارِكُم؟» قالوا بلى. قَال:«المَشاءوُن بِالنَميمَةِ المُفسِدُون بَينَ الأحِبةِ البَاغُون البُرآءَ العَنَت».[3]

النَّمِيمَةُ تعمل عمل السحر بل أشد:

النَّمِيمَةُ تعمل عمل السحر بل أشد من عمل السحر في تمزيق الأواصر، وإفساد ذات البين، وإذا كان إصلاح ذات البين أفضل عند الله تعالى مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ، فإن إفساد ذَاتِ الْبَيْنِ تَحْلِقُ الدِّينَ وتذهب به.

فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ»، قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «صَلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ».[4]
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ».[5]

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:« أَتَدْرُونَ مَا الْعَضْهُ؟». قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «نَقْلُ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ إِلَى بَعْضٍ لِيُفْسِدَ بَيْنَهُمْ».[6]

---

١ – رواه البخاري– كتاب الأدب، باب ما يكره من النميمة – حديث:٥٧١٦، ومسلم– كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم النميمة، حديث: ١٧٧

٢ – رواه أحمد– حديث: ١٠٢١٩، والبيهقي في السنن– كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حديث: ١٩٦٨٠ بسند صحيح

٣ – رواه أحمد– حديث:١٧٦٨٦، رواه البخاري في الأدب المفرد بسند حسن، باب النمام، حديث: ٣٣٣

٤ – رواه الترمذي بسند صحيح

٥ – رواه مسلم– كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، حديث:٤٨٢٤

٦ – رواه مسلم– كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم النميمة، حديث: ٤٨٢٤، والبخاري– في الأدب المفرد، باب المستبان ما قالا فعلى الأول، حديث: ٤٣٨، والبيهقي في السنن كتاب الشهادات، باب من عضه غيره بحد أو نفي نسب ردت شهادته، حديث: ١٩٦٨٤،

والْعَضْهُ يطلق على النميمة، ويطلق على السحر، ويطلق على السخرية، ويطلق على التمزيق، ومنه قوله تعالى: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ }.[1]

عن ابن عباس: {جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} قال: هم أهل الكتاب، جَزَّؤوه أجزاء، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه.[2]

ومعنى الحديث: أي أَتَدْرُونَ مَا السحر؟، وَالْعَضْهُ هي السحر، وكأن النبي ﷺ حصر السحر في النميمة تحذيرًا منها. ثم قال: هي النميمة، فالنميمة تقطع أواصر المحبة بين الناس، وتقطع وشائج الصلة بين الأهل والجيران ، وهي من كبائر الذنوب، وهي سبب للعذاب في القبر، ومن أسباب حرمان دخول الجنة، فالنميمة سبب لإفساد المجتمعات، وتدمير البيوتات، فهي كالسحر من حيث التفريق بين الناس، ففيها تفريق، كما أن السحر فيه تفريق.[3]

النميمة من أعظم أسباب العداوة والبغضاء، فهي تعمل عمل السحر في قلب المحبة عداوة في لحظات معدودة لذلك كانت من الكبائر، وكانت الجنة على من اتصف بها محرمة، وكان صاحبها من شر الناس بل هو شرهم لفريقه بين الأحبة، وإفساده ذات البين.

قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: النَّمَّامُ يُفْسِدُ فِي سَاعَةٍ مَا لا يُفْسِدُ السَّاحِرُ فِي شَهْرٍ.

فإذا أتى إنسان لإنسان آخر فقال له مثلاً :(خذ حذرك من فلان فقد سمعته يقول أنه يبغضك، ويقول عنك أنك سيء الأخلاق، وضعيف الشخصية، وبخيل وكذا وكذا ....) أقول هل يمكن أن يكون حال مَنْ قيل له هذا الكلام كما كان قبل هذا الكلام ؟

لا والله، بل لو كان من بَلَغَهُ هذا الكلام عن أحب الناس إلى قلبه لتحولت محبته إلى بغضاء وعداوة، بقدر هذه المحبة، لذلك سماها النبي ﷺ (الْعَضْهُ) لأنها تمزق المجتمعات، وتفسد المودات، وتثير العداوات، وليس هناك أدل على تأثر القلب من النميمة من نهي النبي ﷺ عن نقل الكلام إليه.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لاَ يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ».[4]

---

١ – سورة الحجر: الآية/٩١

٢ – تفسير ابن كثير – ٤/ ٥٤٩

٣ – المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه – ٢ / ٤٧٦

٤ – رواه أحمد – حديث:٣٦٥٠، وأبو داود– كتاب الأدب، باب في رفع الحديث من المجلس، حديث:٤٢٣٩ والترمذي بسند ضعيف

.

النمامُ كذابٌ مفترٍ:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ أَنْ لاَ نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ نَسْرِقَ وَلاَ نَزْنِي وَلاَ نَقْتُلَ أَوْلاَدَنَا وَلاَ يَعْضَهَ بَعْضُنَا بَعْضًا « فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأُقِيمَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ ».[1]

ولقد صدق القائل:

والنميمة والكذب رضيعا لبان ***** وفي مشوار الدناءة فرسا رهان

وكلم معاوية الأحنف في شيء بلغه عنه فأنكره الأحنف فقال له معاوية: بَلَّغَنِي عنك الثقةُ فقال له الأحنف:إن الثقة لا يُبَلِّغُ مكروهاً.

وكيف يوثق بالنمام وهو في أحسن حالاته فاسق إن كان صادقاً، وإن كانت الأخرى فهو كذاب.

ولا تثقنَّ بالنمــامِ فيما ***** حَباكَ من النصيحةِ في الخلاءِ
وأيقنْ أن ما أُفضِيَ إليهِ ***** من الأسرَارِ مُنكشِفُ الغِطاءِ

وكيف يوثق بالنمام وهو ناقض للعهد خائن للأمانة، ساع بالفساد في الأرض مفرق بين الأحبة قاطع لأواصر الصلة، يعمل عمل السحرة، ويمكر مكر الشياطين.

من نمَّ في الناسِ لم تؤمــنْ عقاربهُ ***** على الصــديقِ ولم تؤمنْ أفاعيهِ
كالســيلِ بالليلِ لا يَدري به أحدٌ ***** من أين جاء ؟ ولا من أين يأتيهِ
فالويلُ للعهــدِ منــه كيفَ ينقضُهُ ***** والويلُ للودِّ منــه كيــفَ يفنيهِ

وصدق والله القائل:

تنحّ عن النميمة واجتنبها ***** فإن النم يُحبطُ كلَّ أجرٍ
يُثير أخو النميمةِ كلّ شر ***** ويكشف للخلائق كل سرٍ
ويقتل نفسه وسواه ظلماً ***** وليس النمُّ من أفعال حر

---

١ – رواه أحمد – حديث:٢٢١٤٢ ، ومسلم –كتاب الحدود، باب الحدود كفارات لأهلها، حديث:٣٣١٠



.

النَّمِيمَةُ كبيرة من الكبائر وسبب من أسباب عذاب القبر:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَبْرَيْنِ فَقَالَ «أَمَا إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ». قَالَ فَدَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ ثُمَّ غَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا ثُمَّ قَالَ «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا».[١]

بالنميمة تسفك الدماء:

قال عطاء بن السائب:"قدمت من مكة، فلقيني الشعبي فقال: يا أبا زيد أطرفنا مما سمعت؛ قلت: سمعت عبد الرحمن ابن عبد الله بن سابط يقول: لا يسكن مكة سافك دم، ولا آكل ربا، ولا مشاءٌ بنميم؛ فعجبت منه حين عدل النميمة بسفك الدماء وأكل الربا، فقال الشعبي: وما يعجبك من هذا؟ فهل تسفك الدماء وتركب العظائم إلا بالنميمة؟".

عن حميد الطويل: كان رجل له غلام فباعه وقال للمشتري: إني أبرأ إليك من كل عيب به إلا عيباً واحداً. قال: وما هو؟ قال: النميمة. قال: أنت بريء منه فإني لا أقبل قوله. قال: فما لبث إلا قليلاً حتى أتى السيد وقال: إن امرأتك بغيّ وهي تريد أن تقتلك وتتزوج غيرك. قال: وما يدريك؟ قال: قد عرفت ذلك، فتناوم عليها فإنه سيظهر لك ما أقول، وأتى المرأة فقال: إن زوجك يريد أن يخلعك ويتزوج غيرك، فهل لك أن أرقيك فيرجع إليك حبه؟ قالت: نعم ولك كذا وكذا. قال: ائتني بثلاث شعرات من تحت حنكه. فلما دنت منه لتتناول الشعر قام إليها بالسيف ولم يشك فيما قاله الغلام فقتلها، وجاء إخوة المرأة فقتلوا الزوج فذهبا جميعاً بسوء صنيع عبدهما وقبولهما نميمته.[٢]

النَّمِيمَةُ تورث الضغائن والأحقاد:

ومن أمثال العرب:(النَّميمَةُ أُرْثَةُ العَدَاوَةِ).

قال أبو حاتم ﷺ : هذا وأمثاله من ثمرة النميمة، لأنها تهتك الأستار، وتفشي الأسرار، وتورث الضغائن، وترفع المودة، وتجدد العداوة، وتبدد الجماعة، وتهيج الحقد، وتزيد الصد، فمن وُشِيَ إليه عن أخ كان الواجب عليه

---

١ – رواه البخاري – كتاب الأدب، باب الغيبة، حديث: ٥٧١٢ ، ومسلم – الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، حديث:٤٦٥

٢ – المحاسن والمساوئ – ١ / ٢٤٣



.

معاتبته على الهفوة إن كانت، وقبول العذر إذا إعتذر، وترك الإكثار من العتب، مع توطين النفس على الشكر عند الحفاظ، وعلى الصبر عند الضياع، وعلى المعاتبة عند الإساءة.[1]

من يخبرك بشتم عن أخ ***** فهو الشاتم لا من شتمك

ذاك شيء لم يواجهك به ***** إنما اللوم على من أعلمك

وأما السعاية إلى السلطان،وإلى كل ذي قدرة ، فهي المهلكة والحالقة، التي تجمع الخصال الذميمة من الغيبة، وشؤم النميمة والتغرير بالنفوس والأموال في النوازل والأحوال، وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته، والسيد عن مرتبته؛ فكم دم أراقه سعي ساع،وكم حريم استبيح بنميمة نمام، وكم من صفيين تباعدا، وكم متواصلين تقاطعا، وكم من محبين افتراقا، وكم من إلفين تهاجرا، وكم من زوجين تطالقا، فليتق الله ربه عز و جل رجلٌ ساعدته الأيام، وتراخت عنه الأقدار، أن يصغي لساعٍ أو يستمعَ لنمامٍ.

وكان الفضل بن سهل يبغض السعاية وإذا أتاه ساع يقول له: إن صدقتنا أبغضناك، وإن كذبتنا عاقبناك، وإن استقلتنا أقلناك.

وكتب في جواب كتاب ساعٍ: نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية؛ لأن السعاية دلالة والقبول إجازة، وليس من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعي فإنه لو كان في سعايته صادقاً لكان في صدقه لئيمًا إذ لم يحفظ الحرمة، و لم يستر العورة.

وقال بعض الحكماء: الأشرار يتبعون مساوئ الناس ويتركون محاسنهم، كما يتبع الذباب المواضع الأليمة من الجسد ويترك الصحيحة.

قال محمد بن شرف القيرواني يصف نمامًا:[2]

وناصت نحو أفواه الورى أذنًا ***** كالقعب يلفظ منها كل ما سقطا

يظل بالقول والأخبار مجتهدًا ***** حتى إذا ما وعاها زق ما لقطا

وحكى أن عمرو بن معاوية ابن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان العتبي رأى رجلاً يسعى برجل عند صديق له فقال له نزه سمعك عن استماع الخنى كما تنزه لسانك عن التكلم به فإن السامع شريك القائل وإنما نظر شرَ ما في وعائه فأفرغه في وعائك، ولو ردت كلمة ساع إلى فيه لسعد رادها كما شقى قائلها والنمام شر من الساحر فإن النمام يفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسد الساحر في المدة الطويلة.

---

١ – روضة العقلاء – ١ / ١٨٠

٢ – غرر الخصائص الواضحة – (ص: ٦٨)



.

أتى رجل عبد الله بن عباس ﷺ وهو والي البصرة من قبل علي ﷺ بنميمة فقال له: إن شئت سألنا عما جئت به فإن كنت صادقاً مقتناك، وإن كنت كاذباً عاقبناك، وإن شئت أقلناك، فقال إن شئت أن تفعل فافعل.

وقيل:

توخ من الطرق أوساطها ***** وَعُدْ عن الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح ***** كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع الحديث ***** شريك لقائله فانتبه

وَقال أبو الأسود الدؤلي:

لا تقبلنّ نميمة بلغتها ***** وتحفظنّ من الذي أنباكها

إنّ الذي ألقى إليك نميمة ***** سينمّ عنك بمثلها قد حاكها

بم تكون النَّمِيمَةُ؟

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْإِحْيَاءِ: اعْلَمْ أَنَّ النَّمِيمَةَ إِنَّمَا تُطْلَقُ فِي الْأَكْثَرِ عَلَى مَنْ يَنِمَّ قَوْلَ الْغَيْرِ إِلَى الْمَقُولِ فِيهِ كَمَا تَقُولُ فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ فِيكَ بِكَذَا قَالَ وَلَيْسَتِ النَّمِيمَةُ مَخْصُوصَةٌ بِهَذَا بَلْ حَدُّ النَّمِيمَةِ: كَشْفُ مَا يُكْرَهُ كَشْفُهُ سَوَاءٌ كَرِهَهُ الْمَنْقُولُ عَنْهُ أَوِ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ أَوْ ثَالِثٌ وَسَوَاءٌ كان الكشف بالنكاية أَوْ بِالرَّمْزِ أَوْ بِالْإِيمَاءِ فَحَقِيقَةُ النَّمِيمَةِ إِفْشَاءُ السِّرِّ وَهَتْكُ السِّتْرِ عَمَّا يُكْرَهُ كَشْفُهُ فَلَوْ رَآهُ يُخْفِي مَالًا لِنَفْسِهِ فَذَكَرَهُ فَهُوَ نَمِيمَةٌ.

ما يجب على مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ:

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْإِحْيَاءِ: وَكُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ نَمِيمَةٌ وَقِيلَ لَهُ فُلَانٌ يَقُولُ فِيكَ أَوْ يَفْعَلُ فِيكَ كذا فعليه ستة أمور:

الأول: أن لا يُصَدِّقَهُ لِأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ.

الثَّانِي: أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْصَحَهُ وَيُقَبِّحَ لَهُ فِعْلَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَجِبُ بُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُ الله تعالى.

الرابع: أن لا يظن بأخيه الغائب السوء.

الخامس: أن لا يَحْمِلَهُ مَا حُكِيَ لَهُ عَلَى التَّجَسُّسِ وَالْبَحْثِ عن ذلك.

السادس: أن لا يَرْضَى لِنَفْسِهِ مَا نُهِيَ النَّمَّامُ عَنْهُ فَلَا يَحْكِي نَمِيمَتَهُ عَنْهُ فَيَقُولُ فُلَانٌ حَكَى كَذَا فَيَصِيرُ بِهِ نَمَّامًا وَيَكُونُ آتِيًا مَا نُهِيَ عَنْهُ.



.

متى يجوز نقل الكلام؟

قال النووي ﷺ عن النَّمِيمَةِ: فَإِنْ دَعَتْ حَاجَةٌ إِلَيْهَا فَلَا مَنْعَ مِنْهَا وَذَلِكَ كَمَا إِذَا أَخْبَرَهُ بِأَنَّ إِنْسَانًا يُرِيدُ الْفَتْكَ بِهِ أَوْ بأهله أو بماله أو أخبر الامام أومن لَهُ وِلَايَةٌ بِأَنَّ إِنْسَانًا يَفْعَلُ كَذَا وَيَسْعَى بِمَا فِيهِ مَفْسَدَةٌ وَيَجِبُ عَلَى صَاحِبِ الْوِلَايَةِ الْكَشْفُ عَنْ ذَلِكَ وَإِزَالَتُهُ فَكُلُّ هَذَا وَمَا أشبهه لَيْسَ بِحَرَامٍ وَقَدْ يَكُونُ بَعْضُهُ وَاجِبًا وَبَعْضُهُ مُسْتَحَبًّا عَلَى حَسَبِ الْمَوَاطِنِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.[1]

قالوا عن النَّمِيمَةِ:

وقال المأمون: النميمة لا تَقرَبُ مودةَ إلا أفسدها، ولا عداوةَ إلا جددها، ولا جماعة إلا بددها، ثم لا بد لمن عرف بها ونسب إليها أن يجتنب، ويخاف من معرفته، ولا يوثق بمكانه.[2]

وقيل: من سعى بالنميمة حذره الغريب، ومقته القريب.

وقالوا: لم يمش ماش شر من واش. والساعي بالنميمة يهلك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه.

وقيل: النميمة من الخصال الذميمة تدل على نفسٍ سقيمةٍ وطبيعةٍ لئيمةٍ مشغوفةٍ بهتك الأستار، وإفشاء الأسرار.

---

١ - شرح النووي على مسلم – (٢/ ١١٣)

٢ – سراج الملوك – ١ / ١٢٩



مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(شَهَادَةُ الزُّورِ)

مَعْنَى الزُّورِ:

الزُّورُ لغةً: أصل ثلاثي يدل على الميل والانحراف، والتحسين والقوة.

فَالزُّورُ هو الشيء الذي جُمِّلَ وحُسِّنَ وانحرف عن أصله بشدة.

عَنْ أَسْمَاءَ ﵂ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي ضَرَّةً، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ».[1]

تحريم كتمان الشهادة ووجوب أدائها:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.[2]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا}.[3]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ}.[4]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}.[5]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}.[6]

---

١ – رواه البخاري– كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل، حديث: ٤٩٢٥، ومسلم –كتاب اللباس والزينة باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع بما لم يعط، حديث: ٤٠٦٦

٢ – سورة المائدة الآية / ٨

٣ – سورة النساء الآية / ١٣٥

٤ – سورة المعارج الآيات / ٣٣:٣٥

٥ – سورة البقرة الآية / ٢٨٣

٦ – سورة البقرة الآية /١٤٠



وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا}.[١]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}.[٢]

اثنى الله تعالى على المؤمنين بترك شهادة الزور:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا}.[٣]

أَيْ: لَا يَشْهَدُونَ الشَّهَادَةَ الْكَاذِبَةَ، أَيْ: شَهَادَةُ الزُّورِ، وَهِيَ الْكَذِبَ مُتَعَمِدًا عَلَى غَيْرِهِ.

انْتِشَارُ شَهَادَةِ الزُّورِ مِنْ أَشْرَاطِ الْسَاعَةِ:

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قَالَ عِمْرَانُ لاَ أَدْرِى أَذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدُ قَرْنَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلاَ يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ، وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ وَيَنْذِرُونَ وَلاَ يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ».[٤]

وقول النَّبيِّ ﷺ: «وَيَشْهَدُونَ، وَلاَ يُسْتَشْهَدُونَ» يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه يراد به: شاهد الزور؛ فإنَّه يشهد بما لم يشهد؛ أي: بما لم يحمله.

والثاني:أن يراد به الذي يحمله الشَّرَهُ على تنفيذ ما يشهد به فيبادر بالشهادة قبل أن يُسْأَلَها. فهذه شهادة مردودة، فإن ذلك يدلُّ على هوى غالب على الشاهد.[٥]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ». قَالَ إِبْرَاهِيمُ: وَكَانُوا يَضْرِبُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ.[٦]

قَالَ اِبْن اَلْجَوْزِيِّ: اَلْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَتَوَرَّعُونَ وَيَسْتَهِينُونَ بِأَمْرِ اَلشَّهَادَة وَالْيَمِين.[١]

---

١ – سورة الطلاق الآية /٢

٢ – سورة الفرقان الآية / ٧٢

٣ – سورة الفرقان: الآية/ ٧٢

٤ – رواه البخاري– كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد – حديث: ٢٥٢٩، ومسلم– كتاب فضائل الصحابة ﷺ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم – حديث: ٤٧٠٨

٥ – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – ٧ / ٢٩٦

٦ – رواه البخاري– كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد– حديث: ٢٥٣٠، ومسلم– كتاب فضائل الصحابة } ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم – حديث: ٤٧٠٤

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ، لا تَنْقَضِي هَذِهِ الدُّنْيا، حَتَّى يَقَعَ بِهِمُ الْخَسْفُ، وَالْقَذْفُ، وَالْمَسْخُ، قَالُوا: وَمَتَى ذَاكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ النِّسَاءَ رَكِبْنَ السُّرُوجَ، وَكَثُرَتِ الْقَيْنَاتُ، وَفَشَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ، وَاسْتَغْنَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ».[٢]

شَهَادَةُ الزُّورِ تُحْبِطُ الأَعْمَالَ الصَالِحَةَ:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».[٣]

قِيلَ يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ لَمْ يَدَعْ ذَلِكَ مُطْلَقًا غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِصَوْمٍ أَيْ مَنْ لَمْ يَتْرُكِ الْمَعَاصِي مَاذَا يَصْنَعُ بِطَاعَتِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ لَمْ يَتْرُكْ حَالَةَ الصَّوْمِ وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِبَعْضِ الرِّوَايَاتِ قَوْلُهُ (فَلَا حَاجَةَ إِلَخْ) كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ الْقَبُولِ وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ لِلَّهِ تَعَالَى إِلَى عِبَادَةِ أَحَدٍ.[٤]

شَهَادَةُ الزُّورِ مَنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟» ثَلاَثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ - أَلاَ وَقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.[٥]

شَهَادَةُ الزُّورِ تعدل الإِشْرَاكَ بِاللَّهِ:

عَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ ﷺ قَالَ صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاَةَ الصُّبْحِ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَامَ قَائِمًا فَقَالَ: «عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالإِشْرَاكِ بِاللَّهِ» ثَلاَثَ مِرَارٍ ثُمَّ قَرَأَ: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ}.[٦]

---

١ - فتح الباري - ٨ / ١٦١

٢ - رواه الحاكم - كتاب الفتن والملاحم - حديث: ٨٤١٣، والطبراني في الأوسط - حديث: ٥١٦٤

٣ - رواه البخاري-كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور - حديث: ١٨١٣

٤ - حاشية السندي على سنن ابن ماجه - (١/ ٥١٧)

٥ - رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور- حديث: ٢٥٣٢، وَمُسْلِمٌ- كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها- حديث: ١٥١

٦ - رَوَاهُ أَحْمَدُ حديث: ١٨٥٣٨، وأبو داود- كتاب الأقضية، باب في شهادة الزور - حديث: ٣١٤١، وَابْنُ مَاجَةْ - كتاب الأحكام، باب شهادة الزور - حديث: ٢٣٦٩ ، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب البيوع و الأقضية، ما ذكر في شهادة الزور - حديث: ٢٢٥٤٨ بسند ضعيف



شَهَادَةُ الزُّورِ مِن مُوجِبَاتِ النَارِ:

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ».[١]

قَالَ ابْنِ شُبْرُمَةَ: الْقَضَاءُ فِى قَلِيلِ الْمَالِ وَكَثِيرِهِ سَوَاءٌ.[٢]

شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ أسْبَابِ سَخَطِ الله تَعَالَى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعودﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ قَالَ عَبْدُ الله ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ؟ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ الله جَلَّ ذِكْرُهُ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}».[٣]

مَا يَتَرَتَّبُ عَلَى شَهَادَةِ الزُّورِ مِنْ الجَرَائِمِ:

إن الله تبارك وتعالى حرم شهادة الزور، لكونها سبباً لإبطال الحق، وحرم كتمانها، لكونه سبباً أيضًا لإبطال الحق، ويترتب علي شهادة الزور من الضرر مالا يعلم مداه إلا الله تعالى فبسببها تُزهق النفوس المعصومة، ويَنتصِرُ الظالم على المظلوم، وتُهدر الحقوقُ، وتُؤكل الأموال بالباطل، وتُستباح الفروجُ المحرمة.

ويترتب عليها كذلك نجاة الجاني من العقاب، ويترتب عليها كذلك اتهام البرءآء من الناس، وتبرئة المتهمين.

حكم الحاكم لا يحل حرامًا ولا يحرم حلالًا:

ربما يظن بعض الناس أنه إذا توصل لأمر ما بحكم محكمة أن هذا الذي توصل إليه وهو ليس في الحقيقة حقًا له بل هو حق غيره، ربما ظن أن هذا الحكم يبرئ ساحته أمام الله تعالى، أو أن هذا الحكم يحل له حق أخيه، فعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ فَلَا يَأْخُذْهَا».[٤]

---

١ – رَوَاهُ مُسْلِمٌ– كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار – حديث: ٢٢١

٢ – شرح صحيح البخارى لابن بطال – (٨/ ٢٥٦)

٣ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ – كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة – حديث: ٧٠٢٩، سورة آل عِمْرَانَ:الآية/ ٧٧

٤ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ – كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين – حديث: ٢٥٥٥

.

قال الصنعاني: وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ حُكْمَ الْحَاكِمِ لَا يَحِلُّ بِهِ لِلْمَحْكُومِ لَهُ مَا حَكَمَ لَهُ بِهِ عَلَى غَيْرِهِ إذَا كَانَ مَا ادَّعَاهُ بَاطِلًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَمَا أَقَامَهُ مِنْ الشَّهَادَةِ كَاذِبًا، وَأَمَّا الْحَاكِمُ فَيَجُوزُ لَهُ الْحُكْمُ بِمَا ظَهَرَ لَهُ وَالْإِلْزَامُ بِهِ، وَتَخْلِيصُ الْمَحْكُومِ عَلَيْهِ مِمَّا حَكَمَ بِهِ لَوْ امْتَنَعَ وَيَنْفُذُ حُكْمُهُ ظَاهِرًا وَلَكِنَّهُ لَا يَحِلُّ بِهِ الْحَرَامُ إذَا كَانَ الْمُدَّعِي مُبْطِلًا وَشَهَادَتُهُ كَاذِبَةٌ.[1]

عقوبة شَاهِدِ الزُّورِ:

عَنْ مَكْحُولٍ، وَالْوَلِيدِ بْنِ أَبِي مَالِكٍ، قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي شَاهِدِ الزُّورِ يُضْرَبُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا، وَيُسَخَّمُ وَجْهُهُ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ، وَيُطَافُ بِهِ، وَيُطَالُ حَبْسُهُ».[2]

---

١ – سبل السلام – (٦ / ٤٠٧)

٢ – رواه ابن أبي شيبة– كتاب الحدود، فِي شَاهِدِ الزُّورِ مَا يُعَاقَبُ ؟ – حديث: ٢٨١٣١ ، والبيهقي في السنن الكبرى– كتاب آداب القاضي جماع أبواب ما على القاضي في الخصوم والشهود – باب : ما يفعل بشاهد الزور، حديث: ١٩٠٧٠

التَأَلِّي على الله تعالى

الْإِيلَاء بِالْمدِّ هُوَ الْحلف وَهُوَ مصدر يُقَال آلى بِالْمدِّ يولي إِيلَاء وتألى وائتلى أَي حلف.

وآلَى يُؤْلِي إِيلَاء وائْتَلى يَأْتَلي ائتِلاءً وتَأَلَّى يَتَأَلَّى تَأَلِّياً: أَقْسَمَ وحَلَفَ. يقالُ: آلَيْتُ على الشَّيْءِ وآلَيْتُه.

وَفِي الحَدِيث: (آلَى مِن نسائِهِ شَهْراً)، أَي حَلَفَ لَا يدْخُلُ عليهنَّ، وإنَّما عَدَّاهُ بمِنْ حَمْلاً على المعْنَى، وَهُوَ الامْتِناعُ مِن الدُّخُول، وَهُوَ يتَعَدَّى بمِنْ وللإيلاءِ فِي الفِقْه أَحْكامٌ تخصُّه لَا يُسَمَّى إيلَاء دونَها.

وَفِي حدِيثِ عليَ ﷺ: (ليسَ فِي الإصْلاح إيلاءٌ) أَي أَنَّ الإيلاءَ إنَّما يكونُ فِي الضِّرارِ والغَضَبِ لَا فِي النَّفْعِ والرِّضا.

وقالَ الفرَّاءُ: الائْتِلاءُ الحَلِفُ؛ وَبِه فُسِّر قَوْلَه تَعالَى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الفَضْلِ}، أَي لَا يَحْلِفُ، لأنَّها نزلتْ فِي حلفِ أَبي بكْرٍ أَنْ لَا يُنْفِقَ على مِسْطَح؛ وقَرَأَ بعضُ أَهْلِ المَدينَةِ {وَلَا يَتَأَلَّى أُولُو الفَضْلِ} بمَعْناه وَهِي شاذَّةٌ.

وَفِي الحديثِ: (وَيْلٌ للمُتَأَلِّينَ مِن أُمَّتِي) ، يعْنِي الَّذين يَحْكمونَ على اللَّهِ ويَقولُونَ فلانٌ فِي الجَّنةِ وفلانٌ فِي النارِ.

وقيلَ: التَّأَلِّي على اللَّهِ أَنْ يقولَ: وَالله لَيُدْخِلَنَّ فلَانا النارَ، ويُنَجسَنَّ اللَّهُ سَعْيَ فلانٍ. وكَذلِكَ قَوْلُه فِي الحدِيث: مَنِ المُتَأَلِّي على اللَّهِ.[1]

فعَنْ جُنْدَب أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلاً قَالَ وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِفلاَنٍ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».[2]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلاَنِ في بني إِسْرَائِيلَ مُتَآخِيَيْنِ فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ وَالآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ أَقْصِرْ. فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ أَقْصِرْ فَقَالَ خَلِّنِي وَرَبِّى أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقُبِضَ أَرْوَاحُهُمَا فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ أَكُنْتَ بِي عَالِمًا أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي وَقَالَ لِلآخَرِ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.[3]

---

١ – تاج العروس – (٣٧/ ٩١)

٢ – وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ – كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى – حديث: ٤٨٦٠

٣ – رواه أحمد حديث: ٨١٠٦، وأبو داود كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي– حديث: ٤٢٧٦، وابن حبان كتاب الحظر والإباحة باب ما يكره من الكلام وما لا يكره – حديث: ٥٧٩٠

.

عَنْ جعْفَرٍ الْعَبْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَيْلٌ لِلْمُتَأَلِّينَ مِنْ أُمَّتِي الَّذِينَ يَقُولُونَ: فُلَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفُلَانٌ فِي النَّارِ".[١]

أنواع التَّأَلِّي:

التَّأَلِّي عَلَى اللَّهِ أن لاَ يَفْعَلُ المَعْرُوفَ:

قال الله تعالى: {وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ}.[٢]

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: (أي لا تحلفوا بالله عن فعل الخير، فإذا قيل لكم: اتقوا وبروا، وأصلحوا بين الناس قلتم: حلفنا بالله لا نفعل ذلك، فتجعلوا الحلف بالله سببًا للامتناع من فعل الخير). انتهى[٣]

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَت: سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ، وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لاَ أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيْنَ المُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ، لاَ يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟» فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبَّ.[٤]

وفي رواية عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، أَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ دَيْنًا لَهُ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي المَسْجِدِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ، وَنَادَى كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: «يَا كَعْبُ» قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ، قَالَ كَعْبٌ: قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قُمْ فَاقْضِهِ».[٥]

قَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.[٦]

هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي الصدِّيق، حِينَ حَلَفَ أَلَّا يَنْفَعَ مِسْطَحَ بْنَ أُثَاثَةَ بِنَافِعَةٍ بَعْدَمَا قَالَ فِي عَائِشَةَ مَا قَالَ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ. فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ براءةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ، وَطَابَتِ النُّفُوسُ الْمُؤْمِنَةُ وَاسْتَقَرَّتْ، وَتَابَ اللَّهُ عَلَى مَن كَانَ

---

١ – رواه ابن بطة في الإبانة– بَابُ ذِكْرِ الذُّنُوبِ الَّتِي تَصِيرُ بِصَاحِبِهَا إِلَى كُفْرٍ غَيْرِ خَارِجٍ عَنِ الْمِلَّةِ، حديث: ١٠٤٩ بسند ضعيف

٢ – سورة البقرة: الآية/ ٢٢٤

٣ – أضواء البيان – (٥ / ٤٨٧)

٤ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كِتَابُ الصُّلْحِ، بَابٌ: هَلْ يُشِيرُ الإِمَامُ بِالصُّلْحِ، حديث: ٢٧٠٥، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ– كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْوَضْعِ مِنَ الدَّيْنِ، حديث: ١٥٥٧

٥ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ رَفْعِ الصَّوْتِ فِي المَسَاجِدِ، حديث: ٤٧١، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ– كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْوَضْعِ مِنَ الدَّيْنِ، حديث: ١٥٥٨

٦ – سورة النُّورِ: الآية/ ٢٢



تَكَلَّمَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ، وَأُقِيمَ الْحَدُّ عَلَى مَن أُقِيمَ عَلَيْهِ -شَرَعَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَهُ الْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ، يعطفُ الصدِّيق عَلَى قَرِيبِهِ وَنَسِيبِهِ، وَهُوَ مِسْطَح بْنُ أُثَاثَةَ، فَإِنَّهُ كَانَ ابْنَ خَالَةِ الصَّدِيقِ، وَكَانَ مِسْكِينًا لَا مَالَ لَهُ إِلَّا مَا يُنْفِقُ عَلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ، ﷺ وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَدْ وَلَق وَلْقَة تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْهَا، وضُرب الْحَدَّ عَلَيْهَا. وَكَانَ الصَّدِّيقُ، ﷺ مَعْرُوفًا بِالْمَعْرُوفِ، لَهُ الْفَضْلُ وَالْأَيَادِي عَلَى الْأَقَارِبِ وَالْأَجَانِبِ. فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى قَوْلِهِ: {أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} أَيْ: فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَكَمَا تَغْفِرُ عَنِ الْمُذْنِبِ إِلَيْكَ نَغْفِرُ لَكَ، وَكَمَا تَصْفَحُ نَصْفَحُ عَنْكَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ الصَّدِّيقُ: بَلَى، وَاللَّهِ إِنَّا نُحِبُّ -يَا رَبَّنَا -أَنْ تَغْفِرَ لَنَا. ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ مَا كَانَ يَصِلُهُ مِنَ النَّفَقَةِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، فِي مُقَابَلَةِ مَا كَانَ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْفَعُهُ بِنَافِعَةٍ أَبَدًا، فَلِهَذَا كَانَ الصِّدِّيقُ هُوَ الصَّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ بِنْتِهِ.[1]

الواجب على مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير، بعض الناس قد يحلف لا يكلم أخاً، أو لا يدخل له بيتاً، فليس من البر اللجاجة في الخصام، ولا قطيعة الأرحام.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ».[2]

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا».[3]

الْإِيلَاءُ مِنْ النِسَاءِ:

قال الله تعالى: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.[4]

قال ابن كثير: الْإِيلَاءُ: الْحَلِفُ، فَإِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ أَلَّا يُجَامِعَ زَوْجَتَهُ مُدَّةً، فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا، فَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ، فَلَهُ أَنْ يَنْتَظِرَ انْقِضَاءَ الْمُدَّةِ ثُمَّ يُجَامِعُ امْرَأَتَهُ، وَعَلَيْهَا أَنْ تَصْبِرَ، وَلَيْسَ لَهَا مُطَالَبَتُهُ بِالْفَيْئَةِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَهَذَا كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا، فَنَزَلَ لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ، وَقَالَ: "الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ" وَلَهُمَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَحْوُهُ. فَأَمَّا إِنْ زَادَتِ الْمُدَّةُ عَلَى

---

١ – تفسير ابن كثير – (٦/ ٣١)

٢ – رواه مسلم– كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها – حديث رقم: ٣١٩٨

٣ – رواه البخاري– كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين – حديث: ٢٩٨١، ومسلم –كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها – حديث: ٣١٩٦

٤ – سورة البقرة: الآية/ ٢٢٦،٢٢٧



.

أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَلِلزَّوْجَةِ مُطَالَبَةُ الزَّوْجِ عِنْدَ انْقِضَاءِ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ: إِمَّا أَنْ يَفِيءَ -أَيْ: يُجَامِعُ -وَإِمَّا أَنَّ يُطَلِّقَ، فَيَجْبُرُهُ الْحَاكِمُ عَلَى هَذَا أَوْ هَذَا لِئَلَّا يَضُرَّ بِهَا.[١]

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا، فَلَمَّا مَضَى تِسْعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، غَدَا أَوْ رَاحَ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ حَلَفْتَ أَنْ لاَ تَدْخُلَ شَهْرًا، فَقَالَ: «إِنَّ الشَّهْرَ يَكُونُ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا».[٢]

مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ».[٣]

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَسَرَتِ الرُّبَيِّعُ وَهْيَ عَمَّةُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ثَنِيَّةَ جَارِيَةٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَطَلَبَ القَوْمُ القِصَاصَ، فَأَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَمُّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: لاَ وَاللَّهِ، لاَ تُكْسَرُ سِنُّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَنَسُ كِتَابُ اللَّهِ القِصَاصُ» فَرَضِيَ القَوْمُ وَقَبِلُوا الأَرْشَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ».[٤]

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيَّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ جَوَّاظٍ زَنِيمٍ مُتَكَبِّرٍ».[٥]

---

١ - تفسير ابن كثير - (١/ ٦٠٤)
٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ-
٣ - رواه مسلم-
٤ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ-
٥ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ- ومسلم



مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الثَّرْثَرَةُ)

الثّرْثَرةْ :كثرة الأَكل والكلام في تخليط وترديد.[١]

الثَّرْثرةُ مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ التي يقع فيها كثير من الناس، وقَلَّ مَنْ يسلم منها، ومع ذلك فهي من أخطر آفات اللسان على صـــاحبها، فالثرثار من أبغض الناس لقلب النبي ﷺ وهو كذلك من أبعد الناس عن مجلس النبي ﷺ .

والثَّرْثَرَةُ مِنْ أسباب دخول النار، وسبب قسوة القلب، وسقوط صاحبها من أعين الناس وقلة هيبته، ودليل قلة العقل، والبعد عن الإيمان.

الثَّرْثَارُونَ أَبْغَضُ الناس لقلب النبي ﷺ وَأَبْعَدهم مِنْ مَجْلِسِه يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

أما دليل كون الثرثار من أبغض الناس لقلب النبي ﷺ و من أبعد الناس عن مجلس النبي ﷺ ما روي عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاَقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّى مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ». قَالُوا يَارَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ قَالَ: «الْمُتَكَبِّرُونَ».[٢]

الثَّرْثَرَةُ مِنْ أسْبَابِ قَسْوَةِ الْقَلْبِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي».[٣]

وإنما كان الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب لأن القلب لا يلين إلا بذكر الله تعالى كما قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.[٤]

فذكر الله تعالى هو غذاء القلب، ومصدر قوته، وترياقه الشافي له من الشهوات والشبهات، وبل هو حياة القلب، فإذا انقطع ذلك عنه ضعف القلب وتمكنت منه أمراض الشهوات والشبهات فقسى، فاستحق البعد عن رحمة الله تعالى، أعاذنا الله من الخزي والخذلان.

---

١ – لسان العرب – ٤ / ١٠١

٢ – رواه الترمذي– كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق، حديث:١٩٩١، وهناد بن السري في الزهد – باب حسن الخلق حديث: ١٢٤٩

٣ – رواه الترمذي– كتاب الزهد، باب منه حديث: ٢٣٩٣، والبيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣٠، بسند ضعيف

٤ – سورة الرعد: الآية/٢٨



وروى مَالِك أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَانَ: «يَقُولُ لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ. وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ وَانْظُرُوا فِي ذُنُوبِكُمْ كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلًى وَمُعَافًى فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى الْعَافِيَةِ».[1]

الثَّرْثَرَةُ من صفات المنافقين:

فإذا كانت الثرثرة مشتملة على السخرية والاستهزاء بشيء من الشرع أو بالمؤمنين فإن ذلك دليل على النفاق وسوء الطوية.

قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ}.[2]

وقال تعالى: {إِنّ الّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الّذِينَ آمَنُواْ يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ}.[3]

وقد أثنى الله تعالى على من أعرض عن اللغو وأخبر أن الإعراض عنه من صفات المؤمنين ، قال الله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}.[4]

وقال الله تعالى:{ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١١) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ }.[5]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا رَأْسُ أَمْرِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِتِلاوَةِ الْقُرْآنِ وَذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَكَ نُورٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَنُورٌ فِي الأَرْضِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: لا تُكْثِرِ الضَّحِكِ فَإِنَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيُذْهِبُ نُورَ الْوَجْهِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِالصَّمْتِ إِلا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّهُ مَرَدَّةٌ لِلشَّيْطَانِ عَنْكَ وَعَوْنٌ لَكَ عَلَى أَمْرِ دِينِكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: انْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ وَلا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرِي نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: صِلْ قَرَابَتَكَ وَإِنْ قَطَعُوكَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي، قَالَ: لا تَخَفْ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لائِمٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي قَالَ: تُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ لا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ.[6]

---

١ – رواه مالك في الموطأ– كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله– حديث: ١٧٩٧، والبيهقي في شعب الإيمان – فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣٠، بسند ضعيف

٢ – سورة التوبة الآية /٦٥

٣ – سورة المطففين:الآية/٢٩ ، ٣٠

٤ – سورة المؤمنون الآية / ١: ٣

٥ – سورة الطور: الآية / ١١، ١٢

٦ – رواه ابن ماجه– كتاب الزهد، باب الورع والتقوى – حديث: ٤٢١٦، الطبراني في الكبير– حديث: ١٦٣٠، بسند ضعيف

.

الثَّرْثَرَةُ دليل سوء الخلق:

عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَسَاوِيكُمْ أَخْلَاقًا الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ».[١]

قال الشيخ ملا علي القاري رحمه الله: وهو يعني قوله: «الثَّرْثَارُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ» إما بدل من مساويكم أخلاقا فيلزم أن تكون هذه الأوصاف أسوأ الأخلاق لأن المبدل كالتمهيد والتوطئة وإما رفع على الذم فإنه خبر مبتدأ محذوف فيكون أشنع وأبلغ وفي النهاية الثرثارون هم الذين يكثرون الكلام تكلفا وخروجا عن الحق من الثرثرة وهي كثرة الكلام وترديده.[٢]

ومما يدل على أن الثرثرة من مساوئ الأخلاق، ومن قبيح الصفات، ما حكاه الله تعالى عن حال الشعراء، قال تعالى: {وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ}.[٣]

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ} يقول: في كل لغو يخوضون، ولا يتبعون سنن الحق، لان من اتبع الحق وعلم أنه يكتب عليه ما يقوله تثبت، و لم يكن هائمًا يذهب على وجهه لا يبالى ما قال.[٤]

الثَّرْثَارُونَ شِرَارُ الناس:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عَبَّاسٍ ﷺ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«خِيَارُكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، وإِنَّ شِرَارَكُمُ الثَّرْثَارُونَ، الْمُتَفَيْهِقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ».[٥]

وإذا كان الثرثارون أقبح الناس أخلاقا كانوا من شرار الناس؛ وإذا كانوا من شرار الناس، كانوا أقبح الناس أخلاقا لقبح صفاقم، وسوء أفعالهم.

الثَّرْثَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ الحسرة يوم القيامة:

من أسباب الحسرة يوم القيامة أن يجلس العبد مجلسا ثم يقوم و لم يذكر الله تعالى فيه، ولو لم يكن فيه شئ من الكلام الحرام، فكيف الحال إذا كان المجلس كله خوض في الباطل، أو وقوع في الغيبة والنميمة والبهتان، والسخرية والاستهزاء نسأل الله تعالى السلامة.

---

١ – رواه أحمد حديث: ١٧٤١٧، والبيهقي في السنن– كتاب الشهادات باب، بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها – حديث: ١٩٣٤٩، وابن حبان – كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق – ذكر البيان بأن من أحب العباد إلى الله، حديث: ٤٨٣ بسند صحيح

٢ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – ١٤ / ٦٨

٣ – سورة الشعراء الآية / ٢٢٤ ، ٢٢٥

٤ – تفسير القرطبي – ١٣ / ١٥٢

٥ – رواه البزار في مسنده– حديث: ١٥٢٦، رواه الطبراني، حديث: ٤٥٢١، بسند حسن



.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ إِلاَّ رَأَوْهُ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[1]

وكما لا يجوز الخوض في الباطل لا يجوز سماع الباطل، ومجالسة من يخوض فيه، فإن المستمع شريك المتكلم.

قال الله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.[2]

قال أبو حيان: حكم تعالى بأنهم إذا قعدوا معهم وهم يكفرون بآيات الله ويستهزئون بها، وهم قادرون على الإنكار مثلهم في الكفر، لأنهم يكونون راضين بالكفر، والرضا بالكفر كفر. والخطاب في أنكم على الخلاف السابق أهو للمنافقين؟ أم للمؤمنين؟ و لم يحكم تعالى على المسلمين الذين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين بمكة بأنهم مثل المشركين، لعجز المسلمين إذ ذاك عن الإنكار بخلاف المدينة، فإن الإسلام كان الغالب فيها والأعلى، فهم قادرون على الإنكار، والسامع للذم شريك للقائل.

الثَّرْثَرَةُ مِنْ أَسْبَابِ دخول النار:

من أسباب دخول النار عياذا بالله أن يخوض العبد مع الخائضين ، فإذا تكلموا في الدنيا تكلم معهم ، وإذا ولغوا في أعراض الناس ولغ معهم، وإذا سخروا واستهزءوا سخر واستهزأ معهم، وإذا خاضوا في آيات الله تعالى خاض معهم ، فاستحقوا بذلك النار؛ لأن هذه صفات المجرمين.

قال الله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ }.[3]

قال الطبري رحمه الله: أي وكنا نخوض في الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه.

وقال ابن كثير رحمه الله: أي نتكلم فيما لا نعلم. وقال قتادة رحمه الله: كلما غوي غاو غوينا معه.

١ – رواه أحمد – حديث: ٦٩٣٣، بسند صحيح

٢ – سورة الأنعام: الآية / ٦٨

٣ – سورة المدثر الآيات/ ٣٨: ٤٥



.

الله عز وجل يكره الثرثرة:

فعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ المَالِ».[١]

وَقَالَ أَبو عُبَيْدٍ: جَعَلَ الْقَالَ مَصْدَرًا كأَنه قَالَ: نَهَى عَنْ قيلٍ وقوْلٍ، وَهَذَا التأْويل عَلَى أَنهما اسْمَانِ، وَقِيلَ: أَراد النَّهْيَ عَنْ كَثْرَةِ الْكَلَامِ مُبتدئاً ومُجيباً، وَقِيلَ: أَراد بِهِ حِكَايَةَ أَقوال النَّاسِ وَالْبَحْثَ عَمَّا لَا يُجْدِي عَلَيْهِ خَيْرًا وَلَا يَعْنيه أَمرُه؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: أَلا أُنَبِّئُكم مَا العَضْهُ؟ هِيَ النميمةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ أَي كَثْرَةُ القَوْلِ وإِيقاع الْخُصُومَةِ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَحْكِي البعضُ عَنِ الْبَعْضِ؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: فَفَشَتِ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ.[٢]

وما أحسن ما قال الشاعر:

وسمعك صن عن سماع القبيح ***** كصون اللسان عن النطق به

قال ابن عطية : وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر من المقارنة كقول الشاعر:[٣]

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ***** فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقال تعالى:{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}.[٤]

قال ابن كثير:أي إنكم إذا ارتكبتم النهي بعد وصوله إليكم، ورضيتم بالجلوس معهم في المكان الذي يكفر فيه بآيات الله، ويستهزأ وينتقص بها، وأقررتموهم على ذلك، فقد شاركتموهم في الذي هم فيه، فلهذا قال تعالى:{إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ} في المأثم.[٥]

---

١ – رواه البخاري– كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه – حديث: ٦٨٨٣، ومسلم– كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة – حديث: ٣٣٢٣

٢ - لسان العرب – (١١/ ٥٧٤)

٣ – تفسير البحر المحيط – ٣ / ٣٠٤

٤ – سورة النساء: الآية/١٤٠

٥ – تفسير ابن كثير: ١/ ٦٩٩



فكل من جلس في مجلس معصية و لم ينكر عليهم، يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية وعملوا بها، فإن لم يقدر على النكير عليهم فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية.[١]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَثُرَ كَلامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ ، فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».[٢]

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلاَثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلاَثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ».[٣]

وعن الأحنف بن قيس ﷺ قال: قال لي عمر بن الخطاب ﷺ: يا أحنف من كثر ضحكه قلّت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه.[٤]

فضل الصمت ومنزلته:

عن أنس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال:«يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر و أثقل في الميزان من غيرها ؟ قلت: بلى قال: طول الصمت، وحسن الخلق فو الذي نفسي بيده ما عمل الخلائق بمثلهما».[٥]

وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».[٦]

في الصمت نجاة:

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا».[١]

---

١ – تفسير القرطبي: – ٥ / ٤١٨

٢ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث: ٦٦٦٠ ، والقضاعي في مسند الشهاب – من كثر كلامه كثر سقطه ، حديث: ٣٥٧، بسند ضعيف

٣ – رواه مسلم– كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة – حديث: ٣٣٢٢

٤ – رواه الطبراني في الأوسط – حديث: ٢٢٩٩ ، رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٦٨

٥ – رواه البيهقي في الشعب– باب في حسن الخلق ودخل – حديث: ٧٧٥٦، وأبو يعلى الموصلي في مسنده – حديث: ٣٢٠٨ بسند ضعيف

٦ – رواه البخاري– كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان – حديث: ٦١٢٠، ورواه مسلم– كتاب الإيمان ،باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان – حديث: ٣٣٤٢

.

الصمت هدي النبي ﷺ:

عَنْ سِمَاكٍ قَالَ: قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَكَانَ طَوِيلَ الصَّمْتِ، قَلِيلَ الضَّحِكِ، وَكَانَ أَصْحَابُهُ يَذْكُرُونَ عِنْدَهُ الشِّعْرَ، وَأَشْيَاءَ مِنْ أُمُورِهِمْ، فَيَضْحَكُونَ، وَرُبَّمَا تَبَسَّمَ».[٢]

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها : «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ».[٣]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «رَحِمَ اللَّهُ امْرَءًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ».[٤]

عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ: أَنَّهُ لَبَّى عَلَى الصفَا، ثُمَّ قَالَ: يَا لِسَانُ قُلْ خَيْرًا تَغْنَمْ أَوِ اصمُتْ تَسْلَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ، قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا شَيْءٌ تَقُولُهُ أَوْ سَمِعْتَهُ قَالَ: لَا، بَلْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ».[٥]

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "مَقَامُ الرَّجُلِ لِلصَّمْتِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ سِتِّينَ سَنَةً ".[٦]

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ خُنَيْسٍ الْمَكِّيُّ: دَخَلْنَا عَلَى سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ بِمَكَّةَ نَعُودُهُ فِي دَارِ الْعَطَّارِينَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ حَسَّانَ الْمَخْزُومِيُّ يَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ الْحَدِيثُ الَّذِي كُنْتَ حَدَّثْتَنِيهِ، عَنْ أُمِّ صَالِحٍ ارْدُدْهُ عَلَيَّ، فَقَالَ: حَدَّثَتْنِي أُمُّ صَالِحٍ بِنْتُ صَالِحٍ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ ذَكَرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ "، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ: " مَا أَشَدُّ هَذَا الْحَدِيثِ ". فَقَالَ سُفْيَانُ: " وَمَا شِدَّةُ هَذَا الْحَدِيثِ، إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ امْرَأَةٌ عَنِ امْرَأَةٍ هَذَا فِي كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ نَبِيَّكُمْ ﷺ: أَمَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ} [النساء: ١١٤] إِلَّا مَنْ أَمَرَ

---

١ – رواه أحمد– حديث: ٦٣٠٨ ،والترمذي– أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ باب، حديث: ٢٤٨٥، والدارمي– ومن كتاب الرقاق باب: في الصمت– حديث: ٢٦٦٧، والطبراني في الكبير– حديث: ١٣٥٤٣، والبيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٥٨ بسند صحيح

٢ – رواه أحمد– حديث: ٢٠٣٠٤، والترمذي في الشمائل– باب ما جاء في صفة كلام رسول الله ﷺ حديث: ٢٤١، وابن حبان– كتاب الحظر والإباحة، باب التفاخر– ذكر الإباحة للمرء أن ينشد الأشعار ما لم يكن فيها خنا، حديث: ٥٨٦٠ بسند صحيح

٣ – رواه البخاري– كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ حديث: ٣٣٩٥، ومسلم– كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ، حديث: ٥٤٣٦

٤ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧١٩، والشهاب القضاعي– رحم الله عبدا قال فغنم، حديث: ٥٥١

٥ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧١٤، وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت– باب حفظ اللسان وفضل الصمت حديث: ١٨

٦ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣١



بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ أَوَ مَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ: ٣٨] فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ. أَوَمَا سَمِعْتَ اللهَ يَقُولُ: {وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر: ٢] فَهُوَ هَذَا بِعَيْنِهِ.[١]

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ".[٢]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِذَا رَأَيْتُمُ الْعَبْدَ يُعْطَى زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ، فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ، فَإِنَّهُ يُلْقِي الْحِكْمَةَ ".[٣]

وَعَنِ الْأَحْنَفِ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى أَبِي ذَرٍّ ﷺ وَهُوَ يُسَبِّحُ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: " إِمْلَاءُ الْخَيْرِ عَلَى خَيْرٍ أَلَيْسَ خَيْرًا؟ " قَالَ: قُلْتُ: بَلَى أَصْلَحَكَ اللهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى تَسْبِيحِهِ، ثُمَّ قَالَ: " وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ " قُلْتُ: بَلَى. ثُمَّ قَالَ: " وَجَلِيسُ الصَّالِحِ خَيْرٌ مِنَ الْوَحْدَةِ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ " قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: " وَالْوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السَّوْءِ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ " قُلْتُ: بَلَى.[٤]

وَعَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ: "مَنْ كَثُرَ ضَحِكُهُ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ، وَمَنْ كَثُرَ مِزَاحُهُ اسْتُخِفَّ بِهِ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ، وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ سَقَطُهُ، وَمَنْ كَثُرَ سَقَطُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ".[٥]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: "إِيَّاكُمْ وَفُضُولَ الْكَلَامِ بِحَسْبِ الرَّجُلِ أَنْ يَبْلُغَ حَاجَتَهُ".[٦]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ حَقَّ مَا طَهَّرَ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ".[٧]

وَقَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: "لَا يَتَّقِي اللهَ عَبْدٌ حَقَّ تُقَاتِهِ حَتَّى يَخْزِنَ مِنْ لِسَانِهِ".[١]

---

١ – رواه البيهقي في شعب الإيمان– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٣٢، وابن الأعرابي في معجمه، حديث: ٣٤٠

٢ – رواه البخاري ومسلم وتقدم تخريجه.

٣ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٥٩ بسند ضعيف

٤ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٦٦

٥ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث: ٢٢٩٩، والبيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٦٨

٦ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٧٢

٧ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٧٦



وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ، قَالَ: قَالَ لِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: "ذَرْ مَا لَسْتَ مِنْهُ فِي شَيْءٍ، وَلَا تَنْطِقْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، وَاخْزِنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزِنُ دَرَاهِمَكَ".[٢]

وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: "إِنَّ الْكَلَامَ بِسَبْعَةِ أَغْلَاقٍ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ كُتِبَ، وَإِذَا لَمْ يَخْرُجْ لَمْ يُكْتَبِ الْقَلْبُ وَاللهَاةُ وَاللِّسَانُ وَالْحَنَكَيْنِ وَالشَّفَتَيْنِ".[٣]

وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: " أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ وَمَعَهَا نِسْوَةٌ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: وَاللهِ لَأَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ فَقَدْ أَسْلَمْتُ، وَمَا زَنَيْتُ يَوْمًا، وَمَا سَرَقْتُ، فَأَتَيْتُ فِي الْمَنَامِ، فَقِيلَ لَهَا: أَنْتِ الْمُتَأَلِّيَةُ لَتَدْخُلِنَّ الْجَنَّةَ كَيْفَ وَأَنْتِ تَبْخَلِينَ بِمَا يَعْنِيكِ، وَتَتَكَلَّمِينَ فِيمَا لَا يَعْنِيكِ؟ فَلَمَّا أَصْبَحْتِ الْمَرْأَةُ دَخَلَتْ عَلَى عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا بِمَا رَأَتْ، وَقَالَتِ: اجْمَعِي النِّسْوَةَ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدَكِ حِينَ قُلْتِ مَا قُلْتِ. فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ عَائِشَةُ فَجِئْنَ، فَحَدَّثَتْهُنَّ الْمَرْأَةُ بِمَا رَأَتْ فِي الْمَنَامِ".[٤]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُتِلَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَهِيدًا، فَبَكَتْ بَاكِيَةٌ، فَقَالَتْ: وَاشَهِيدَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا يُدْرِيكِ أَنَّهُ شَهِيدٌ فَلَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، أَوْ يَبْخَلُ بِفَضْلِ مَا يَعْنِيهِ".[٥]

وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ، قَالَ: خَرَجَ جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ وَخَرَجَ مَعَهُ رِجَالٌ مِنْ إِخْوَانِهِ يُشَيِّعُونَهُ حَتَّى إِذَا بَلَغَ حِصْنَ الْمَسَاكِينِ، قَالُوا لَهُ: أَوْصِنَا، قَالَ: "أَلَا لَا تُدْخِلُوا هَذَا خَبِيثًا؟ وَأَوَى بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ، وَلَا تُخْرِجُوا مِنْهُ خَبِيثًا، فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الْإِنْسَانِ بَطْنُهُ"، قَالُوا لَهُ: أَوْصِنَا، قَالَ: "أَلَا وَلَا يَحُولَنَّ بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بَعْدَمَا أَبْصَرَ بَابَهَا مِلْءُ كَفٍّ مِنْ دَمِ مُسْلِمٍ أَهْرَاقَهُ".[٦]

عَنْ عَمْرَةَ قَالَتْ: قَالَتْ لِي عَائِشَةُ: "يَا بُنَيَّةُ لَا تَكَلَّمِي بِالشَّيْءِ الَّذِي إِذَا عُرِفْتِ بِهِ تَعَذَّرْتِ، فَإِنَّهُ لَا يُتَعَذَّرُ إِلَّا مِنَ الْقَبِيحِ".[٧]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: " مَنْ لَمْ يَعُدَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ كَثُرَتْ خَطَايَاهُ، وَمَنْ عَمِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ ".[١]

---

١ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث: ٥٧١٧، والبيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ١١٧٤، ورواه أحمد في كتاب الزهد– حديث: ٤٧٧٨

٢ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨١

٣ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٢

٤ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٣ بسند ضعيف

٥ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٤، بسند صحيح

٦ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٥

٧ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٨٦



وَقَالَ الْقَعْنَبِيُّ، قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، أَنَّهُ بَلَغَهُ " أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ: لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ فَتَقْسُوا قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ مِنَ اللهِ، وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَنْظُرُونَ فِي ذُنُوبِ النَّاسِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ، انْظُرُوا فِيهَا كَأَنَّكُمْ عُبَيْدٌ، فَإِنَّمَا النَّاسُ مُبْتَلًى وَمُعَافًى، فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ وَاحْمَدُوا اللهَ عَلَى الْعَافِيَةِ ".[٢]

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ: سَأَلْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ عَنِ الْعِبَادَةِ، فَقَالَ: "رَأْسُ الْعِبَادَةِ التَّفَكُّرُ وَالصَّمْتُ إِلَّا مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَقَدْ بَلَغَنِي حَرْفٌ عَنْ لُقْمَانَ قَالَ: قِيلَ لَهُ: يَا لُقْمَانُ مَا بَلَغَ مِنْ حِكْمَتِكَ؟ قَالَ: لَا أَسْأَلُ عَمَّا قَدْ كُفِيتُ، وَلَا أَتَكَلَّفُ مَا لَا يَعْنِينِي، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ بَشَّارٍ، إِنَّمَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَصْمُتَ أَوْ يَتَكَلَّمَ بِمَا يَنْتَفِعُ بِهِ مِنْ مَوْعِظَةٍ أَوْ تَنْبِيهٍ أَوْ تَخْوِيفٍ أَوْ تَحْذِيرٍ".[٣]

وَقَالَ الْحَسَنُ: "كُنَّا فِي أَقْوَامٍ يُنْفِقُونَ أَوْرَاقَهُمْ وَيُخَزِّنُونَ أَلْسِنَتَهُمْ، وَإِنَّا بَقِينَا فِي أَقْوَامٍ يُرْسِلُونَ أَلْسِنَتَهُمْ، وَيُخَزِّنُونَ أَوْرَاقَهُمْ ".[٤]

وَقَالَ مُوَرِّقٌ الْعِجْلِيُّ: " أَمْرٌ أَنَا فِي طَلَبِهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً لَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهِ وَلَسْتُ بِتَارِكٍ طَلَبَهُ أَبَدًا " قَالُوا: وَمَا هُوَ يَا أَبَا الْمُعْتَمِرِ؟ قَالَ: " الصَّمْتُ عَمَّا لَا يَعْنِينِي ".[٥]

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَصْرٍ ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: اجْتَمَعْنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي مَسْجِدٍ فَمَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا تَكَلَّمَ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ فَإِنَّهُ سَاكِتٌ فَقُلْتُ: لِمَ لَا تَتَكَلَّمُ ، فَقَالَ: قَالَ: " الْكَلَامُ يُظْهِرُ حُمْقَ الْأَحْمَقِ وَعَقْلَ الْعَاقِلِ فَقُلْتُ: لَا نَتَكَلَّمُ إِذَا كَانَ هَكَذَا الْكَلَامُ فَقَالَ: إِذَا اغْتَمَمْتَ بِالسُّكُوتِ فَتَذَكَّرْ سَلَامَتَكَ مِنْ زَلَلِ اللِّسَانِ".[٦]

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ، قَالَ: «كَانَ يُقَالُ لَيْسَ شَيْءٌ أَشَدَّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْعَالِمِ الْحَلِيمِ، إِنْ تَكَلَّمَ تَكَلَّمَ بِعِلْمٍ وَإِنْ سَكَتَ سَكَتَ بِحِلْمٍ».[٧]

وصدق القائل:

لسانُ المرءِ ينبيءُ عن حِجاهُ ***** وعي المرءِ يسترُهُ السكوتُ

---

١ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٩٤

٢ – رواه مالك في الموطأ – كتاب الكلام، باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله – حديث: ١٧٩٧

٣ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٧٩٧، وأبو نعيم في حلية الأولياء – حديث: ١١٣٢٠

٤ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٨٠٣

٥ – رواه ابن أبي شيبة– كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام– مطرف بن الشخير، حديث: ٣٤٤٧٤، وأحمد بن حنبل في الزهد – أخبار مورق العجلي رحمه الله تعالى، حديث: ١٧٨٠، والبيهقي في الشعب – فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه، حديث: ٤٨٠٤

٦ – رواه أبو نعيم في الحلية — رقم: ١١٣٣٢

٧ – رواه أبو نعيم في الحلية — رقم: ١١٣٦١



مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ
(قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ)

تعريف القَذْفِ:

القَذْفُ والرمي معناه أن يسب إنسانٌ مسلمًا عفيفًا بالزنى، وقيل له رمي وقَذْفُ؛ لأن فيه إيذاء للغير هو أشد وأبلغ من الإيذاء برمي السهام والرماح.

كما قيل:

وَقَدْ يُرْجَى لِجُرْحِ السَّيْفِ بُرْءٌ ***** وَجُرْحُ الَّدهْرِ مَا جَرَحَ اللَّسانُ

وقيل :

جِرَاحَاتُ السِّنَانِ لَهَا التِئَامٌ ***** وَلا يَلْتَامُ مَا جَرَحَ الِّلسَانُ

حُكْمُ قَذْفِ الرَّجَالِ:

قال القرطبي: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ حُكْمَ الْمُحْصَنِينَ فِي الْقَذْفِ كَحُكْمِ الْمُحْصَنَاتِ قِيَاسًا وَاسْتِدْلَالًا.

قالوا: وهذا نحو نصه تعالى على تحريم لحم الختزير ودخل شحمه وغضاريفه في التحريم بالإجماع.[1]

وأما قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ} فقد قيل أن المعنى: والأنفس المحصنات، فهي بلفظها تعم الرجال والنساء، ويدل على ذلك قوله:{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}.[2]

وقال قوم: أراد بالمحصنات الفروج، كما قال تعالى: {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا}.[3]

فيدخل فيه فروج الرجال والنساء.

أنواع القذف:

القذف نوعان:

١-قذف ألفاظ صريحة.

٢-قذف بألفاظ فيها تعريض بالمخاطب.

---

١ - تفسير القرطبي - (١٢/ ٢٠٩)

٢ - سورة النساء: الآية / ٢٤

٣ - سورة الأنبياء: الآية / ٩١



.

حكم التصريح بالقذف.

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}.[١]

رتب الله تعالى على القذف أحكامًا ثلاثةً:

أحدها: أن يجلد القاذف ثمانين جلدة.

الثاني: أنه ترد شهادته دائمًا.

الثالث: أن يحكم عليه بالفسق.

حكم التعريض بالزنا في القذف:

اتفق العلماء على أنه إذا صرح بالزني كان قذفًا ورميًا موجبًا للحد، فإن عرَّض و لم يصرِّح فقال مالك: هو قذف.

ومثال التعريض أن يقول: ما أمي بزانية، ولا أبي بزان.

وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا يكون قذفًا حتى يقول أردت به القذف.

وقال مالك حكم التعريض مثل حكم التصريح، والدليل لما قاله هو أن موضوع الحد في القذف إنما هو لإزالة المعرة التي أوقعها القاذف بالمقذوف، فإذا حصلت المعرة بالتعريض وجب أن يكون قذفا كالتصريح، والمعول على الفهم، وقد قال تعالى مخبرا عن شعيب: {إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}.[٢]

أي السفيه الضال، فعرضوا له بالسب بكلام ظاهر المدح في أحد التأويلات.

وقال تعالى في أبي جهل: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}.[٣]

---

١ – سورة النور: الآية / ٤ ، ٥

٢ – سورة هود الآية / ٨٧

٣ – سورة الدخان الآية / ٤٩



.

وقال حكاية عن مريم: {يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً}.[1]

فمدحوا أباها ونفوا عن أمها البغاء أي الزنى، وعرضوا لمريم بذلك، ولذلك قال تعالى:{وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً}.[2]

وكفرهم معروف، والبهتان العظيم هو التعريض لها، أي ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا، أي أنت بخلافهما وقد أتيت بهذا الولد.

وَقَدْ حَبَسَ عُمَرُ ﷺ الْحُطَيْئَةَ لَمَّا قَالَ:

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا ***** وَاقْعُدْ فَإِنَّك أَنْتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي

لأنه شبهه بالنساء في أنهن يطعمن ويسقين ويكسون.

حكم قذف المملوك والخدم:

ربما يتساهل بعض الناس في قذف خادمه أو مملوكه ويظن أنه لن يحاسب على ذلك وقد حذر النبي ﷺ من ذلـــك أشد التحذير فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺقَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺيَقُولُ: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهْوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَ، جُلِدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ».[3]

حكم التائب بعد القذف:

فإذا تاب القاذف بعد الحد فهل تقبل شهادته ويرتفع فسقه؟

اختلف العلماء في ذلك علي قولين:

الأول: إذا تاب قبلت شهادته، وارتفع عنه حكم الفسق.

وهو قول مالك والشافعي وأحمد واستدلوا بقول الله تعالى: {إِلا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.[4]

---

١ – سورة مريم الآية / ٢٨

٢ – سورة النساء الآية / ١٥٦

٣ – رواه البخاري– كتاب الحدود، باب قذف العبيد– حديث: ٦٤٨٠، ومسلم– كتاب الأيمان، باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنا– حديث: ٣٢٢٣

٤ – سورة النور: الآية / ٥



.

عن حُصَيْنٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلاً جُلِدَ حَدًّا فِي قَذْفٍ بِالرِّيبَةِ فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ ضَرْبِهِ أَحْدَثَ تَوْبَةً قَالَ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ قَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ فَلَقِيتُ أَبَا الزِّنَادِ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ فَقَالَ لِي: الأَمْرُ عِنْدَنَا إِذَا رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ وَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ قُبِلَتْ شَهَادَتُهُ.[1]

الثاني: أن الفسق يرتفع بالتوبة، ولكنه يبقى مردود الشهادة أبدًا. وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله: قال إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فقط، فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة أبدًا. وممن ذهب إليه من السلف القاضي شُرَيح ، وإبراهيم النَّخَعِيّ، وسعيد بن جُبَيْر، ومكحول، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

وقال الشعبي والضحاك: لا تقبل شهادته وإن تاب، إلا أن يعترف على نفسه بأنه قد قال البهتان، فحينئذ تقبل شهادته، والله أعلم.

قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ مِنْ الذُّنُوبِ الْمُوبِقَاتِ:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ قَالَ:«الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاَتِ».[2]

قال النووي: وَأَمَّا(الْمُوبِقَات) فَهِيَ الْمُهْلِكَات يُقَال: وَبَقَ الرَّجُل بِفَتْحِ الْبَاء وَيَبِق بِكَسْرِهَا، وَوُبِق بِضَمِّ الْوَاو وَكَسْر الْبَاء يُوبِق: إِذَا هَلَكَ. وَأَوْبَقَ غَيْره أَيْ أَهْلَكَهُ. وَأَمَّا (الْمُحْصَنَات الْغَافِلَات) فَبِكَسْرِ الصَّاد وَفَتْحهَا قِرَاءَتَانِ فِي السَّبْع: قَرَأَ الْكِسَائِيُّ بِالْكَسْرِ، وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ، وَالْمُرَاد بِالْمُحْصَنَاتِ هُنَا الْعَفَائِف، وَبِالْغَافِلَاتِ الْغَافِلَات عَنْ الْفَوَاحِش، وَمَا قُذِفْنَ بِهِ. وَقَدْ وَرَدَ الْإِحْصَان فِي الشَّرْع عَلَى خَمْسَة أَقْسَام: الْعِفَّة، وَالْإِسْلَام، وَالنِّكَاح، وَالتَّزْوِيج، وَالْحُرِّيَّة.[3]

قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ مُحَرَّمٌ فِي سَائِرِ الشَرَائِعِ:

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّال رضي الله عنه قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ اذْهَبْ بِنَا إِلَى هَذَا النَّبِيِّ. قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ لاَ تَقُلْ نَبِيٌّ لَوْ سَمِعَكَ كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ. فَأَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَسَأَلاَهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَقَالَ لَهُمْ: «لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ تَسْرِقُوا وَلاَ تَزْنُوا وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ تَمْشُوا بِبَرِيءٍ إِلَى ذِي سُلْطَانٍ وَلاَ تَسْحَرُوا وَلاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا وَلاَ تَقْذِفُوا الْمُحْصَنَةَ وَلاَ تَوَلَّوْا يَوْمَ الزَّحْفِ وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يَهُودُ أَنْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ». فَقَبَّلُوا

---

١ – رواه البخاري– كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف والسارق والزاني، و البيهقي– كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حديث: ١٩١٢٨

٢ – رواه البخاري– كتاب الحدود، باب رمي المحصنات– حديث: ٦٤٧٩، ومسلم– كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها – حديث: ١٥٤

٣ – شرح النووي على مسلم – ١/ ١٩٢



.

يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَقَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. قَالَ: «فَمَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُونِي». قَالُوا إِنَّ دَاوُدَ دَعَا بِأَنْ لاَ يَزَالَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ نَبِيٌّ وَإِنَّا نَخَافُ إِنِ اتَّبَعْنَاكَ أَنْ تَقْتُلَنَا يَهُودُ.[1]

وقوله في الحديث: (كَانَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَعْيُنٍ). قال التوربشتي: " أي لسرَّ بقولك سرورًا يزداد به نورًا إلى نوره، كذي عينين أصبح يبصر بأربع".

وقال الطيبي: "هو كناية عن السرور المضاعف؛ لأنهم يكنون عن السرور بقرة العين ".[2]

فقول النبي ﷺ: «وَلاَ تَقْذِفُوا الْمُحْصَنَةَ» مع قوله ﷺ : «وَعَلَيْكُمْ خَاصَّةً يَهُودُ أَنْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ» يدل على أن قَذْفَ الْمُحْصَنَاتِ محرم على اليهود كما هو محرم على هذه الأمة.

قَذْفُ الْمُحْصَنَةِ يَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ:

من خطر قَذْفِ الْمُحْصَنَةِ أنه يَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ وهذا يدل على خطر هذا الذنب وقبح هذه المعصية فعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ قَذْفَ الْمُحْصَنَةِ يَهْدِمُ عَمَلَ مِائَةِ سَنَةٍ».[3]

قال المناوي: أي يحبط من الأعمال الحسية التي قدمها القاذف عمل مئة سنة بفرض أنه عمر وتعبد مئة عام وهذا تغليظ شديد وحث عظيم على حفظ اللسان عن ذلك والظاهر أن المراد بالمائة التكثير لا التحديد قياسا على نظائره المارة ومن هذا الوعيد الشديد أخذ أنه كبيرة.[4]

وعن عطاءٍ، قال: إنَّ الرجل ليتكلَّمُ في غضبِهِ بكلمةٍ، يهدِمِ بها عملَ ستينَ سنةٍ، أو سبعينَ سنةٍ.[5]

قَذْفُ الْمُحْصَنَةِ أَقْبَحُ مِنَ الرِّبَا وَمِنَ الزِّنَا:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَيْسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ».[6]

---

١ – رواه أحمد، حديث: ١٧٧٧٥، والترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ– بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث: ٣١٥٢ ، والنسائي في السنن الكبرى– كتاب تحريم الدم ، باب السحر، حديث: ٣٤١٩ بسند ضعيف

٢ – قوت المغتذي على جامع الترمذي – (٢/ ٦٩٤)

٣ – رواه الطبراني في الكبير – حديث: ٢٩٥٣، والخرائطي في مساوئ الأخلاق– باب ما يذكر من قذف المحصنات، حديث: ٧٠٣ بسند ضعيف

٤ – فيض القدير – ٢ / ٤٧٤

٥ – فتح الباري لابن رجب– ١ / ١٨٤

٦ ـــ رَوَاهُ البيهقي في الشعب– حديث: ٥٢٦١، والْحَاكِمُ في المستدرك– كتاب البيوع، حديث: ٢٢٠٠، بسند صحيح

.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا اسْتِطَالَةَ الْمَرْءِ فِي عِرْضِ أَخِيهِ».[1]

قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ يوجب الطرد من رحمة الله:

قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ}.[2]

قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ يصل في بعض الأحيان إلى الكفر بالله تعالى:

بعض المنتسبين إلى الإسلام زورا وبهتانا، يحملهم الحقد وعداوة هذا الدين على رمي أم المؤمنين عائشة ﷺ وهي الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها، يحملهم عدائهم للدين على رميها بالفاحشة، وهذا كفر لأنه تكذيب لصريح القرآن.

قال ابن كثير ﷺ: فَأُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ أَوْلَى بِالدُّخُولِ فِي هَذَا مِنْ كُلِّ مُحَصَّنَةٍ، وَلَا سِيَّمَا الَّتِي كَانَتْ سَبَبَ النُّزُولِ، وَهِيَ عَائِشَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، ﷺ.

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ، قَاطِبَةً عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّها بَعْدَ هَذَا وَرَمَاهَا بِمَا رَمَاهَا بِهِ بَعْدَ هذا الَّذِي ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مُعَانِدٌ لِلْقُرْآنِ.[3]

---

١ - رواه أبو داود -كتاب الأدب، باب في الغيبة- حديث: ٤٢٥٤، والبزار - حديث: ١١٢٦، بسند صحيح

٢ - سورة النُّور: الآية/ ٢٣: ٢٥

٣ - تفسير ابن كثير - (٦/ ٣٢)



مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْيَمِينُ الْغَمُوسُ)

من الآفات التي يقع فيها بعض الناس الحلف على أمر هو يعلم أنه فيه كاذب وهذا هو الْيَمِينُ الْغَمُوسُ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ سُمّيت بذلك، لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار عياذا بالله، ولا كفارة فيها؛ لأنها يمين غير منعقدة، ولأن المنعقد ما يمكن حله ولا يَتَأَتَّى في اليمين الغموس البر أصلاً.

قَالَ الله تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لَا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.[1]

وجوب حفظ اليمين :

قال الله تعالى: {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ باللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.[2]

وَالْيَمِينُ ثَلَاثَةُ أقسام:

الأول الْيَمِينُ اللَّغْوِ: وهي اليمين التي تجري على لسان الحالف بغير قصد الحلف كقوله في أثناء كلامه: (لا والله، وبلى والله).

قال الله تعالى: {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}.[3]

وَالثاني الْيَمِينُ الْمُنْعَقِدَةُ: وهي اليمين التي قصد عقدها على أمر مستقبل ممكن.

وَعَقْدُ الْيَمِينِ مَا الْتَزَمَ فِعْلًا مُسْتَقْبَلًا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ حِنْثٍ وَبِرٍّ ، فَخَرَجَتِ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ مِنَ الْأَيْمَانِ الْمَعْقُودَةِ، فَلَمْ يَلْزَمْ بِهَا كَفَّارَةٌ.

---

١ - سورة آل عِمْرَانَ: الآية/ ٧٧

٢ – سورة المائدة: الآية / ٨٩

٣ – سورة البقرة: الآية/٢٢٥



.

قال الله تعالى: {لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.[1]

وَالثالث الْيَمِينُ الْغَمُوسُ: وهي أن يحلف على أمر ماض كاذباً عالماً.

وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَغْمِسُ صَاحِبَهَا فِي الْإِثْمِ أو فِي النَّارِ وَهِيَ من الْكَبَائِرِ.

قال الله تعالى: {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.[2]

ومعنى دَخَلًا أي مَكْرًا وَخِيَانَةً.

وَاختلف العلماء هل فِيهَا كَفَّارَةُ أم لا على قولين الأول فِيهَا كَفَّارَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الْأَيْمَانَ}الْآيَة وَلِأَنَّهُ حَلَفَ بِاَللَّهِ وهو مُخْتَارٌ كَاذِبٌ فَصَارَ كما لو حَلَفَ على مُسْتَقْبَلٍ وَالْإِثْمُ لَا يَمْنَعُ وُجُوبَهَا كما فِي الظِّهَارِ وهو مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَالْأَوْزَاعِيِّ.

وَالثاني ليس فِيهَا كَفَّارَةُ وَقَالَ به أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، واسْتِدْلَوا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الْأَيْمَانَ}.[3]

كراهية كثرة الحلف:

قال تعالى:{وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ}.[4]

قال ابن كثير رحمه الله: وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

---

١ – سورة المائدة: الآية / ٨٩

٢ – سورة النحل : الآية /٩٢

٣ – سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ٨٩

٤ – سورة القلم: الآية /١٠



وَقال الله تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.[١]

قال الله تعالى: {وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.[٢]

قال ابن كثير رحمه الله: حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلا أي خديعة ومكرًا ، لئلا تَزل قدم بعد ثبوتها: مثل لمن كان على الاستقامة فحاد عنها وزل عن طريق الهدى، بسبب الأيمان الحانثة المشتملة على الصد عن سبيل الله، لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به، لم يبق له وثوق بالدين،فانصد بسببه عن الدخول في الإسلام؛ ولهذا قال: {وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ الفَقْرِ:

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ تُسَبْبُ الفَقْرَ، وتمحق البركة، وتُذْهِبُ الْمَالَ؛ فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تُذْهِبُ الْمَالَ أَوْ تَذْهَبُ بِالْمَالِ».[٣]

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ العُقْمِ:

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ يَمِينٌ فَاجِرَةٌ تُسَبْبُ العُقْمِ وتقطع النسل؛ فَعَنْ أَبِى سُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:«الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ الَّتِي يَقْتَطِعُ بِهَا الرَّجُلُ مَالَ الْمُسْلِمِ تَعْقِمُ الرَّحِمَ».[٤]

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ ظُلْمَةِ القَلْبِ:

وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ ظُلْمَةِ القَلْبِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُنَيْسٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ وَمَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللَّهِ يَمِينَ صَبْرٍ فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلاَّ جُعِلَتْ نُكْتَةً فِي قَلْبِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».[٥]

---

١ – سورة النحل: الآيات / ٩١ ، ٩٢

٢ – سورة النحل: الآية / ٩٤

٣ – رواه البزار– حديث: ٩٢٢ بسند حسن

٤ – رواه أحمد– حديث: ٢٠٢٤٤، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني، حديث: ١٠٩٤ وفيه رجل لم يسم

٥ – رَوَاهُ أَحْمَدُ– حديث: ١٥٧٥٢، وَالتِّرْمِذِيُّ– كتاب تفسير القرآن– باب ومن سورة النساء حديث: ٣٠٢٩، والحاكم في المستدرك– كتاب الأيمان والنذور، حديث: ٧٨٧٦ بسند صحيح

.

قَوْلُهُ:«يَمِينُ صَبْرٍ». أَيْ أُلْزِمَ بِهَا وَحُبِسَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ لازِمَةً لِصَاحِبِهَا مِنْ جِهَةِ الْحُكْمِ.

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ لا كَفَّارَةَ لَهَا:

يتوهم بعض الناس أن الْيَمِينَ الْغَمُوسَ لَهَا كَفَّارَةٌ المنعقدة فلو أنه أطعم عشرة مساكين أو صام ثلاثة أيام أن ذلك يرفع عنه إثم هذه اليَمِينِ الْفَاجِرَةِ وهذا فهم خاطئ واعتقاد باطل بل الْيَمِينُ الْغَمُوسُ لا كَفَّارَةَ لَهَا؛ فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَأَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّباً بهَا نَفْسُهُ مُحْتَسِباً وَسَمِعَ وَأَطَاعَ فَلَهُ الْجَنَّةُ أَوْ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَخَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ الشِّرْكُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَتْلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ نَهْبُ مُؤْمِنٍ أَوِ الْفِرَارُ يَوْمَ الزَّحْفِ أَوْ يَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالاً بِغَيْرِ حَقٍّ».[١]

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ إحدى الكبائر:

وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ كبيرة من الْكَبَائِرِ بل إن النَّبيَّ ﷺ قرنها بأكبر الْكَبَائِرِ، قرنها بالإِشْرَاكِ بِاللَّهِ، وَعُقُوق الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلِ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ قَالَ:«الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ». قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ: «ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ». قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ: «الْيَمِينُ الْغَمُوسُ». قُلْتُ: وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ».[٢]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَبَائِرُ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ».[٣]

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ إعراضِ اللهِ تَعَالَى عَنْ العَبْدِ يومَ القِيَامَةِ:

وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ إعراضِ اللهِ تَعَالَى عَنْ العَبْدِ يومَ القِيَامَةِ وهذا علامة على سَخَطِ اللهِ تَعَالَى نعوذ بالله من سخطه فَعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ وَرَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا قَدْ غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي كَانَتْ لأَبِى. فَقَالَ الْكِنْدِيُّ هِيَ أَرْضِي فِي يَدِي أَزْرَعُهَا لَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْحَضْرَمِيِّ: «أَلَكَ بَيِّنَةٌ». قَالَ لاَ. قَالَ: «فَلَكَ يَمِينُهُ». قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ فَاجِرٌ لاَ يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ. فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلاَّ ذَلِكَ» فَانْطَلَقَ لِيَحْلِفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا أَدْبَرَ: «أَمَا لَئِنْ حَلَفَ عَلَى مَالِهِ لِيَأْكُلَهُ ظُلْمًا لَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ وَهُوَ عَنْهُ مُعْرِضٌ».[٤]

---

١ – رواه أحمد– حديث: ٨٥٥٦ بسند حسن لغيره

٢ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله، حديث: ٦٥٣٨

٣ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الأيمان والنذور باب اليمين الغموس، حديث: ٦٣٠٩

٤ – مسلم– كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار– حديث: ٢٢٥



قال النووي رحمه الله: قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ» فَالتَّقْيِيدُ بِكَوْنِهِ فَاجِرًا لَا بُدَّ مِنْهُ وَمَعْنَاهُ هُوَ آثِمٌ وَلَا يَكُونُ آثِمًا إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَعَمِّدًا عَالِمًا بِأَنَّهُ غَيْرُ مُحِقٍّ.[1]

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ حرمان الجنة:

وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ الحرمان مِنَ الْجَنَّةِ، ومن أعظم أسباب دخول النَّارِ فعن أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ».[2]

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ سَبَبُ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الْعَبْدِ:

الْيَمِينُ الْغَمُوسُ من أعظم أَسْبَابِ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى عَلَى العَبْدِ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالطَّرِيقِ يَمْنَعُ مِنْهُ ابْنَ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لاَ يُبَايِعُهُ إِلاَّ لِدُنْيَاهُ، إِنْ أَعْطَاهُ مَا يُرِيدُ وَفَى لَهُ، وَإِلاَّ لَمْ يَفِ لَهُ، وَرَجُلٌ يُبَايِعُ رَجُلاً بِسِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا كَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ، فَأَخَذَهَا، وَلَمْ يُعْطَ بِهَا».[3]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً} الآيَةَ.[4]

قال الشوكاني رحمه الله: هَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ سَبَبٌ لَانْتِقَامِهِ وَانْتِقَامُهُ بِالنَّارِ، فَالْغَضَبُ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَلْزِمُ دُخُولَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ النَّارَ.[5]

وقال الشعبي في قول الله تعالى: {وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ} هو اليمين الغموس.

---

١ – شرح النووي على مسلم – (٢/ ١٦٢)

٢ – رَوَاهُ أَحْمَدُ– حديث: ٢٣٤٥٠، وابْنُ مَاجَة– كتاب الأحكام، باب من حلف على يمين فاجرة ليقتطع بها مالاً، حديث: ٢٣٢١ بسند صحيح

٣ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الشهادات، باب اليمين بعد العصر، حديث: ٢٥٤٨، ومسلم– كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، حديث: ١٨٢

٤ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا، حديث:٤٢٨٤ ومسلم– كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار– حديث: ٢٢٢

٥ – نيل الأوطار – (٨/ ٣٤٨)



.

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(السَــــبُ و اللَّعنُ)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ التي يقع فيها كثير من الناس إلا من رحم الله تعالى السَبُ واللَّعنُ، ومن خطر هذه الآفــة علــى صاحبها أنها توجب له الفسق، وتمنعه من الشهادة والشفاعة يوم القيامة، وإذا كان هذا اللعن لمؤمن كــان إثمــه كقتله، وهو كبيرة من الكبائر لاسيما إذا تعلق بالوالدين كما سيأتي بيانه، وهذه دلائل خطر السب واللعن علــى من يتصف بهذه الصفة القبيحة.

لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

من خطر اللعن أن من اتصف بذلك فكان لَعَّانًا، لا يَشْفَعُ يومَ القيامةِ ولا يُسْتَشْهَدُ.

فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ فَدَعَا خَادِمَهُ فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ فَلَعَنَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ. فَقَالَتْ سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلاَ شُهَدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[1]

سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ:

من خطر السب والشتم كذلك، أنه من أعظم أسباب الفسوق، والفسوق هو الخروج من الدين، يقال فسقت الرطبة إذا خرجت عن قشرها، وسباب المسلم خروج من الدين لأن الدين أمر بمراعاة حرمة المسلم في دمه وماله وعرضه كما قال النبي ﷺ : «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ».[2]

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ».[3]

لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ :

ومن خطر اللعن كذلك أن النبي ﷺ ساوي بين لَعْنِ الْمُؤْمِنِ وَقَتْلِهِ، والنبي ﷺ لا يعرف المبالغة إذا قال شيئا فإنه يعني هذا الذي قاله تمامًا، وإذا علمت أن أعظم عقاب ورد في كتاب الله تعالى هو عقاب قاتل النفس التي حرم الله

---

١ – رواه مسلم– كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها – حديث: ٤٨٠٨

٢ – رواه مسلم– كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، عن أبي هريرة ﷺ حديث: ٤٧٥٦

٣ – رواه البخاري– كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن– حديث: ٥٧٠٤، ومسلم– كتاب الإيمان، باب بيان قول النبي ﷺ: " سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ "– حديث: ١٢٢

.

إلا بالحق، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}.[1]

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ فِي الآخِرَةِ وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ مُسْلِمٍ نَذْرٌ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ وَمَن رَمَى مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ وَمَنْ حَلَفَ بِمِلَّةٍ سِوَى الإِسْلاَمِ كَاذِباً فَهُوَ كَمَا قَالَ».[2]

فإذا لَعَنَ العبدُ مؤمنًا فكأنه قتله تمامًا كما قال النبي ﷺ وذلك معناه أن إثم اللعن كإثم القتل تمامًا، وهذا هو الأظهر وهو الذي يفهم بداهة من الحديث، وقيل أنه محرم كما أن القتل محرم وأقول لو كان المقصود بيان حرمة اللعن فليس لتخصيص القتل بالذكر وجه؛ فإن سلب مال المؤمن محرم والطعن في عرضه محرم، وغش المسلم محرم، وهكذا غيرها من المحرمات فلماذا ذكر النبي ﷺ القتل من بين هذه المحرمات؟ فلم يبق إلا أن يقال أن لعن المؤمن له نفس درجة القتل من الخطر والإثم، وأما قول بعض العلماء إن اللعن ليس مثل القتل في الإثم، نقول أخبر النبي ﷺ أنه مثله في قوله: «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ». وأما القول الثالث فهو أبعد من هذا وهو قولهم (من لعن مؤمنا فقد أفقدهم منافعه) وهذا مردود بأن اللعن محرم سواء ترتب على هذا اللعن أثر أم لا.

قال ابن بطال: فيه تأويلان قال المهلب: اللعن في اللغة هو الإبعاد، فمن لعن مؤمنًا فكأنه أخرجه من جماعة الإسلام ، فأفقدهم منافعه وتكثير عددهم، فكان كمن أفقدهم منافعه بقتله، ويفسر هذا قوله للذى لعن ناقته:(انزل عنها فقد أجيبت دعوتك) فسرحها و لم ينتفع بها أحد بعد ذلك ، فأفقد منافعها لما أجيبت دعوته ، فكذلك يخشى أن تجاب دعوة اللاعن فيهلك الملعون. والتأويل الآخر: أن الله حرم لعن المؤمن كما حرم قتله فهما سواء في التحريم، وهذا يقتضى تحذير لعن المؤمنين والزجر عنه؛ لأن الله –تعالى– قال:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} فأكد حرمة الإسلام، وشبهها بإخوة النسب، وكذلك معنى قوله : «وَمَن رَمَى مُؤْمِناً بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ» يعنى في تحريم ذلك عليه – والله أعلم.[3]

وقال النووي: وقيل معنى «لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ» في الإثم وهذا أظهر.[4]

---

١ – سورة النساء: الآية /٩٣

٢ – رواه أحمد– حديث: ١٦٠٩٠، والطبراني في الكبير– حديث: ١٣١٧

٣ – شرح صحيح البخاري لابن بطال – ٦ / ١٠٤

٤ – شرح النووي على مسلم – ١٦ / ١٤٩



مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْه:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ». قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ».[1]

وَعَنْ أَبِي تَمِيمَةَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ قَالَ شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ أَوْ قَالَ أَنْتَ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَإِلاَمَ تَدْعُو؟ قَالَ: «أَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ مَنْ إِذَا كَانَ بِكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ وَمَنْ إِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَ لَكَ، وَمَنْ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ، فَأَضْلَلْتَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّ عَلَيْكَ». قَالَ: فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ ثُمَّ قَالَ: أَوْصِنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ لَهُ: «لاَ تَسُبَّنَّ شَيْئاً» أَوْ قَالَ: «أَحَداً». شَكَّ الْحَكَمُ قَالَ فَمَا سَبَبْتُ شَيْئاً بَعِيراً وَلاَ شَاةً مُنْذُ أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«وَلاَ تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ وَلَوْ بِبَسْطِ وَجْهِكَ إِلَى أَخِيكَ وَأَنْتَ تُكَلِّمُهُ وَأَفْرِغْ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي وَاتَّزِرْ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ».[2]

عن جُرْمُوز الْهُجَيْمِيِّ رضي الله عنه قَالَ:قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي قَالَ :«أُوصِيكَ أَنْ لَا تَكُونَ لَعَّانًا».[3]

الْمُسْتَبَّانِ شَيطانَانِ يَتَهاتَران ويَتكاذَبان:

المُسْتَبَّان يحرص كل واحد منهما على إلصاق النقيصة بالآخر ولو كان ذلك عن طريق البهتان والكذب، فيفعل كل واحد منها فعل الشيطان من زرع العداوة والبغضاء في قلب الآخر؛ لأنهما يَتقاوَلانِ ويَتَقابَحانِ فِي الْقَوْلِ؛ فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ يَسُبُّنِي؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «المُسْتَبَّان شَيطانَانِ يَتَهاتَران ويَتكاذَبَان».[4]

ومعنى يَتَهاتَرانِ أي يتكلمان بالكلام الْبَاطِلِ السَّقَطِ مِنَ الهِتْرِ، بِالْكَسْرِ، وَهُوَ الْبَاطِلُ والسَّقَطُ مِنَ الْكَلَامِ.

الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى الْبَادِئِ منهما:

من خطر السب على صاحبه، أن أثمه وأثم من بادله السباب، على من ابتدأ السب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ فَعَلَى الْبَادِئِ مَا لَمْ يَعْتَدِ الْمَظْلُومُ».[5]

---

١ – رواه البخاري– كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه– حديث: ٥٦٣٦، ومسلم– كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها– حديث:١٥٥

٢ – رواه أحمد– حديث: ١٦٣٢٢، كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار– حديث: ٣٥٨٠، والنسائي– كتاب الزينة، حديث: ٩٣٧١، والبيهقي– كتاب الشهادات، باب شهادة أهل العصبية – حديث: ١٩٦٢٢ بسند صحيح

٣ – رواه أحمد – حديث: ٢٠١٧٧، والطبراني في الكبير– حديث: ٢١٣٩

٤ – رواه أحمد – حديث: ١٧١٧٢، البخاري في الأدب المفرد– باب المُسْتَبَّان شَيطانَانِ يَتَهاتَران ويَتكاذَبان، حديث: ٤٤٠ بسند صحيح

٥ – رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن السباب – حديث: ٤٧٩٤



قال النووي: مَعْنَاهُ أَنَّ إِثْم السِّبَاب الْوَاقِع مِنْ اِثْنَيْنِ مُخْتَصّ بِالْبَادِئِ مِنْهُمَا كُلّه إِلَّا أَنْ يَتَجَاوَز الثَّانِي قَدْر الِانْتِصَار، فَيَقُول لِلْبَادِئِ أَكْثَر مِمَّا قَالَ لَهُ.[1]

اللَّعْنُ لَا يَذْهَبُ سُدَى:

من خطر اللعن أنه لا يذهب سدى، بل لابد أن يصيب مقتلاً، فإذا كان الَّذِي لُعِنَ أهلاً لهذه اللعنة أصابته، وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا.

فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالاً فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلاً وَإِلاَّ رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا».[2]

حُكْمُ سَبِ الدَّهْرِ :

من خطر السب على صاحبه أن العبد قد يسب شيئاً، هذا السب في حقيقته سب لمسببه وموجده مثل سب الدهر وسب الريح ، فإن سب الدهر سب لما في الدهر من أحداث، خالق هذه الأحداث وموجدها هو الله تعالى؛ لذا أخبر الله تعالى أن في سب الدهر أذى لله تعالى.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الأَمْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».[3]

حُكْمُ سَبِ الرِّيحِ :

وكذلك سب الريح فيه أذى له تعالى لأنها تجري بأمر الله تعالى، وتأتي بالرحمة والخير، وتأتي أيضاً بالعذاب وكلاهما من الله تعالى .

قال الله تعالى: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ}.[4]

---

١ – شرح النووي على مسلم – ٨ / ٣٩٨

٢ – رواه أبو داود– كتاب الأدب، باب في اللعن – حديث: ٤٢٨٠، والبيهقي في الشعب– فصل، حديث: ٤٩٢٨ بسند حسن

٣ – رواه البخاري– كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة– باب وما يهلكنا إلا الدهر الآية، حديث: ٤٥٥٢، مسلم– كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر– حديث: ٤٢٦٢

٤ – سورة فاطر: الآية/ ٩

.

وقال تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا}.[1]

وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ».[2]

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِنَّهَا تَجِيءُ بِالرَّحْمَةِ وَالْعَذَابِ وَلَكِنْ سَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا وَتَعَوَّذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا».[3]

حُكْمُ لَعْنِ الحَيَوانِ:

من الأخطاء الشائعة التي يمكن أن يقع فيها المسلم ولا يشعر أنه فعل ما يعاتب عليه أو يؤاخذ من جرائه، لعن حيوان، أو بهيمة، أو حتى سيارة إذا رأى ما يكرهه من ذلك، وخطر لعن هذه الأشياء وإن كانت بهذه المثابة يكون لعدة أمور:

الأول: أن في ذلك تعويدًا للسان على الفاحشة.

جلس السبكي بجانب أبيه فمر عليهما كلب فقال له: مر كلب ابن كلب فقال له أبوه مه! فقال ياأبت أليس كلب ابن كلب فقال له أبوه ولكن روينا أن عيسى عليه السلام مر عليه خترير فقال مر بسلام فقيل له أتقول هذا لخترير فقال: أره أن أعود لساني الفاحشة.

الثاني: أن اللعن وإن كان لجماد أو حيوان ليس من حال المؤمن، فلا يكون المؤمن لعاناً ولا سباباً، إنما هذا شأن من لا دين عنده ، ولا خلق له.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَانِ، وَلا الْفَاحِشِ، وَلا الْبَذِيءِ».[4]

---

١ – سورة الفرقان: الآية/ ٤٨

٢ – رواه الترمذي– كتاب الفتن، باب ما جاء في النهي عن سب الريح ،حديث:٢٢٣٠، والنسائي– كتاب عمل اليوم والليلة، حديث: ١٠٣٥٦ بسند صحيح

٣ – رواه أحمد– حديث: ٧٢٤٩، والنسائي– كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا هاجت الريح، حديث: ١٠٣٥٤ بسند صحيح

٤ – رواه أحمد– حديث: ٣٧٢٥، والترمذي– الذبائح ، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في اللعنة ، حديث: ١٩٤٨، وابن حبان– كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، حديث: ١٩٢، والبيهقي في الشعب– حديث:٤٩١٥، والطبراني في الكبير– حديث: ١٠٢٨٩ بسند صحيح

.

الثالث: أن اللعن يلازم هذا الذي رمي باللعن، فقد يستجيب الله تعالى فلا تنفك عنه اللعنة فإذا ظل مصاحباً له كان أقرب ما يكون إلى اللعنة التي تسبب بها.

فعن جَابرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ بَطْنِ بُوَاطٍ وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَجْدِيَّ بْنَ عَمْرٍو الْجُهَنِيَّ وَكَانَ النَّاضِحُ يَعْتَقِبُهُ مِنَّا الْخَمْسَةُ وَالسِّتَّةُ وَالسَّبْعَةُ فَدَارَتْ عُقْبَةُ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاضِحٍ لَهُ فَأَنَاخَهُ فَرَكِبَهُ ثُمَّ بَعَثَهُ فَتَلَدَّنَ عَلَيْهِ بَعْضَ التَّلَدُّنِ فَقَالَ لَهُ شَأْ لَعَنَكَ اللَّهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ هَذَا اللاَّعِنُ بَعِيرَهُ». قَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ.قَالَ:«انْزِلْ عَنْهُ فَلاَ تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ لاَ تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَوْلاَدِكُمْ وَلاَ تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لاَ تُوَافِقُوا مِنَ اللَّهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ».[1]

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ عَلَى نَاقَةٍ فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقَالَ«خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ». قَالَ عِمْرَانُ فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تَمْشِى فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ.[2]

وزَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ﷺ صَدِيقًا له فِي أَهْلِهِ يقال له أَبو عُمَيْرٍ فَلَمْ يَجِدْهُ فَاسْتَأْذَنَ عَلَى أَهْلِهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَسْقَى قَالَ فَبَعَثَتْ الْجَارِيَةَ تَجِيئُهُ بِشَرَابٍ مِنْ الْجِيرَانِ فَأَبْطَأَتْ فَلَعَنَتْهَا فَخَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ فَجَاءَ أَبو عُمَيْرٍ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَيْسَ مِثْلُكَ يُغَارُ عَلَيْهِ هَلَّا سَلَّمْتَ عَلَى أَهْلِ أَخِيكَ وَجَلَسْتَ وَأَصَبْتَ مِنْ الشَّرَابِ قَالَ قَدْ فَعَلْتُ فَأَرْسَلَتْ الْخَادِمَ فَأَبْطَأَتْ إِمَّا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وَإِمَّا رَغِبُوا فِيمَا عِنْدَهُمْ فَأَبْطَأَتْ الْخَادِمُ فَلَعَنَتْهَا وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ اللَّعْنَةَ إِلَى مَنْ وُجِّهَتْ إِلَيْهِ فَإِنْ أَصَابَتْ عَلَيْهِ سَبِيلًا أَوْ وَجَدَتْ فِيهِ مَسْلَكًا وَإِلَّا قَالَتْ يَا رَبِّ وُجِّهْتُ إِلَى فُلَانٍ فَلَمْ أَجِدْ عَلَيْهِ سَبِيلًا وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ مَسْلَكًا فَيُقَالُ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَخَشِيتُ أَنْ تَكُونَ الْخَادِمُ مَعْذُورَةً فَتَرْجِعَ اللَّعْنَةُ فَأَكُونَ سَبَبَهَا.[3]

حُكْمُ لَعْنِ الْمُعَيَنِ:

ربما يستشكل بعض الناس النهي عن اللعن من النصوص الواردة التي نقلناها مع نصوص أخرى فيها اللعن أو الأمر باللعن مثل قول النبي ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَارَ».[4]

---

١ – رواه مسلم– كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر – حديث: ٥٤٤٢

٢ – رواه مسلم– كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها – حديث: ٤٨٠٥

٣ – رواه أحمد– حديث: ٣٧٦١ بسند حسن

٤ – رواه مسلم– عن علي ﷺ ، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله – حديث: ٣٧٥٢



وغير ذلك من النصوص ونقول للجمع بين هذه النصوص لعن المعين ولو كان كافرا لا يجوز إلا من لعنه الشارع بعينه مثل إبليس ومثل أبي لهب، أما لعن من اتصف بوصف فيلعن من اتصف بذلك فلا حرج في ذلك كأن يقول لعنة الله على الظالمين، أو لعن الله اليهود، لأن اللعن قد ورد في حقهم.

قال النووي: اتفق العلماء على تحريم اللعن فانه في اللغة الإبعاد والطرد وفى الشرع الإبعاد من رحمة الله تعالى فلا يجوز أن يبعد من رحمة الله تعالى من لا يعرف حاله وخاتمة أمره معرفة قطعية فلهذا قالوا لا يجوز لعن أحد بعينه مسلمًا كان أوكافرًا أو دابةً إلا من علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر أو يموت عليه كأبي جهل وإبليس، وأما اللعن بالوصف فليس بحرام كلعن الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، وآكل الربا وموكله، والمصورين والظالمين والفاسقين والكافرين، ولعن من غير منار الأرض، ومن تولى غير مواليه، ومن انتسب إلى غير أبيه، ومن أحدث في الإسلام حدثاً أو آوى محدثاً، وغير ذلك مما جاءت به النصوص الشرعية بإطلاقه على الأوصاف لا على الأعيان والله اعلم. [١]

لا تسبن أحدًا ولو كان ظالمًا:

سَمِعَ ابْنُ سِيرِينَ رَجُلًا يَسُبُّ الْحَجَّاجَ، فَقَالَ: " مَهْ أَيُّهَا الرَّجُلُ، إِنَّكَ لَوْ وَافَيْتَ الْآخِرَةَ كَانَ أَصْغَرُ ذَنْبٍ عَمِلْتَهُ قَطُّ أَعْظَمَ عَلَيْكَ مِنْ أَعْظَمِ ذَنْبٍ عَمَلُهُ الْحَجَّاجُ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَكَمٌ عَدْلٌ، إِنْ أَخَذَ مِنَ الْحَجَّاجِ لِمَنْ ظَلَمَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا أَخَذَ لِلْحَجَّاجِ مِمَّنْ ظَلَمَهُ فَلَا تَشْغَلَنَّ نَفْسَكَ بِسَبِّ أَحَدٍ ".[٢]

قَالَ زُهَيْرٌ:

وَمَنْ يَجْعَل المَعْروفَ مِنْ دُونِ عِرضِهِ ***** يَفِرْهُ، ومَنْ لَا يَتَّقي الشَّتْمَ يُشتَم

وَقَالَ مالِكُ بنُ الرَّيْبِ:

وقد كُنْتُ محموداً لدى الزّاد والقِرَى ***** وعنْ شَتْمِ ابنِ العَمّ وَالجارِ وانِيا

---

١ - شرح النووي على مسلم - ٢ / ٦٧

٢ - شعب الإيمان - (٩/ ٥٧)



.

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(مُجَاوزَةُ الحَدِ فِي المَدحِ)

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ المدحُ بالباطلِ، لأنه يغرس في قلب الممدوح العجب والكبر، ويدعوه إلى الخيلاء والفخر، وهو مطية الكذب، وذريعة إلى الباطل وربما أفضى بصاحبه إلى الكفر بالله تعالى كما سنبين إن شاء الله تعالى.

تعريف المدح: المَدْح نقيض الهجاءِ وهو حُسْنُ الثناءِ يقال مَدَحْتُه مِدْحَةً واحدة ومَدَحَه يَمْدَحُه مَدْحاً ومِدْحَةً هذا قول بعضهم، والصحيح أَن المَدْحَ المصدر، والمِدْحَةَ الاسم، والجمع مِدَحٌ، وهو المَدِيحُ، والجمع المَدائحُ والأَماديح الأَخيرة على غير قياس، ونظيره حَديثٌ وأَحاديثُ.

قال أَبو ذؤَيب:

لو كان مِدْحَةُ حَيٍّ مُنْشِراً أَحداً ***** أَحْيا أَباكُنَّ يا لَيْلى الأَماديحُ[1]

الفرق بين الحمد والمدح: أن الحمد لا يكون إلا على إحسان والله حامد لنفسه على إحسانه إلى خلقه فالحمد مضمن بالفعل، والمدح يكون بالفعل والصفة وذلك مثل أن يمدح الرجل بإحسانه إلى نفسه وإلى غيره وان يمدحه بحسن وجهه وطول قامته ويمدحه بصفات التعظيم من نحو قادر وعالم وحكيم ولا يجوز أن يحمده على ذلك وإنما يحمده على إحسان يقع منه فقط.[2]

الفرق بين الإطراء والمدح: أن الإطراء هو المدح في الوجه ومنه قولهم الإطراء يورث الغفلة يريدون المدح في الوجه، والمح يكون مواجهة وغير مواجهة.[3]

حكم المدح في الشرع:

والمدح في أصله جائز شرعا ما لم يشتمل على الكذب أو الإطراء وأُمِنَ على الممدوح منه العُجبُ.

فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: لأَحَدٍ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. إِلاَّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ} الآيَةَ .[4]

---

١ – لسان العرب – ٢ / ٥٨٩

٢ – الفروق اللغوية – ١ / ٢٠٣

٣ – الفروق اللغوية – ١ / ٥٦

٤ – رواه البخاري– كتاب المناقب، باب مناقب عبد الله بن سلام ﷺ – حديث: ٣٦٢٤



فقد مدح رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عدة من أصحابه ﷺ منهم أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ومُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ومُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو بَكْرٍ نِعْمَ الرَّجُلُ عُمَرُ نِعْمَ الرَّجُلُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ نِعْمَ الرَّجُلُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ نِعْمَ الرَّجُلُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ نِعْمَ الرَّجُلُ مُعَاذُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ».[1]

ومدح رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُرَيْماً الأَسَدِيَّ كذلك.

فعن ابْنِ الْحَنْظَلِيَّةِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الأَسَدِيُّ لَوْلاَ طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ». فَبَلَغَ ذَلِكَ خُرَيْماً فَجعَلَ يَأْخُذُ شَفْرَةً فَيَقْطَعُ بِهَا شَعَرَهُ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ وَرَفَعَ إِزَارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ».[2]

ومدح رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ.

فعَن عبد الله بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ كَانَ الرَّجُلُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَى رُؤْيَا قَصَّهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَمَنَّيْتُ أَنْ أَرَى رُؤْيَا أَقُصُّهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ وَكُنْتُ غُلاَمًا شَابًّا عَزَبًا وَكُنْتُ أَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ كَأَنَّ مَلَكَيْنِ أَخَذَانِي فَذَهَبَا بِي إِلَى النَّارِ فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَّةٌ كَطَيِّ الْبِئْرِ وَإِذَا لَهَا قَرْنَانِ كَقَرْنَيِ الْبِئْرِ وَإِذَا فِيهَا نَاسٌ قَدْ عَرَفْتُهُمْ فَجَعَلْتُ أَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ- قَالَ- فَلَقِيَهُمَا مَلَكٌ فَقَالَ لِي لَمْ تُرَعْ. فَقَصَصْتُهَا عَلَى حَفْصَةَ فَقَصَّتْهَا حَفْصَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّى مِنَ اللَّيْلِ». قَالَ سَالِمٌ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لاَ يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلاَّ قَلِيلاً.[3]

وأقر أصحابه على مدح جَنَازَةٍ مُرَّ بها أمامه ﷺ.

فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِىَ عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ». وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِىَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ». قَالَ عُمَرُ فِدًى لَكَ أَبِى وَأُمِّي مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِىَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ. وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِىَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتَ وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

١ – رواه الترمذي– أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل حديث: ٣٨١٠، وابن حبان– كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، ذكر أبي عبيدة بن الجراح ﷺ– حديث: ٧١٠٧ بسند صحيح

٢ – رواه أحمد– حديث: ١٧٣١٠، وأبو داود– كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار، حديث: ٣٥٨٤ بسند صحيح لغيره

٣ – رواه البخاري– كتاب الجمعة، أبواب تقصير الصلاة، باب فضل قيام الليل، حديث: ١٠٨٣، ومسلم– كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل عبد الله بن عمر ﷺ– حديث:٤٦٣٣

.

«مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ».[١]

وعَنْ أَبِى زُهَيْرٍ الثَّقَفِيِّ ﷺ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقَالَ: «يُوشِكُ أَنْ تَعْرِفُوا أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». قَالُوا بِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ وَالثَّنَاءِ السَّيِّئِ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ».[٢]

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ، وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ».[٣]

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ نِعْمَ الرَّجُلُ بَقِيَّةُ لَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ يَكْنِى الأَسَامِيَ وَيُسَمِّى الْكُنَى كَانَ دَهْرًا يُحَدِّثُنَا عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْوُحَاظِيِّ فَنَظَرْنَا فَإِذَا هُوَ عَبْدُ الْقُدُّوسِ.[٤]

قلنا أن المدح جائز في الشرع إلا في حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون إطراءً فيحرم لما يشتمل عليه من الكذب والمغالاة والمبالغة.

في المدح، ولما فيه من تشبه باليهود والنصارى، ولأنه من تزيين الشيطان.

الحالة الثانية: عدم الأمن على الممدوح من العجب والخيلاء.

تعريف الإطراء:

الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح.

حكم الإطراء:

الإطراء محرم على الإطلاق ولا يجوز حتى مع النبي ﷺ: فعن عُمَرَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».[٥]

مثال الإطراء في حق النبي ﷺ:

قول البوصيري يمدح النبي ﷺ:

يا أكرمَ الخلقِ مَا لِي مَن ألوذُ به ****** سواكَ عندَ حُلولِ الحادثِ العممِ

فإنّ مِن جودِكَ الدُنيا وضُرتُها ****** ومِن علومِك عِلْمُ اللوحِ والقلمِ

---

١ – رواه البخاري– كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، حديث:١٣١٢، ومسلم– كتاب الجنائز، باب فيمن يثنى عليه خير أو شر من الموتى، حديث: ١٦٢٩ واللفظ له

٢ – رواه أحمد – حديث: ١٥١٦٧، ابن ماجة– كتاب الزهد باب الثناء الحسن – حديث: ٤٢١٩ بسند حسن

٣ - رواه مسلم

٤ – رواه مسلم– باب الكشف عن معايب رواة الحديث ونقلة الأخبار وقول الأئمة في ذلك.

٥ – رواه البخاري– رواه البخاري– كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها – حديث: ٣٢٧٧

.

خطر مُجَاوزَةِ الحَدِ في المَدحِ:

المدحُ بالباطلِ من تزيين الشيطان:

عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ: قَالَ أَبِى انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا أَنْتَ سَيِّدُنَا. فَقَالَ:«السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى». قُلْنَا وَأَفْضَلُنَا فَضْلاً وَأَعْظَمُنَا طَوْلاً. فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ».[1]

وقوله ﷺ: «وَلاَ يَسْتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» أي لا يتخذنكم جريا بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية أي كثير الجري في طريقه ومتابعة خطواته.

وقيل هو من الجراءة بالهمزة أي لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز.

وفي النهاية أي لا يغلبنكم فيتخذكم جريا، أي رسولاً ووكيلاً، وذلك أنهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهاهم عنه، والمعنى تكلموا بما يحضركم من القول ولا تتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تنطقون على لسانه.[2]

الإطراء فيه تشبه باليهود و النصارى:

قال الله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}.[3]

وقد وقع فئام من هذه الأمة في ذلك فمنهم من قال عن النبي ﷺ أنه أول خلق الله ومنهم من قال أنه ﷺ خلق من نور الله وقد حضرت في بداية الطلب درسا الذي يحاضر يقول سئل جابر بن عبد الله النبي ﷺ فقال يارسول الله ما أول شيء خلقه الله فقال: نور نبيك يا جابر، فقلت له إن علماء الحديث قالوا عن هذا الحديث إنه حديث موضوع مكذوب على النبي ﷺ ليس له أصل فقال لي باللفظ أنت جرثومة فساد كل الجالسين هنا يعتقدون ذلك. فقمت من المجلس وأنا أتأسف على سخافة عقله وشدة جرأته وتمكن البدعة من قلبه، ومنهم من يقول خلق الله الكون من نور محمد، إلى غير ذلك من المبالغات الشنيعة في حقه ﷺ وقد قدمنا ما قاله البوصيرى في البردة وهو يزعم أنه يمدح النبي محمد ﷺ:

فإنّ مِن جودِكَ الدُنيا وضُرتُها ****** ومِن علومِك عِلْمُ اللوحِ والقلمِ

---

١ – رواه أبو داود– كتاب الأدب، باب في كراهية التمادح– حديث: ٤١٩٣، والبخاري في الأدب المفرد – باب هل يقول: سيدي؟ حديث: ٢١٤

٢ – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – ١٤ / ١٨١

٣ – سورة التوبة: الآية / ٣٠



عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ ﷺ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ».[1]

الإطراء فيه هلاك للمادح والممدوح:

أما إهلاكه للمادح فيكون بعدة صور أظهرها أنه قد يعتقد أنه يرفع بمدحه ويخفض بذمه.
عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ الأَقْرَعِ بْنِ حَابِسٍ، أَنَّهُ نَادَى رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ، فَقَالَ: «ذَاكُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».[2]

أما إهلاكه للممدوح فيكون بسبب تولد الكبر والعجب والخيلاء وإحسان الظن بالنفس وترك العمل.
فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا مَدَحَ صَاحِبًا لَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَهُ إِنْ كُنْتَ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَقُلْ أَحْسَبُهُ كَذَا وَكَذَا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَحَدًا».[3]
وعن الحسن أن رجلاً أثنى على رجلٍ عند النَّبِيِّ ﷺ خيراً فقال له النبي ﷺ: «قطعت عنقه لو سمعك تقول هذا ما أفلح».[4]
وقال عبد الرحمن بن جبير بن نفير: مدحكُ أخاك في وجهه كإمرارك على حلقه موسى رهيصاً أي شديداً.[5]

مَا هُوَ وَاجِبُنَا نَحْوَ الْمَدَّاحِينَ:

١- أن نحثوا التراب في وجوههم:

قال وهب بن منبه: إذا سمعت الرجل يقول فيك من الخير ما ليس فيك؛ فلا تأمن أن يقول فيك من الشرّ ما ليس فيك.
عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ أَنَّ رَجُلاً جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ فَعَمِدَ الْمِقْدَادُ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ -وَكَانَ رَجُلاً ضَخْمًا- فَجَعَلَ يَحْثُو فِي وَجْهِهِ الْحَصْبَاءَ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ مَا شَأْنُكَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ».[6]

---

١ - رواه البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها - حديث: ٣٢٧٧ وتقدم

٢ - رواه أحمد- حديث:١٥٧٠٨، والترمذي- أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ- باب: ومن سورة الحجرات حديث:٣٢٧١ بسند صحيح

٣ - رواه البخاري -كتاب الشهادات، باب إذا زكى رجل رجلا كفاه، حديث:٢٥٤٠، ورواه مسلم- كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح ، حديث:٥٤٣٠

٤ - رواه معمر بن راشد في الجامع - باب المدح، حديث:١١٢٩

٥ - رواه أبو نعيم في الحلية - (٦ / ٩٩)

٦ - رواه مسلم- كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح ، حديث: ٥٤٣٤



وعَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ بَعَثَ وَفْدًا مِنْ الْعِرَاقِ إِلَى عُثْمَانَ فَجَاءُوا يُثْنُونَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ التُّرَابَ وَقَالَ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثُوَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ».[1]

قَالَ ابْن حجر: لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ خَمْسَة أَقْوَال:

أَحَدهَا: هَذَا وَهُوَ حَمْله عَلَى ظَاهِره وَاسْتَعْمَلَهُ الْمِقْدَاد رَاوِي الْحَدِيث.

وَالثَّانِي: الْخَيْبَة وَالْحِرْمَان كَقَوْلِهِمْ لِمَنْ رَجَعَ خَائِبًا رَجَعَ وَكَفّه مَمْلُوءَة تُرَابًا.

وَالثَّالِث: قُولُوا لَهُ بِفِيك التُّرَاب، وَالْعَرَب تَسْتَعْمِل ذَلِكَ لِمَنْ تَكْرَه قَوْله.

وَالرَّابِع: أَنَّ ذَلِكَ يَتَعَلَّق بِالْمَمْدُوحِ كَأَنْ يَأْخُذ تُرَابًا فَيَبْذُرهُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَتَذَكَّر بِذَلِكَ مَصِيره إِلَيْهِ فَلَا يَطْغَى بِالْمَدْحِ الَّذِي سَمِعَهُ.

وَالْخَامِس: الْمُرَاد بِحَثْوِ التُّرَاب فِي وَجْه الْمَادِح، إِعْطَاؤُهُ مَا طُلِبَ؛ لِأَنَّ كُلّ الَّذِي فَوْق التُّرَاب تُرَاب، وَبِهَذَا جَزَمَ الْبَيْضَاوِيّ وَقَالَ: شَبَّهَ الْإِعْطَاء بِالْحَثْيِ عَلَى سَبِيل التَّرْشِيح وَالْمُبَالَغَة فِي التَّقْلِيل وَالِاسْتِهَانَة، قَالَ الطِّيبِيُّ: وَيَحْتَمِل أَنْ يُرَاد رَفْعُهُ عَنْهُ وَقَطْع لِسَانه عَنْ عِرْضه بِمَا يُرْضِيه مِنْ الرَّضْخ، وَالدَّافِع قَدْ يَدْفَع خَصْمه بِحَثْيِ التُّرَاب عَلَى وَجْهه اِسْتِهَانَة بِهِ.[2]

قال المناوي: فالحثو كناية عن الردّ والحرمان أو أعطوهم ما طلبوا فإن كل ما فوق التراب تراب، ومن حمله على ظاهره ورماهم بالتراب فما أصاب.[3]

قلت حمله على ظاهره أولى من تأويل ذلك بالإعطاء، بل إعطاؤهم بعد المدح تشجيع لهم، ثم ما هو الفرق بين مكافأتهم على المدح ومنعهم من المدح على هذا القول، أيضا لا يدل الحثو للتراب في وجوههم على مجرد المنع لبينه النبي ﷺ فلم يبقى إلا حمله على الظاهر لاسيما وهو فهم أصحاب النبي ﷺ وهم أدرى بالحديث ممن بعدهم كما فعله المقداد ﷺ ، وأيضاً لأنه ليس مأموناً فكما قال لك قد يقول عليك.

٢- عدم الاغترار بكلام المداحين.

يجب على من مدح في وجهه أن يتواضع ولا يغتر، وأن يذكر ما عنده من عيوب سترها الله تعالى عن الناس، قَالَ اِبْن عُيَيْنَة: مَنْ عَرَفَ نَفْسه لَمْ يَضُرّهُ الْمَدْح.

---

١ – رواه أحمد- حديث: ٢٣٢١٥، والترمذي- أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية المدحة والمداحين، حديث: ٢٣٧٤ ، والطبراني في الكبير- حديث: ١٧٣٦٤

٢ – فتح الباري لابن حجر – ١٧ / ٢٢٥

٣ – التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي – ١ / ٨٤



.

عن نافع أو غيره أن رجلا قال لابن عمر يا خير الناس وابنَ خير الناس قال لست بخير الناس ولكني من عباد الله أرجو الله وأخافه والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه».[1]

قَالَ بَعْض السَّلَف: إِذَا مُدِحَ الرَّجُل فِي وَجْهه فَلْيَقُلْ: (اللَّهُمَّ اِغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلَا تُؤَاخِذنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ).[2]

الآفات المترتبة على المدح:

قال الغزاليّ رحمه الله: والمدح يدخله ست آفات أربع في المادح واثنتان في الممدوح.

فأما المادح:

فالأولى: أنه قد يفرط فينتهي به إلى الكذب قال خالد بن معدان من مدح إماما أو أحدا بما ليس فيه على رءوس الأشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه.

والثانية: أنه قد يدخله الرياء فإنه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به مرائيا منافقا.

الثالثة: أنه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له إلى الاطلاع عليه.

الرابعة: أنه قد يفرح الممدوح وهو ظالم أو فاسق وذلك غير جائز ، وقال الحسن: من دعا لظالم بطول البقاء فقد أحب أن يُعصى الله تعالى في أرضه، والظالم الفاسق ينبغي أن يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح.

وأما الممدوح فيضره من وجهين:

أحدهما: أنه يحدث فيه كبراً وإعجاباً وهما مهلكان.

قال الحسن رضي الله عنه كان عمر رضي الله عنه جالسا ومعه الدرة والناس حوله إذ أقبل الجارود بن المنذر فقال رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال مالي ولك يا أمير المؤمنين قال مالي ولك أما سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت أن يخالط قلبك منها شيء فأحببت أن أطأطيء منك.

الثاني: هو أنه إذا أثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن أعجب بنفسه قل تشمره وإنما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فأما إذا انطلقت الألسن بالثناء عليه ظن أنه قد أدرك ولهذا قال عليه السلام قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح.[3]

قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في قواعده: ولا تكاد تجد مداحًا إلا رذلاً ولا هجاءً إلا نذلًا.

---

١ – رواه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى– باب ما يكره لأهل العلم وغيرهم من التكبر والتجبر وإلزام الناس، حديث: ٤٢٦– ورواه معمر بن راشد في جامعه– باب المدح، حديث: ١١٣١

٢ – رواه الْبَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَب– باب في حفظ اللسان، حديث: ٤٦٦٦

٣ – إحياء علوم الدين – ٣/١٩٥ : ١٦٠ بتصرف



.

بل ربما تجاوز الحد حتى وقع في الكفر كقول ابن هاني الأندلسي شاعر المعز العبيدي مخاطبًا له:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار ***** فاحكم فأنت الواحد القهار[1]

عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي الْمِدْحَةِ فَقَالَ: «لَقَدْ أَهْلَكْتُمْ أَوْ قَطَعْتُمْ ظَهْرَ الرَّجُلِ».[2]

قال المهلب: وإنما قال هذا، والله أعلم، لئلا يغتر الرجل بكثرة المدح، ويرى أنه عند الناس بتلك المترلة، فيترك الازدياد من الخير ويجد الشيطان إليه سبيلا، ويوهمه في نفسه حتى يضع التواضع لله، وكان السلف يقولون: إذا أثنى على أحدهم : اللهم اغفر لنا ما لا يعلمون واجعلنا خيرًا مما يظنون. وقال يحيى بن معاذ: العاقل لا يدعه ما ستر الله عليه من عيوبه بأن يفرح بما أظهره من محاسنه.[3]

عن إبراهيم التيمى عن أبيه قال: كُنَّا جُلوساً عِندَ عُمر فَأثنَى رجلٌ عَلى رَجلٍ فِي وجهِهِ فَقال: (عَقَرتَ الرَّجلَ عَقَركَ الله).[4]

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: سَمِعتُ عُمر رضي الله عنه يَقولُ: (المَدحُ ذَبحٌ) قال: محمد يَعني إذا قَبلَها.[5]

قال الغزالي رحمه الله: اعلم أن على الممدوح أن يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولا ينجو منه إلا بأن يعرف نفسه ويتأمل ما في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الأعمال فإنه يعرف من نفسه ما لا يعرفه المادح.

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: لا يضر المدح من عرف نفسه وأثني على رجل من الصالحين فقال اللهم إن هؤلاء لا يعرفوني وأنت تعرفني .

وقال آخر لما أثني عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إلي بمقتك وأنا أشهدك على مقته.

وقال علي رضي الله عنه لما أثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون.

وأثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال أهلكتني وهلك نفسك.

---

١ – فيض القدير – ١ / ١٨٣

٢ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الأدب، باب ما يكره من التمادح– حديث:٥٧٢٠، وَمُسْلِمٌ– كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح، حديث: ٥٤٣٢

٣ – شرح صحيح البخاري لابن بطال – ٨ / ٤٨

٤ – رواه البخاري في الأدب المفرد– باب ما جاء في التمادح، حديث: ٣٤٥ بسند حسن

٥ – رواه البخاري في الأدب المفرد– باب ما جاء في التمادح، حديث: ٣٤٦ بسند صحيح



وأثنى رجل على علي كرم الله وجهه في وجهه وكان قد بلغه أنه يقع فيه فقال أنا دون ما قلت وفوق ما في نفسك. [1]

قال الغزالي: اعلم أن لحب المدح والتذاذ القلب به أربعة أسباب:

السبب الأول: وهو الأقوى شعور النفس بالكمال فإن الكمال محبوب وكل محبوب فإدراكه لذيذ فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واعتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها .

السبب الثاني: أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مريد له ومعتقد فيه ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثناء ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر.

السبب الثالث: أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لاسيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه وهذا مختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم كلما كان الجمع أكثر والمثني أجدر بأن يلتفت إلى وله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس.

السبب الرابع: أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء على الممدوح إما عن طوع وإما عن قهر فإن الحشمة أيضا لذيذة لما فيها من القهر والقدرة.

فهذه الأسباب الأربعة قد تجمع في مدح مادح واحد فيعظم بها الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة بها. [2]

ما هو الواجب عليك إذا احتجت أن تمدح إنسانا؟

قد يسأل أحدنا عن إنسان لا يعلم عنه إلا الخير والصلاح فبماذا يجيب؟

علمنا النبي ﷺ القصد في ذلك مع قول الحق، وأن يقول من سئل عن ذلك أَحْسِبُ فُلاَنًا صالحا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّى عَلَى اللَّهِ أَحَدًا.

عَنْ أَبِى بَكْرَةَ ﷺ قَالَ أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ» مِرَارًا ثُمَّ قَالَ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّى عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ». [3]

---

١ – إحياء علوم الدين – ٣ / ١٦١

٢ – إحياء علوم الدين – ٣ / ٢٨٦

٣ – رواه البخاري– كتاب الشهادات، باب: إذا زكى رجل رجلا كفاه– حديث: ٢٥٤٠، رواه مسلم– كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن المدح – حديث: ٥٤٣٠

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

الجِدَال

تعريف الجِدَال: الجدال المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل، أي: أحكمت فتله ومنه: الجدال، فكأن المُتَجَادِلَين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. وقيل: الأصل في الجدال: الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة، وهي الأرض الصلبة.[١]

قال القرطبي رحمه الله: الجدال وزنه فعال من المجادلة، وهي مشتقة من الجَدْلِ وهو الفتل، ومنه زمام مجدول.

وقيل: هي مشتقة من الجدالة التي هي الأرض.[٢]

فالجدَل مُقابَلة الحُجَّة بالحجَّة. والمُجَادَلَة: المُناظَرةُ والمخاصَمة وطَلبُ الغلَبة.

حكم الجدال:

الجدال تنتظم فيه الأحكام التكليفية الخمسة، فمنه ما هو واجب يأثم العبد بتركه، ومنه ما هو مستح، ومنه ما هو مباح، ومنه ما هو مكروه، ومنه ما هو حرام.

والمقصود من الكلام هنا الكلام عن الجدال الحرام والمكروه كما سنبينه إن شاء الله.

قَالَ الْكَرْمَانِيُّ الْجِدَال: هُوَ الْخِصَام وَمِنْهُ قَبِيح وَحُسْن وَأَحْسَن، فَمَا كَانَ لِلْفَرَائِضِ فَهُوَ أَحْسَن، وَمَا كَانَ لِلْمُسْتَحَبَّاتِ فَهُوَ حَسَن، وَمَا كَانَ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ قَبِيح.[٣]

وقال المهلب: الجدال موضوعه في اللغة المدافعة، فمنه مكروه، ومنه حسن، فما كان منه تثبيتًا للحقائق وتثبيتًا للسنن والفرائض ، فهو الحسن وما كان منه على معنى الاعتذار والمدافعات للحقائق فهو المذموم.[٤]

قَالَ الحافظ ابن حجر رحمه الله: في قول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها "أَلَا تُصَلُّونَ" قَالَ: وَيُؤْخَذ مِنْهُ الْإِشَارَة إِلَى مَرَاتِب الْجِدَال فَإِذَا كَانَ فِيمَا لَا بُدّ لَهُ مِنْهُ تَعَيَّنَ نَصْر الْحَقّ بِالْحَقِّ، فَإِنْ جَاوَزَ الَّذِي يُنْكِر عَلَيْهِ الْمَأْمُور نُسِبَ إِلَى التَّقْصِير، وَإِنْ كَانَ فِي مُبَاح اِكْتَفَى فِيهِ بِمُجَرَّدِ الْأَمْر وَالْإِشَارَة إِلَى تَرْك الْأَوْلَى.[٥]

أنواع الجدال:

---

١ – مفردات ألفاظ القرآن – ١ / ١٧٥

٢ – تفسير القرطبي – (٢ / ٤٠٩)

٣ – فتح الباري لابن حجر – ٢٠ / ٤٠٦

٤ – شرح صحيح البخارى لابن بطال – ١٠ / ٣٧٧

٥ – فتح الباري لابن حجر – ٢٠ / ٤٠٦



.

الجدال نوعان:

الأول: جدال ممدوح:

الجدال لتثبيت الحق ودحض الشبهات:

من أنواع الجدال الجاز الجدال لتثبيت الحق ودحض الشبهات ومنه جدال النبي ﷺ لقومه لبيان سبيل الحق وكشف ما عندهم من الشبهات.

قال الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}.[1]

وهذا النوع من الجدال أحياناً يكون واجباً، وأحيانا يكون مستحبا، فيكون واجبا إذا أثيرت الشبهات في وجه الإسلام، وقام بعض الناس بتزييف الحقائق لطمس معالم الإسلام، أو لتشويه صورته، فأقول: هنا تجب المجادلة لتبيين حقائق الإسلام، وكشف زيف خصومه، ومع ذلك فإن المجادلة والحال هكذا يجب أن تكون بالتي هي أحسن كما أمر ربنا تبارك وتعالى، فليس فيها شيء من السب والشتم، بل ليس فيها إلا إظهار الحق وتبينه للناس.

وقد يكون الجدال مستحباً لدعوة غير المسلمين للإسلام، وذلك ببيان ما هم عليه من سوء الديانة وفساد المعتقد، وتحريف ما بين أيديهم من الكتاب إذا كانوا أهل كتاب، مع بيان دين الله تعالى وذلك أيضاً لا يكون إلا بالتي هي أحسن كما أمر ربنا تبارك وتعالى.

قال الله تعالى: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزلَ إِلَيْنَا وَأُنزلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ}.[2]

الثاني: الجدال المذموم:

وينقسم إلى أقسام كثيرة فمنها ما هو كفر بالله تعالى، ومنها ما يوجب النار عياذا بالله تعالى، ومنها ما هو علامة على الضلال، ومنها ما يورث العداوة ويقطع المودة، ومنها ما يولد الكبر في قلب صاحبه.

أقسام الجدال المذموم:

١-الجدال في الله بغير علم:

١ – سورة النحل: الآية /١٢٥

٢ – سورة العنكبوت: الآية /٤٦



أخطر أنواع الجدال على العباد وعلى الدين الجدال في الله تعالى بغير علم رد ما أثبته الله تعالى لنفسه من الصفات، سواء أكان ذلك بتأويل أو تشبيه أو تعطيل، وكذا وصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه بتجسيم أو تكييف.

قال الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ}.[1]

ومن الجدال في الله تعالى نسبة الصاحبة والولد له سبحانه.

ومنه نسبة ما ليس من دين الله تعالى إليه،كتحريم الحلال وتحليل الحرام ومنه تحريم البحيرة، والسائبة، والوصيلة والحام.

٢–الجدال في القرآن:

ومن الجدال المذموم، الجدال في القرآن بالطعن في آيات الله تعالى بتتبع ما تشابه من آياته ابتغاء الفتنة، وضرب القرآن بعضه ببعض.

قال الله تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ}.[2]

قال القرطبي رحمه الله قوله تعالى: {مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} سجل سبحانه على المجادلين في آيات الله بالكفر، والمراد الجدال بالباطل، من الطعن فيها، والقصد إلى إدحاض الحق، وإطفاء نور الله تعالى. وقد دل على ذلك في قوله تعالى: {وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ}. فأما الجدال فيها لإيضاح ملتبسها، وحل مشكلها، ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها، ورد أهل الزيغ بها وعنها، فأعظم جهاد في سبيل الله.[3]

وقال تعالى: {وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ}.[4]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ– ثَلاَثَ مَرَّاتٍ – فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ».[5]

قال المناوي: أي الشك في كونه كلام الله كفر أو أراد الخوض فيه بأنه محدث أو قديم أو المجادلة في الآى المتشابهة المؤدى إلي الجحود فسماه كفرا باسم ما يخاف عاقبته.[6]

١ – سورة الحج: الآية / ٣

٢ – سورة غافر: الآية /٤

٣ – الجامع لأحكام القرآن – ١٥ / ٢٩٢

٤ – سورة الشورى: الآية/ ٣٥

٥ – رواه أحمد– حديث: ٧٨٠٥، وأبو داود– كتاب السنة، باب النهي عن الجدال في القرآن – حديث: ٤٠٠٨، بسند صحيح كتاب العلم، ذكر الزجر عن تتبع المتشابه من القرآن للمرء المسلم– حديث: ٧٤ بسند صحيح

٦ – التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي ٢ / ٨٨١



وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ فَاحْذَرْهُمْ ».[1]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوا الْمِرَاءَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْأُمَمَ قَبْلَكُمْ لَمْ يُلْعَنُوا حَتَّى اخْتَلَفُوا فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ مِرَاءً فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ».[2]

ومنه ما كان يفعله صَبِيغُ بْنُ عِسْلٍ التَميمي، الذي كان يتتبع مَا تَشَابَهَ مِنْ الْقُرْآنِ كأنه يشكك فيه، فعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يُقَالُ لَهُ: صَبِيغُ بْنُ عِسْلٍ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ كُتُبٌ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابَهِ الْقُرْآنِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ رضي الله عنه فَبَعَثَ لَهُ، وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ: "مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا صَبِيغٌ، فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا عُمَرُ عَبْدُ اللَّهِ، ثُمَّ أَهْوَى إِلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ بِتِلْكَ الْعَرَاجِينِ حَتَّى شَجَّهُ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَاللَّهِ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي".[3]

٣–الجدال بالباطل لدحض الحق:

ومن الجدال المذموم، الجدل بالباطل لدحض الحق، قال الله تعالى: {وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ}.[4]

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الذين كفروا يجادلون بالباطل، أي يخاصمون الرسل بالباطل، كقولهم في الرسول: ساحر، شاعر، كاهن وكقولهم: في القرآن: أساطير الأولين، سحر، شعر، كهانة. وكسؤالهم عن أصحاب الكهف، وذي القرنين. وسؤالهم عن الروح عناداً وتعنتاً، ليبطلوا الحق بجدالهم وخصامهم بالباطل.[5]

٤–الجدل بغير علم:

١ – رواه البخاري – كتاب تفسير القرآن سورة البقرة – باب منه آيات محكمات، حديث:٤٢٨٢، مسلم – كتاب العلم، باب النهي عن إتباع متشابه القرآن – حديث:٤٩٢٤

٢ - رواه ابن أبي شيبة– حديث رقم: ٣٠١٦٦

٣ – الإبانة الكبرى لابن بطة – (٢/ ٦٠٩)، ورواه الدارمي – باب من هاب الفتيا وكره التنطع و التبدع، حديث:١٥٣، والبدع لابن وضاح – قصة صبيغ العراقي، حديث:١٤٨

٤ – سورة غافر :الآية /٥

٥ – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٩ / ٢٢٦



ومن الجدال المذموم، الجدل بغير علم، قال الله تعالى: {ها أَنْتُمْ هؤُلاءِ حاجَجْتُمْ فِيما لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيما لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}.[1]

قال ابن كثير رحمه الله: هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإنَّ اليهود والنصارى تَحَاجوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علْم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم بردّ ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}.[2]

٥-الجدل في الحق بعد ظهوره:

ومن الجدال المذموم، الجدل في الحق بعد ظهوره، دفعًا للحق واعراضًا عنه، قال الله تعالى: {يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ}.[3]

فضل ترك الجدال:

ترك الجدال مغالبة للنفس، ومدافعة لشهوة الظهور، وبين الانتصار للنفس وحظوظها والانتصار للحق شعرة دقيقة جداً، ومع ذلك ففيها مدخل عظيم من مداخل الشيطان، يثير من خلاله العداوات، ويقطع فيه المودات، وربما حمل كل واحد من المتجادلين على الانتصار لرأيه ولو كان باطلاً، ودفع رأي الخصم ولو كان محقاً فكان علاج ذلك بترك الجدال والمراء حتى لو كان المجادل يرى نفسه محقاً ومن فعل ذلك فقد ضمن له النبيﷺ بيتاً في ربض الجنة.

عَنْ أَبِى أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ».[4]

ترك الجدال من كمال الإيمان:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ الْعَبْدُ الإِيمَانَ كُلَّهُ حَتَّى يَتْرُكَ الْكَذِبَ فِي الْمُزَاحَةِ وَيَتْرُكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ صَادِقاً».[5]

١ – سورة آل عمران : الآية/ ٦٦

٢ – تفسير ابن كثير ٢ / ٥٨

٣ – سورة الأنفال : الآية/ ٦

٤ – رواه أبو داود– كتاب الأدب، باب في حسن الخلق – حديث: ٤١٨٨، والبيهقي في السنن– كتاب الشهادات، باب المزاح– حديث: ١٩٦٩٩ بسند حسن

٥ – رواه أحمد– حديث:٨٤٤٦ ، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق – باب في الصدق وما جاء في فضله وذم الكذب، حديث:١٣٤ بسند صحيح

.

وقَالَ يَحْيَى بن أبي كثير رحمه الله: "سِتٌّ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ: قِتَالُ أَعْدَاءِ اللهِ بالسَّيْفِ، وَالصِّيَامُ فِي الصَّيْفِ، وَإِسْبَاغُ الْوضُوءِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِي، وَالتَّبْكِيرُ بِالصَّلَاةِ فِي يَوْمِ الْغَيْمِ، وَتَرْكُ الْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمُصِيبَةِ ".[1]

ترك الجدال علامة حسن الخلق:

عَنِ السَّائِبِ بْنِ أَبِى السَّائِبِ رضي الله عنه أَنَّهُ كَانَ يُشَارِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الإِسْلاَمِ فِي التِّجَارَةِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ جَاءَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«مَرْحَباً بِأَخِي وَشَرِيكِي كَانَ لاَ يُدَارِى وَلاَ يُمَارِى يَاسَائِبُ قَدْ كُنْتَ تَعْمَلُ أَعْمَالاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ لاَ تُقْبَلُ مِنْكَ وَهِيَ الْيَوْمَ تُقْبَلُ مِنْكَ». وَكَانَ ذَا سَلَفٍ وَصِلَةٍ.[2]

خطر الجدال على صاحبه:

الجدال علامة على الضلال:

من أمارات الضلال، ومن علامات الزيغ، ترك الهدي المتمثل في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ والاشتغال بالجدل والذي كان يعرف فيما مضى بعلم الكلام، ومثله اليوم الفلسفة وغيرها من العلوم التي ليس فيها نفع ولا فائدة.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ». ثُمَّ قَرَأَ: { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}.[3]

قال القاضي: المراد التعصب لترويج المذاهب الكاسدة والعقائد الزائفة لا المناظرة لإظهار الحق واستكشاف الحال واستعلام ما ليس معلوماً عنده أو تعليم غيره ما عنده ؛ لأنه فرض كفاية خارج عما نطق به الحديث.[4]

وَالْمُرَاد بِالْجِدَال الْخِصَام بِالْبَاطِلِ وَضَرْب الْحَقّ بِهِ وَضَرْب الْحَقّ بَعْضه بِبَعْضٍ بِإِبْدَاءِ التَّعَارُض وَالتَّدَافُع وَالتَّنَافِي بَيْنهمَا لَا الْمُنَاظَرَة لِطَلَبِ الثَّوَاب مَعَ تَفْوِيض إِلَى اللَّه عِنْد الْعَجْز عَنْ مَعْرِفَة الْكُنْه.[5]

---

١ – حلية الأولياء – ٣ / ٦٨

٢ – رواه أحمد– حديث:١٥٢٣٤، والحاكم في المستدرك– كتاب البيو ع ، حديث: ٢٢٩٨ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن– كتاب الشركة، باب الاشتراك في الأموال والهدايا – حديث: ١٠٦٨٤ ، و ابن أبي شيبة– كتاب المغازي، حديث فتح مكة، حديث: ٣٦٢٦٦ ، والطبراني في الكبير– حديث: ٦٤٦٩

٣ – رواه أحمد– حديث: ١٥٢٣٤، والحاكم في المستدرك– كتاب البيو ع، حديث: ٢٢٩٨ ،والبيهقي في السنن– كتاب الشركة، باب الاشتراك في الأموال والهدايا– حديث: ١٠٦٨٤ بسند حسن

٤ – مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني – ١ / ٤٣

٥ – حاشية السندي على ابن ماجه – ١ / ٤٠



.

الجدال معصية:

لما كان الجدال المذموم سببا في الهجر وقطع حبال المودة وإفساد ذات البين وامتلاء القلوب بالضغائن والأحقاد، ودفع الحق وعدم قبوله نهى عنه النبي ﷺ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَفَى بِكَ إِثْمًا أَنْ لاَ تَزَالَ مُخَاصِمًا».[١]

والنهي يقتضي التحريم وذلك لما يثيره الجدال من العداوات، ولما يوغر الصدور.

الجدال يورث العداوة والبغضاء:

من أكثر مداخل الشيطان التي يجد للناس منها مدخلا إليهم الجدال، وذلك لأن كل واحد من المتجادلين، يريد أن يثبت حجته، ويدحض حجة خصمه، ويظهر ضعفه، وربما حقر رأيه وسفه حلمه، وكيرا من يصحب ذلك دفع الحق وعدم قبوله، فيكون قد وقع في الكبر باحتقار من أمامه وبطر الحق، فيكون الجدال سببا للقطيعة بينهما مع يجده كل واحد منهما من الضغينة والحقد بسبب الجدال.

وَ قَالَ مَالِكٌ: الجِدَالُ فِي الدِّيْنِ يُنشِئُ المِرَاءَ، وَيُذْهِبُ بِنُورِ العِلْمِ مِنَ القَلْبِ وَيُقَسِّي، وَيُورِثُ الضِّغْن.[٢]

قال محّمد بن علي بن حسين : الخصومة تمحق الدين وتنبت الشحناء في صدور الرجال.

دَعِ الجدالَ ولا تحفل به أبداً ***** فإنه سبب للبُغض ما وُجِدا

الجدال سبب حرمان العلم:

عن يونس قال: كتب إليَّ ميمون بن مهران: إياك والخصومة والجدال في الدين ولا تجادلن عالما ولا جاهلا أما العالم فإنه يخزن عنك علمه ولا يبالي ما صنعت، وأما الجاهل فإنه يخشن بصدرك ولا يطيعك.[٣]

الجدال من خوارم المروءة:

قال ذو النُّونِ: (ثَلَاثَةٌ مِنْ أَعْلَامِ أَعْمَالِ الْكِيَاسَةِ تَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْعَمَلِ بِيَسِيرِ الْعِلْمِ، وَالِاشْتِغَالُ بِإِصْلَاحِ عُيُوبِ النَّفْسِ غَافِلًا عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ).[٤]

الجدال ينافي الأخوة الإيمانية:

قال عبد اللّه بن عباس ﷺ: كفى بك ظلماً ألا تزال مخاصماً، وكفى بك إثماً ألا تزال ممارياً.

---

١ – رواه الترمذي- كتاب البر والصلة – باب ما جاء في المراء، حديث: ١٩٦٥ بسند ضعيف

٢ – سير أعلام النبلاء – (٧/ ١٨٤)

٣ – رواه الدارمي – باب من قال : العلم : الخشية وتقوى الله ، حديث:٣١٨

٤ – رواه البيهقي في شعب الإيمان – فصل في ترك تتبع عورات المسلمين وفي قبول عذرهم سوى ما حديث:١٠٧٢٣



.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى: ما أمارى أخي أبداً، لأني أرى أني إما أن أكذبه وإما أن أغضبه.

قيل لعبد الله بن حسين: ما تقول في المراء ؟ قال: يفسد الصداقة القديمة، ويحلّ العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن يكون دريئة للمغالبة والمغالبة أمتن أسباب القطيعة.

وقال مسعر بن كدام الهلالي يوصى ابنه كداماً:[1]

إنّي منحتك يا كدام نصيحتي ***** فاسمع لقول أب عليك شفيق

أمّا المزاحة و المراء فدعهما ***** خلقان لا أرضاهما لصديق

إنّي بلوتهما فلم أحمدهما ***** لمجاورٍ جار ولا لرفيق

والجهل يزرى بالفتى في قومه ***** وعروقه في النّاس أىّ عروق

عن محمد بن مسلم بن يسار قال: إياكم والمراء فإنه ساعة جهل العالم وبه يبتغي الشيطان زلته، قال محمد: هذا الجدال هذا الجدال.[2]

الجدال سبب رفع البركة وذهاب الخير:

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ لِيُخْبِرَنَا بِلَيْلَةِ القَدْرِ فَتَلاَحَى رَجُلاَنِ مِنَ المُسْلِمِينَ فَقَالَ: «خَرَجْتُ لِأُخْبِرَكُمْ بِلَيْلَةِ القَدْرِ، فَتَلاَحَى فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ، فَرُفِعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالخَامِسَةِ».[3]

الجدال يفسد العبادة أو يكاد أن يفسدها:

قال الله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ}.[4]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: {وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ} [البقرة: ١٩٧] قَالَ: «تُمَارِي صَاحِبَكَ حَتَّى تُغْضِبَهُ».

الجدال سبب الهلاك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "،

---

١ – الآداب الشرعية – ١ / ٤٧

٢ – الطبقات الكبرى لابن سعد – ٧ / ١٨٧

٣ – رواه البخاري

٤ – سورة البقرة: الآية/ ١٩٧



.

ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ».[1]

الجدال من أسباب دخول النار:

عن كعب بن مالك ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن طلبَ العِلمَ لِيُجاريَ بِهِ العُلَمَاءَ ، أَو لِيُمَاريَ بِهِ السُّفَهَاءَ، ويصرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إليه: أَدْخَلَهُ الله النَّار».[2]

ويقال: لا تمار حليماً ولا سفيهاً، فإن الحليم يغلبك، والسفيه يؤذيك.

---

١ – رواه مسلم– كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر – حديث: ٢٤٥٦

٢ – رواه الترمذي– كتاب العلم، باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، حديث: ٢٦٤٥، رواه ابن ماجه– المقدمة، باب الانتفاع بالعلم والعمل به حديث: ٢٥١، والدارمي– باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، حديث: ٣٩٢ بسند حسن

من أقوال السلف في الجدل:

قال لقمان لابنه: يا بني لا تمارين حكيماً، ولا تجادلن لجوجاً، ولا تعاشرن ظلوماً، ولا تصاحبنّ متهماً. [1]

وقَالَ وَبَرَةُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ: أَوْصَانِي ابْنُ عَبَّاسٍ بِكَلِمَاتٍ لَهُنَّ أَحْسَنُ مِنَ الدُّهْمِ الْمُوقَفَةِ، قَالَ لِي: "يَا وَبَرَةُ، لَا تَعَرَّضْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَفْضَلُ، وَلَا آمَنُ عَلَيْكَ الْوِزْرَ، وَدَعْ كَثِيرًا مِمَّا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لَهُ مَوْضِعًا، فَرُبَّ مُتَكَلِّفٍ بِحَقٍّ تَقِيٌّ قَدْ تَكَلَّمَ فِي الْأَمْرِ بِعَيْنِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَعَطِبَ وَلَا تُمَارِيَنَّ حَلِيمًا، وَلَا سَفِيهًا، فَإِنَّ الْحَلِيمَ يَقْلِيكَ، وَإِنَّ السَّفِيهَ يُرْدِيكَ، وَاذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا تَوَارَى عَنْكَ بِكُلِّ مَا تُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ إِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُ، وَدَعْهُ مِنْ كُلِّ مَا تُحِبُّ أَنْ يَدَعَكَ مِنْهُ، وَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَجْزِيٌّ بِالْحَسَنَاتِ مَأْخُوذٌ بِالسَّيِّئَاتِ". [2]

وقال إبراهيم التّيمى: إياكم والمخاصمات في الدين، فإنها تحبط الأعمال.

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر التنقل.

وقال الأوزاعىّ: إذا أراد اللّه بقوم شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل.

وقال ابن أبي الزناد: ما أقام الجدل شيئًا إلا كسره جدلٌ مثله.

وقال الأصمعى: سمعت أعرابيًا يقول: من لاحى الرجال وماراهم قلت كرامته، ومن أكثر من شيء عرف به.

وقال عبد اللّه بن حسين على رضي الله عنهم: المراء رائد الغضب، فأخزى اللّه عقلا يأتيك به الغضب.

و وقال معاذ بن جبل: إذا كان لك أخ في اللّه فلا تماره، ولا تساره الحديث.

وقال مصعب الزبيري :

أأقعد بعدما وجفت عظامي	*****	وكان الموت أقرب ما يليني
أجادل كلّ معترض خصيمٍ	*****	وأجعل دينه غرضاً لديني
فأترك ما علمت لرأى غيري	*****	وليس الرّأي كالعلم اليقين
وما أنا والخصومة وهى لبس	*****	تصرف في الشّمال وفي اليمين

وقال مالك: «الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسي، ويورث الضغن».

وقال مالك أيضا: «وليس هذا الجدل من الدين بشيء.

عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ: جَلَسْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسًا مَا جَلَسْتُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَغْبَطَ عِنْدِي ، قَالَ: فَخَرَجَ مِنْ وَرَاءِ حُجْرَاتِهِ قَوْمٌ يُجَادِلُونَ بِالْقُرْآنِ ، قَالَ: فَخَرَجَ مُحْمَرَّةٌ وَجْنَتَاهُ كَأَنَّمَا يَقْطِرَانِ دَمًا فَقَالَ: «يَا قَوْمِ لَا تُجَادِلُوا بِالْقُرْآنِ ، فَإِنَّمَا ضَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِجِدَالِهِمْ إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ

---

١ – بهجة المجالس وأنس المجالس– ١ / ٩٤

٢ – رواه البيهقي في الشعب– فصل في فضل السكوت عن كل ما لا يعنيه ، حديث: ٤٧٩١



.

لَيُكَذِّبَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَلَكِنْ نَزَلَ لِيُصَدِّقَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، فَمَا كَانَ مِنْ مُحْكَمِهِ فَاعْمَلُوا بِهِ ، وَمَا كَانَ مِنْ مُتَشَابِهِهِ فَآمِنُوا بِهِ». مسند الحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث (٢/ ٧٤٠)

قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى الطَّبَّاعُ ، قَالَ: كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ يَعِيبُ الْجِدَالَ فِي الدِّينِ ، وَيَقُولُ: «كُلَّمَا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلَ مِنْ رَجُلٍ أَرَادَنَا أَنْ نَرُدَّ مَا جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٠٧)

قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ ، قَالَ: سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ ، «يَنْهَى عَنِ الْجِدَالِ إِلَّا رَجُلًا إِنْ كَلَّمْتَهُ يَرْجِعُ»

الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٣٠)

قَالَ: سَمِعْتُ السِّبْيَاوِيَّ ، يَقُولُ: رَأَيْتُ الْأَصْمَعِيَّ «يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْجُدَّالَ زَنَادِقَةٌ»

الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٣٠)

قَالَ: سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ ، يَقُولُ: «الْمِرَاءُ فِي الْعِلْمِ يُقَسِّي الْقَلْبَ ، وَيُورِثُ الضِّغْنَ»

الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٣٠)

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ: «الْمِرَاءُ يُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ ، [ص:٥٣١] وَيَحُلُّ الْعُقْدَةَ الْوَثِيقَةَ ، وَأَقَلُّ مَا فِيهِ أَنْ تَكُونَ الْمُغَالَبَةُ ، وَالْمُغَالَبَةُ أَمْتَنُ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ».

الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٥٣١)

قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قِيلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنٍ: " مَا لَكَ لَا تُمَارِي إِذَا جَلَسْتَ؟ فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُ بِأَمْرٍ إِنْ بَالَغْتَ فِيهِ أَثِمْتَ ، وَإِنْ قَصَّرْتَ فِيهِ خُصِمْتَ»



مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(السُّخْرِيَةُ وَ الِاسْتِهْزَاءُ)

الِاسْتِهْزَاءُ لغة: السُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِخْفَافُ وَأَصْلُ الْبَابِ الْخِفَّةُ.

فالِاسْتِهْزَاءَ بالشَّيْءِ الِاسْتِهَانَةُ بِهِ، وَالِاسْتِهْزَاءُ بِالشَّخْصِ احْتِقَارُهُ وَعَدَمُ الِاهْتِمَامِ بِأَمْرِهِ، وَكَثِيرًا مَا يَصْحَبُ ذَلِكَ السُّخْرِيَةُ مِنْهُ، وَهِيَ الضَّحِكُ النَّاشِئُ عَنِ الِاسْتِخْفَافِ وَالِاحْتِقَارِ، فَمَنْ حَاكَى امْرَءًا فِي قَوْلِهِ أَوْ عَمَلِهِ أَوْ زِيِّهِ أَوْ غَيْرِهَا مُحَاكَاةَ احْتِقَارٍ فَقَدْ سَخِرَ مِنْهُ، فَالسُّخْرِيَةُ تَسْتَلْزِمُ الِاسْتِهْزَاءَ، وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْأَشْخَاصِ دُونَ الْأَشْيَاءِ.

الفرق بين السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ:

الفرق بين السُّخْرِيَةِ وَ الِاسْتِهْزَاءِ هو أن السخرية تدل على فعل وقع من إنسان، سبب له السخرية من غيره.

و الِاسْتِهْزَاءُ لا يلزم تقدم فعل أو قول من الذي يُسْتَهزَأُ به بل يُسْتَهزَأُ به ابتداً، ويقع كل منهما مكان الآخر.

أَسبَابُ السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ:

قد يسخر إنسان من آخر لفقره، وقد يسخر منه لجنسه، وقد يسخر منه للونه، وقد يسخر منه لمكانته، فهل هذه مبررات للسخرية من الخلق؟ نقول لا تجوز السخرية بحال من الأحوال.فإن التفاضل بين الناس لا يكون إلا علـــى أساس التقوى والعمل الصالح، وهذا أمر لا يعلمه إلا الله تعالى، فقد يسخر العبد من غيره ويكون هذا الذي وقعت عليه السخرية خير من ذلك بدرجات عظيمة لا يعلمها إلا الله تعالى.

ميزان التفاضل عند الله تعالى:

وكما قلنا فالرفعة عند الله تعالى بالتقوى والعمل الصالح و ليست بالنسب ولا بالمنصب ولا بالجاه ولا بالمال.

قال الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالألْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }.[١]

وعَنْ سَهْلٍ ﷺ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:«مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا قَالُوا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ قَالَ ثُمَّ سَكَتَ فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي هَــذَا قَــالُوا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِــلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».[٢]

---

١ – سورة الحجرات: الآية /١١

٢ – رواه البخاري– كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث: ٤٨٠٤



وعند ابن ماجه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ ﷺ قَالَ: مَرَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟» قَالُوا: رَأْيَكَ فِي هَذَا، نَقُولُ: هَذَا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ، أَنْ يُخَطَّبَ، وَإِنْ شَفَعَ، أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ، أَنْ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» ، قَالُوا: نَقُولُ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ، لَمْ يُنْكَحْ، وَإِنْ شَفَعَ، لَا يُشَفَّعْ، وَإِنْ قَالَ، لَا يُسْمَعْ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَهَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا».[1]

لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بِدِينِهِ ***** فَلَا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبِ

لَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلَامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ***** وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّقِيَّ أَبَا لَهَبِ

وإن كانت الرفعة والفضل عند الناس بخلاف ذلك قَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ ﷺ: ثَلَاثُ آيَاتٍ قَدْ جَحَدَهُنَّ النَّاسُ، الإِذْنُ كُلُّهُ، وَقَالَ اللَّهُ:{إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}.[2]

قَالَ وَيَقُولُونَ: إِنَّ أَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَعْظَمُهُمْ شَأْنًا، قَالَ وقوله:{وَإِذا حَضَرَ الْقِسْمَةَ}.[3]

السُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ من أخص صفات الكفار:

قال الله تعالى: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ}.[4]

وقال الله تعالى: {بل عَجِبْتَ وَيَسْخَرُون *وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ* وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ}.[5]

أي إذا رأوا حجة من الحجج أو برهان من البراهين التي تدل عليها الآيات القرآنية وفيها دليل وحدانية الله تعالى وتصديق رسل الله قابلوا ذلك بالسُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاء.

وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.[6]

وقال الله تعالى: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.[7]

---

١ – رواه ابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ فَضْلِ الْفُقَرَاءِ، حديث رقم : ٤١٢٠

٢ – سورة الحجرات: الآية/ ١٣

٣ – سورة النساء: الآية/ ٨

٤ – سورة هود: الآية/٣٨

٥ – سورة الصافات: الآية/ ١٢: ١٤

٦ – سورة الحجر: الآية/ ٩ ، ١٠

٧ – سورة يس: الآية /٣٠



.

السُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ من أظهر صفات المنافقين:

قال الله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}.[1]

وَقَالَ الله تَعَالَى: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.[2]

وَقَالَ الله تَعَالَى: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }.[3]

وَقَالَ الله تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.[4]

نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْكَافِرِينَ فِي مَقَالِهِمْ وَفِعَالِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا يُعَانُون مِنَ الْكَلَامِ مَا فِيهِ تَوْرِيَةٌ لِمَا يَقْصِدُونَهُ مِنَ التَّنْقِيصِ -عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللَّهِ-فَإِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا: اسْمَعْ لَنَا يَقُولُونَ: رَاعِنَا. يُورُونَ بِالرُّعُونَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا}.[5]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ قَوْمٌ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتِهْزَاءً، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَنْ أَبِي؟ وَيَقُولُ الرَّجُلُ تَضِلُّ نَاقَتُهُ: أَيْنَ نَاقَتِي؟ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ هَذِهِ الآيَةَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا ".[6]

وَقَالَ الله تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦) }.[7]

---

١ – سورة البقرة: الآية /١٤

٢ – سورة التوبة: الآية /٧٩

٣ – سورة التوبة الآية /٦١

٤ - سورة الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٤

٥ – سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٤٦ – تفسير ابن كثير – (١/ ٣٧٣)

٦ – رواه البخاري– كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}، حديث رقم: ٤٦٢٢– سورة المائدة: الآية/ ١٠١

٧ – سورة المطففين: الآيات/ ٢٩: ٣٦

.

قال الله تعالى: {وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ }.[1]

قال ابن عباس: {هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} طعان معياب. وقال الربيع بن أنس: الهُمَزة، يهمزه في وجه، واللمزة من خلفه. وقال قتادة: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعنُ عليهم.

وقال مجاهد: الهمزة: باليد والعين، واللمزةُ: باللسان. وهكذا قال ابن زيد. وقال مالك، عن زيد بن أسلم: هُمَزة لحوم الناس.

ثم قال بعضهم: المراد بذلك الأخنس بن شريق. وقيل غيره. وقال مجاهد: هي عامة.

عَنْ أَبِى بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ».[2]

السُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ سبب نسيان ذكر الله تعالى:

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادِي يَقُولُونَ رَبَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنا وَ ارْحَمْنا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ }.[3]

لقد انشغل الكفار بالسّخرية من أهل الإيمان بإشارات أو لمزٍ وغمزٍ أو اتهام بالرجعية أو الدروشة أو مثل ذلك من ألوان السّخرية، لدرجة أنهم نسوا مسألة الإيمان، فما الذي أنساهم ذكر الله؟ لقد أنساهم ذكر الله انشغالهم بالسّخرية من أهل الإيمان.[4]

السُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ قد تكون كفرا بالله تعالى:

قَالَ الله تَعَالَى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}.[5]

---

١ – سورة الهمزة الآية / ١

٢ – رواه أحمد– حديث: ١٩٣٥١، وأبو داود– كتاب الأدب، باب في الغيبة، حديث: ٤٢٥٧

٣ – سورة المؤمنون: الآية/ ١٠٩: ١١١

٤ – تفسير الشعراوي – ١ / ١٢٩٠

٥ – سورة التوبة: الآية/ ٦٥، ٦٦



.

قَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ: لَا يَخْلُو أَنْ يَكُونَ مَا قَالُوهُ مِنْ ذَلِكَ جِدًّا أَوْ هَزْلًا، وَهُوَ كَيْفَمَا كَانَ كُفْرٌ، فَإِنَّ الْهَزْلَ بِالْكُفْرِ كُفْرٌ لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْأُمَّةِ. فَإِنَّ التَّحْقِيقَ أَخُو الْعِلْمِ وَالْحَقِّ، وَالْهَزْلُ أَخُو الْبَاطِلِ وَالْجَهْلِ. قَالَ عُلَمَاؤُنَا: انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ:" أَتَتَّخِذُنا هُزُواً قالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ" [البقرة: ٦٧].[١]

جَزَاءُ الِاسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَةِ:

لقد أخبرنا الله عز وجل أن الِاسْتِهْزَاءَ وَالسُّخْرِيَةَ عقاب المعاندين المكذبين المستهزئين بالرسل والمؤمنين في الدنيا جزاء وفاقا ولا يظلم ربك أحدا ، فالجزاء من جنس العمل.

قال الله تعالى: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}.[٢]

ومعنى قول الله تعالى: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ} أن الله تعالى يجازيهم على استهزائهم وسخريتهم بالعقاب والعذاب، وقيل أن الله تعالى يأخذهم من حيث لا يعلمون كما قال تعالى:{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمونَ}، وقيل أن الله تعالى يظهر لهم من أحكامه في الدنيا خلاف ما لهم في الآخرة كما أظهروا للمسلمين خلاف ما أسروا به في الدنيا.

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى:{اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}أي ينتقم منهم ويعاقبهم ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم فسمى العقوبة باسم الذنب هذا قول الجمهور من العلماء والعرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

أَلَّا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا ***** فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

وقال قوم: الخداع من الله والاستهزاء هو استدارجهم بدرور النعم الدنيوية عليهم فالله سبحانه وتعالى يظهر لهم من الإحسان في الدنيا خلاف ما يغيب عنهم ويستر عنهم من عذاب الآخرة فيظنون أنه راض عنهم وهو تعالى قد حتم عذابهم فهذا على تأمل البشر كأنه استهزاء ومكر وخداع ودل على هذا التأويل قوله ﷺ:«إِذَا رَأَيْتم اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ».[٣]

---

١ – تفسير القرطبي– (٨/ ١٩٧)

٢ – سورة البقرة: الآية/ ١٤ ، ١٥

٣ – تفسير القرطبي– ١ / ٢٥٣ بتصرف



.

وقال تعالى: {وَيَصْنَعُ الفلك وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}.[1]

وقال تعالى: {فاليوم الذين آمَنُواْ مِنَ الكفار يَضْحَكُونَ * عَلَى الأرآئك يَنظُرُونَ}.[2]

١ – سورة هود: الآية/ ٣٨، ٣٩

٢ – سورة المطففين : الآية/ ٣٤ ، ٣٥



مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(المَنُّ بالعَطِيَةِ)

تعريف المَنِّ: ذكر العطية أو الفعل على صورة يتأذى بها الآخذ والاعتداد بها.

قال ابن منظور: المَنُّ أن تَمُنَّ بما أعطيت وتعتدّ به.[1]

ثَوَابُ الصَدَقَةِ:

قبل أن نتكلم عن حكم المن بالعطية وخطر هذه الصفة القبيحة على صاحبها، نذكر شيئا من فصل الصدقة ومن عظيم مترلتها إذا خلت من المن والأذى.

المتصدق في ظِلِّ الله تعالى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».[2]

إذا تصدق العبد وعلم الله منه أنه لا يريد بصدقته إلا وجه الله تعالى لا يريد رياء ولا سمعة و لم يعقب صدقته منا ولا أذى كان يوم القيامة في ظِلِّ الله تعالى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ ومن أمارات الإخلاص المبالغة في إخفاء الصدقة.

الصَدَقَةُ فِكَاكٌ لِرَقَبةِ العَبْدِ مِنْ النَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي أَضْحًى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ : «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».[3]

فهذا أمر من النبيﷺ للنساء بالصدقة، حتى تكون صدقاتهن كفارات لما يبدر منهن من معاص توجب لهن النار.

---

١ – لسان العرب – ١٣ / ٤١٥

٢ – رواه البخاري– كتاب الرقاق، باب البكاء من خشية الله، حديث: ٦١٢٤، ومسلم– كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة،حديث: ١٧٧٤

٣ – رواه البخاري– كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، حديث: ٣٠٠، ومسلم– كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، حديث: ١٣٩

.

الصدقة من أسباب النجاة من عذاب القبر:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ:«إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَلَى أَهْلِهَا حَرَّ الْقُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ».[1]

الْمُؤْمِنُ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :«كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ قَالَ حَتَّى يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ».[2]

وقَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ :«وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ».[3]

الصدقة يتضاعف أجرها لصاحبها:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مَنْ كَسْبِ طَيِّبٍ وَلاَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلاَّ الطَّيِّبُ فَإِنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّى أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ».[4]

حكم المَنِّ بالعَطِيَةِ:

المن بالعطية محرم، بل هو كبيرة من الكبائر، يُبطل الشكر، ويمحُ الأجر، ودليل على الدناءة، وسوء الخلق.

قال الله تعالى: {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}.[5]

قال الزين بن المنير: وجه الاستدلال من الآية أن الله تعالى شبه مقارنة المن والأذى للصدقة أو إتباعها بذلك بإنفاق الكافر المرائي الذي لا يجد بين يديه شيئًا منه، ومقارنة الرياء من المسلم لصدقته أقبح من مقارنة الإيـــذاء وأولى أن يشبه بإنفاق الكافر المرائي في إبطال إنفاقه.

---

١ – رواه الطبراني في الكبير – حديث:١٤٦٢٢ ،والبيهقي في الشعب– التحريض على صدقة التطوع، حديث: ٣١٩٢ بسند حسن

٢ – رواه أحمد– حديث: ١٧٠٢١، وابن خزيمة– كتاب الزكاة، جماع أبواب صدقة التطوع – باب إظلال الصدقة صاحبها يوم القيامة إلى الفراغ من الحكم بين الناس، حديث: ٢٢٦١، وابن حبان– كتاب الزكاة ، باب صدقة التطوع – ذكر البيان بأن ظل كل امرئ في القيامة يكون صدقته، حديث: ٣٣٦٩ والحاكم في المستدرك– كتاب الزكاة ، حديث: ١٤٥٠، والبيهقي في السنن– كتاب الجنائز جماع أبواب صدقة التطوع ، باب التحريض على الصدقة وإن قلت ، حديث: ٧٢٩٦ والطبراني في الكبير – حديث: ١٤٦٠٥ بسند صحيح

٣ – تقدم تخريجه قريباً.

٤ – رواه الْبُخَارِىُّ– كتاب الزكاة، باب الصدقة من كسب طيب، حديث: ١٣٥٥

٥ – سورة البقرة : الآية/ ٢٦٢: ٢٦٤



وقال القرطبي: قال جمهور العلماء في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله من صاحبها أنه يمن أو يؤذي بها فإنها لا تقبل، وقيل: بل قد جعل الله للملك عليها أمارة فهو لا يكتبها، وهذا حسن. والعرب تقول لما يمن به: يد سوداء، ولما يعطى عن غير مسألة: يد بيضاء. ولما يعطى عن مسألة: يد خضراء.

وقال بعض البلغاء: من مَنَّ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.

وقال بعض الشعراء :

وصاحب سلفت منه إلي يد ***** أبطا عليه مكافاتي فعاداني

لما تيقن أن الدهر حاربني ***** أبدى الندامة فيما كان أولاني

وقال أبو بكر الوراق فأحسن :

أحسن من كل حسن ***** في كل وقت وزمن

صنيعة مربوبة ***** خالية من المنن

وسمع ابن سيرين رجلا يقول لرجل: وفعلت إِلَيْكَ وَفَعَلْتُ! فَقَالَ لَهُ: اسْكُتْ فَلَا خَيْرَ فِي الْمَعْرُوفِ، إِذَا أُحْصِيَ.[1]

وقال سفيان والمفضّل في قوله: {منّاً ولا أذىً} هو أن يقول أعطيتك فما شكرت.

وقال الضحاك: أن لا ينفق الرجل ماله خير من أن ينفقه ثم يتّبعه منًا وأذىً.

وقال القرطبي: مَثَّلَ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي يَمُنُّ وَيُؤْذِي بصدَقَتِهِ بِالَّذِي يُنْفِقُ مالَهُ رئاءَ النَّاسِ لَا لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبِالْكَافِرِ الَّذِي يُنْفِقُ لِيُقَالَ جَوَّادٌ وَلِيُثْنَى عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الثَّنَاءِ. ثُمَّ مَثَّلَ هَذَا الْمُنْفِقَ أَيْضًا بِصَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَيَظُنُّهُ الظَّانُّ أَرْضًا مُنْبِتَةً طَيِّبَةً، فَإِذَا أَصَابَهُ وَابِلٌ مِنَ الْمَطَرِ أَذْهَبَ عَنْهُ التُّرَابَ وَبَقِيَ صَلْدًا، فَكَذَلِكَ هَذَا الْمُرَائِي. فَالْمَنُّ وَالْأَذَى وَالرِّيَاءُ تَكْشِفُ عَنِ النِّيَّةِ فِي الْآخِرَةِ فَتَبْطُلُ الصَّدَقَةُ كَمَا يَكْشِفُ الْوَابِلُ عَنِ الصَّفْوَانِ، وَهُوَ الْحَجَرُ الْكَبِيرُ الْأَمْلَسُ.[2]

قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: وَكَانَ أَبِي يَقُولُ: «إِنْ أُذِنَ لَكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ هَذَا شَيْئًا، أَوْ تَقْوَى فَقَوَّيْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَظَنَنْتَ أَنَّهُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ سَلَامُكَ فَكُفَّ سَلَامَكَ عَنْهُ» قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: «فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ السَّلَامِ».

وقالت امرأةٌ لزيد بن أسلم: يَا أَبَا أُسَامَةَ، تَدُلُّنِي عَلَى رَجُلٍ يَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقًّا، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا لِيَأْكُلُوا الْفَوَاكِهَ، عِنْدِي جَعْبَةٌ وَأَسْهُمٌ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا: لَا بَارَكَ اللَّهُ لَكِ فِي جَعْبَتِكِ، وَلَا فِي أَسْهُمِكِ، فَقَدْ آذَيْتِيهِمْ قَبْلَ أَنْ تُعْطِيهِمْ.[3]

---

١ - تفسير القرطبي - (٣/ ٣١٢)

٢ - تفسير القرطبي - (٣/ ٣١٢)

٣ - تفسير الطبري - (٥ / ٥١٩) ، الكشف والبيان [تفسير الثعلبي] - ٢ / ٢٥٩



.

المَنَّانُ لاَ يُكَلِّمُهُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ:

عَنْ أَبِى ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا أَعَادَهَا ثَلاَثًا. قُلْتُ مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَابُوا وَخَسِرُوا فَقَالَ «الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ».[1]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ، وَمُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى».[2]

لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ خَمْسٍ مُدْمِنُ خَمْرٍ وَلَا مُؤْمِنٌ بِسِحْرٍ وَلَا قَاطِعُ رَحِمٍ وَلَا كَاهِنٌ وَلَا مَنَّانٌ».[3]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُدْمِنُ خَمْرٍ، وَلا عَاقٌّ، وَلا مَنَّانٌ».[4]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَاقٌّ، وَلا مَنَّانٌ، وَلا مُكَذِّبٌ بِالقَدَرِ».[5]

المَنُّ بالعَطِيَةِ يبطل ثوابها:

قال الله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}.[6]

المن بالعطية من مساوئ الأخلاق:

قال القرطبي: المن يقع غالباً من البخيل والمعجب، فالبخيل تعظم في نفسه العطية، وإن كانت حقيرة في نفسها، والمُعجب يحمله العُجب على النظر لنفسه بعين العظمة، وأنه مُنعِم بماله على المُعْطَى، وموجب ذلك كله الجهل، ونسيان نعمة الله فيما أنعم به عليه.

وقال بعض السلف: من منّ بمعروفه سقط شكره، ومن أعجب بعمله حبط أجره.

---

١ – رواه مسلم – كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار – حديث: ١٧٩

٢ – رواه أحمد – حديث : ٦١٨٠، والنسائي– كتاب الزكاة، المنان بما أعطى – حديث: ٢٥٢٨، وابن حبان– كِتَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ ، ذِكْرُ نَفْيِ نَظَرِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي الْقِيَامَةِ إِلَى أَقْوَامٍ مِنْ أَجْلِ أَفْعَالٍ ارْتَكَبُوهَا – حديث: ٧٤٤٨ بسند صحيح

٣ – رواه أحمد– حديث: ١٠٨٩٥ بسند صحيح

٤ – رواه الطبراني في الكبير حديث: ١٠٩٦٣، والخرائطي في مساوئ الأخلاق– باب ما جاء فيمن يعطي العطية ويمن بها من الكراهة، حديث:٦٧١ بسند حسن

٥ – رواه الطيالسي– حديث: ١٢١٢ بسند حسن

٦ – سورة البقرة : الآية/٢٦٤



.

و صدق القائل :

أفسدت بالمنِّ ما قــدمت مــن حســن	*****	لــيس الكــريمُ إذا أعطــى بمنــانِ

المن بالعطية من أسباب الضغينة:

و أنشد الشافعي :

لا تحملــــنَّ مـــن الآنــــام	*****	بــأن يمنــوا عليــك منــة
و اختـــر لنفســـك حظَهـــا	*****	و اصـــبر فـــإن الصـــبرَ جُنـــة
مــنُ الرجـــالِ علـــى القلـــوب	*****	أشـــدُ مـــن وقـــعِ الأســـنة

المن يكون بالعطية وبغيرها:

وكما يكون المن بالعطية يكون بغيرها كذلك، قال الله تعالى:{يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ }.[١]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: اجْتَمَعَ أُنَاسٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا آثَرَ عَلَيْنَا غَيْرَنَا فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَجَمَعَهُمْ ثُمَّ خَطَبَهُمْ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ تَكُونُوا أَذِلَّةً فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ أَلَمْ تَكُونُوا ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَالَ أَلَمْ تَكُونُوا فُقَرَاءَ فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ قَالُوا صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ قَالَ أَلَا تُجِيبُونَنِي أَلَا تَقُولُونَ أَتَيْتَنَا طَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ وَأَتَيْتَنَا خَائِفًا فَآمَنَّاكَ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبُقْرَانِ يَعْنِي الْبَقَرَ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتُدْخِلُونَهُ بُيُوتَكُمْ لَوْ أَنَّ النَّاسَ سَلَكُوا وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً وَسَلَكْتُمْ وَادِيًا أَوْ شُعْبَةً سَلَكْتُ وَادِيَكُمْ أَوْ شُعْبَتَكُمْ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ".[٢]

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ:

لَــا تَــدْخُلَنَّكَ ضَــجْرَةٌ مِــنْ سَــائِلٍ	*****	فَلَخَيْــرُ دَهْــرِكَ أن تــرى مســؤولا
لَــا تَجْــبَهَنْ بِــالرَّدِ وَجْــهَ مُؤَمِّــلٍ	*****	فَبَقَــاءُ عِــزِّكَ أَنْ تُــرَى مَأْمُولَــا

---

١ – سورة الحجرات: الآية/ ١٧

٢ – رواه أحمد حديث رقم :١١٣٣٧



.

مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ

(الْحَلِفُ بغَيرِ اللهِ تَعَالى)

تعريف الحَلِف:الحَلِفُ لغةً: هو القسم

قال الخليل :الحَلْفُ والحَلِفُ لغتان في القَسم.[1]

وَيطلق الْحَلِفُ على الْيَمِينِ وَالْإِيلَاءِ وَالْقَسَمِ وهي أَلْفَاظٌ مُتَقَارِبَةٌ.

والفَرْقُ بَينَ الْقَسَمِ وَالْحلِفِ: أن القسم أبلغ من الحلف لان معنى قولنا أقسم بالله أنه صار ذا قسم بالله، والقسم النصيب والمراد أن الذي أقسم عليه من المال وغيره قد أحرزه ودفع عنه الخصم بالله، والحلف من قولك سيف حليف أي قاطع ماض فإذا قلت حلف بالله فكأنك قلت قطع المخاصمة بالله فالأول أبلغ لأنه يتضمن معنى الآخر مع دفع الخصم ففيه معنيان وقولنا حلف يفيد معنى واحدا وهو قطع المخاصمة فقط وذلك أن من أحرز الشئ باستحقاق في الظاهر فلا خصومة بينه وبين أحد فيه وليس كل من دفع الخصومة في الشئ فقد أحرزه، واليمين اسم للقسم مستعار وذلك أنهم كانوا إذا تقاسموا على شئ تصافقوا بأيمانهم ثم كثر ذلك حتى سمي القسم يمينا.[2]

والْأَيْمَانِ جَمْعُ يَمِينٍ وَهِيَ لُغَةً الْيَدُ الْيُمْنَى وَأُطْلِقَتْ على الْحَلِفِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إذَا تَحَالَفُوا أَخَذَ كُلٌّ بِيَمِينِ صَاحِبِهِ وَقِيلَ لِأَنَّهَا تَحْفَظُ الشَّيْءَ على الْحَالِفِ كما تَحْفَظُهُ الْيَدُ.

وَ الحَلِفُ اصْطِلَاحًا هو تَحْقِيقُ أَمْرٍ غَيْرِ ثَابِتٍ مَاضِيًا كان أو مُسْتَقْبَلًا نَفْيًا أو إثْبَاتًا مُمْكِنًا أو مُمْتَنِعًا مع الْعِلْمِ بِالْحَالِ أو مع الْجَهْلِ بِهِ.

وَالْيَمِينُ ثَلَاثَةُ أقسام:

الأول الْيَمِينُ الْغَمُوسُ: وهي أن يحلف على أمر ماض كاذباً عالماً.

وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَغْمِسُ صَاحِبَهَا في الْإِثْمِ أو في النَّارِ وَهِيَ من الْكَبَائِرِ.

قال الله تعالى: {وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.[3]

ومعنى دَخَلًا أي مَكْرًا وَخِيَانَةً.

---

١ – كتاب العين – ٣ / ٢٣١

٢ – الفروق اللغوية – ١ / ٤٢٩

٣ – سورة النحل : الآية /٩٢



عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَبَائِرُ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَقَتْلُ النَّفْسِ وَالْيَمِينُ الْغَمُوسُ».[1]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْكَبَائِرُ قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ ثُمَّ عُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ قَالَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قُلْتُ وَمَا الْيَمِينُ الْغَمُوسُ قَالَ الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ».[2]

وَاختلف العلماء هل فِيهَا كَفَّارَةُ أم لا على قولين الأول فِيهَا كَفَّارَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ الْأَيْمَانَ}الْآيَةَ وَلِأَنَّهُ حَلَفَ بِاللَّهِ وهو مُخْتَارٌ كَاذِبٌ فَصَارَ كما لو حَلَفَ على مُسْتَقْبَلٍ وَالْإِثْمُ لَا يَمْنَعُ وُجُوبَهَا كما في الظِّهَارِ وهو مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَالْأَوْزَاعِيِّ .

وَالثاني ليس فِيهَا كَفَّارَةُ وَقَالَ به أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ، واسْتِدْلَوا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ}.[3]

وَعَقْدُ الْيَمِينِ مَا الْتَزَمَ فِعْلًا مُسْتَقْبَلًا يَتَرَدَّدُ بَيْنَ حِنْثٍ وَبِرٍّ ، فَخَرَجَتِ الْيَمِينُ الْغَمُوسُ مِنَ الْأَيْمَانِ الْمَعْقُودَةِ، فَلَمْ يَلْزَمْ بِهَا كَفَّارَةٌ.

وَالثاني الْيَمِينُ الْمُنْعَقِدَةُ: وهي اليمين التي قصد عقدها على أمر مستقبل ممكن.

وَالثالث الْيَمِينُ اللَّغْوِ: وهي اليمين التي تجري على لسان الحالف بغير قصد الحلف كقوله في أثناء كلامه: (لا والله، وبلى والله).

قال الله تعالى:{لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}.[4]

وقال تعالى: {وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَهِينٍ}.[5]

قال ابن كثير رحمه الله:وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله تعالى، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.[6]

---

١ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين الغموس، حديث رقم: ٦٣٠٩

٢ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله – حديث رقم: ٦٥٣٨

٣ – سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ٨٩

٤ – سورة البقرة: الآية/٢٢٥

٥ – سورة القلم: الآية /١٠

٦ – تفسير ابن كثير – ٨ / ١٩٠



وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ عُمَرَ رضي الله عنه وَهُوَ يَقُولُ وَأَبِي وَأَبِي فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ » قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا حَلَفْتُ بِهِ ذَاكِرًا وَلاَ آثِرًا.[١]

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَلاَ بِأُمَّهَاتِكُمْ وَلاَ بِالأَنْدَادِ وَلاَ تَحْلِفُوا إِلاَّ بِاللَّهِ وَلاَ تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلاَّ وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ».[٢]

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ فَلَيْسَ مِنْ اللهِ».[٣]

كراهية كثرة الحلف:

قال الله تعالى:{وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ}.[٤]

وهذه الآية الكريمة فيها ذم لكثرة الحلف، لأنها تشعر بأن العبد إذا كان كثير الحلف فليس لله تعالى في قلبه من الوقار ما يمنعه عن الاجتراء على القسم بالله تعالى على الكبير والصغير والعظيم والحقير.

قال أبو حيان: لأن الحلاف مجترئ على الله، غير معظم له، فلا يكون براً متقياً، ولا يثق به الناس، فلا يدخلونه في وساطتهم وإصلاح بذات بينهم.[٥]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ».[٦]

قال البيهقي: ويحتمل أن يكون المراد به في حديث ابن مسعود وعمران الرجل يشهد بما لا يعلم يكون شاهد زور، وقد قيل: المراد به كراهية الحلف في الشهادة والإكثار منه.

قال ابن حجر:قَالَ اِبْن اَلْجَوْزِيّ : اَلْمُرَادُ أَنَّهُمْ لَا يَتَوَرَّعُونَ وَيَسْتَهِينُونَ بِأَمْرِ اَلشَّهَادَة وَالْيَمِين.[٧]

---

١ – رواه البيهقي في السنن- كتاب الأيمان، باب كراهية الحلف بغير الله عز وجل – حديث رقم: ١٨٤٥٠

٢ – رواه أبو داود- ٣ / ٢١٧

٣ – رَوَاهُ ابْنُ مَاجَة- كتاب الكفارات، باب من حلف له بالله فليرض، حديث: ٢٠٩٨ بسند صحيح

٤ – سورة القلم: الآية/١٠

٥ – تفسير البحر المحيط- ٢ / ١٨٩

٦ – رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد- حديث: ٢٥٣٠، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث: ٤٧٠٤

٧ – فتح الباري لابن حجر – ٨ / ١٦١



قال القاضي عياض:وقيل معناه هنا يحلفون كذبا ولا يستحلفون.[1]

الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلرِّبْحِ».[2]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً وَهُوَ فِي السُّوقِ فَحَلَفَ بِاللهِ لَقَدْ أُعْطِيَ بِهَا مَا لَمْ يُعْطَ لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَنَزَلَتْ: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا}الْآيَةَ.[3]

وعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قالت: "أَيْمَانُ اللَّغْوِ مَا كَانَ فِي الْمِرَاءِ وَالْهَزْلِ وَمُزَاحَةِ الْحَدِيثِ الَّذِي لَا يَعْقِدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ، وَإِنَّمَا الْكَفَّارَةُ فِي كُلِّ يَمِينٍ حَلَفْتَهَا عَلَى جِدٍّ مِنَ الْأَمْرِ فِي غَضَبٍ، أَوْ غَيْرِهِ: لَتَفْعَلَنَّ، أَوْ لَتَتْرُكَنَّ، فَذَلِكَ عَقْدُ الْأَيْمَانِ الَّتِي فَرَضَ اللهُ فِيهَا الْكَفَّارَةَ ".[4]

قال البخاري ﷺ:بَابُ: {لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ}. ثم روى بسنده عَنْ عَائِشَةَ ﷺ في قوله تعالى:{لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ}قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي قَوْلِهِ لَا وَاللَّهِ، بَلَى وَاللَّهِ.[5]

خطر الحلف بغير الله تعالى:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا.[6]

الحلف بغير الله تعالى شرك:

عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ رَجُلاً يَحْلِفُ لاَ وَالْكَعْبَةِ فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ ﷺ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :«مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ».[7]

---

١ - مشارق الأنوار على صحاح الآثار - ٢ / ٢٥٩

٢ - رواه البخاري- كتاب البيوع، باب يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل- حديث:١٩٩٧، ومسلم- كتاب المساقاة، باب النهي عن الحلف في البيع حديث: ٣٠٩٩

٣ - رواه البخاري- كتاب البيوع، باب ما يكره من الحلف في البيع - حديث: ١٩٩٨

٤ - رواه البيهقي في السنن الكبرى- حديث رقم: ١٩٩٣٥

٥ - رواه البخاري- كتاب الأيمان والنذور، باب لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم - حديث: ٦٢٩٧

٦ - رواه الطبراني في الكبير- حديث: ٨٧٦٨، وعبد الرزاق في مصنفه- كتاب الأيمان والنذور، باب الأيمان- حديث: ١٥٤٠٢، وابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الأيمان والنذور والكفارات، الرجل يحلف بغير الله أو بأبيه- حديث: ١٣٨٤١، بسند صحيح

٧ - رواه أحمد- حديث:٥٩٠٥، وأبو داود-كتاب الأيمان والنذور، باب في كراهية الحلف بالآباء- حديث: ٢٨٤٥ والترمذي- كتاب النذور والأيمان - باب ما جاء أن من حلف بغير الله فقد أشرك، حديث:١٤٩٦- بسند صحيح

.

مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ:

عَنْ ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى مِلَّةٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَمَا قَالَ وَلَيْسَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُ وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ فِي الدُّنْيَا عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ لَعَنَ مُؤْمِنًا فَهُوَ كَقَتْلِهِ وَمَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ».[1]

الحلف بغير الله تعالى منهي عنه:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ فَقَالَ:«أَلَا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ» قَالَ عُمَرُ فَوَ اللهِ مَا حَلَفْتُ بِهَا مُنْذُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاكِرًا وَلَا آثِرًا.[2]

حكم الحلف بالأمانة:

الحلف بالأمانة ليس من دين الله تعالى، بل هو منهي عنه، وذلك لأن الحلف يجوز أن يكون بغير الله تعالى.

فعَنِ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا».[3]

مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا:

الواجب على مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، أن يكفر عن يمينه ويأتي الذي هو خير، بعض الناس قد يحلف لا يكلم أخاً، أو لا يدخل له بيتاً، فليس من البر اللجاجة في الخصام، ولا قطيعة الأرحام.

قال الله تعالى: {وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ}.[4]

قال العلامة الشنقيطي ﷺ: (أي لا تحلفوا بالله عن فعل الخير، فإذا قيل لكم: اتقوا وبروا، وأصلحوا بين النـــاس قلتم: حلفنا بالله لا نفعل ذلك، فتجعلوا الحلف بالله سببًا للامتناع من فعل الخير). انتهى[5]

---

١ – رواه البخاري– كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن – حديث: ٥٧٠٧

٢ – رواه البخاري– كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بآبائكم — حديث رقم: ٦٢٨٢، ورواه مسلم، كتاب الأيمان باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى — حديث رقم: ٣١٨٩

٣ – رواه أبو داود– كتاب الأيمان والنذور، في باب كراهية الحلف بالأمانة — حديث رقم: ٢٨٤٧

٤ – سورة البقرة: الآية/ ٢٢٤

٥ – أضواء البيان – (٥ / ٤٨٧)



.

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِى هُوَ خَيْرٌ وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ».[1]

وعَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلاَّ أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَتَحَلَّلْتُهَا».[2]

---

١ – رواه مسلم– كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها – حديث رقم: ٣١٩٨

٢ – رواه البخاري– كتاب فرض الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين – حديث: ٢٩٨١، ومسلم –كتاب الأيمان، باب ندب من حلف يمينا فرأى غيرها خيرا منها – حديث: ٣١٩٦

.

مِنْ أسبَابِ النجَاةِ
(لزومُ العَبْدِ بَيتَهُ)

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ:« أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ ».[1]

فائدةُ لزومِ العبد بيتَه:

لزوم البيت أمان من الْفِتَنِ:

والفتن نوعان الذنوب والمعاصي، والفتن التي تموج موج البحر.

ومن الفتن الذنوب والمعاصي وقد دل على ذلك ما رواه حُذَيْفَةُ ﷺ قَالَ سَمِعَتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرْضَ الْحَصِيرِ فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَبْشَرَ بهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ أَبْيَضُ مِثْلُ الصَّفَا لَا يَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخرُ أَسْوَدُ مُرْبَدٌّ كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا وَأَمَالَ كَفَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».[2]

فالفتن نوعان الذنوب والمعاصي، والفتن التي تموج موج البحر فعَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الفِتْنَةِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ، قَالَ: هَاتِ، إِنَّكَ لَجَرِيءٌ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ، تُكَفِّرُهَا الصَّلاَةُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ»، قَالَ: لَيْسَتْ هَذِهِ، وَلَكِنِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا، إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا، قَالَ: يُفْتَحُ البَابُ أَوْ يُكْسَرُ؟ قَالَ: لاَ، بَلْ يُكْسَرُ، قَالَ: ذَاكَ أَحْرَى أَنْ لاَ يُغْلَقَ، قُلْنَا: عَلِمَ عُمَرُ البَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا أَنَّ دُونَ غَدٍ اللَّيْلَةَ، إِنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالأَغَالِيطِ، فَهِبْنَا أَنْ نَسْأَلَهُ، وَأَمَرْنَا مَسْرُوقًا فَسَأَلَهُ فَقَالَ: مَنِ البَابُ؟، قَالَ: عُمَرُ.[3]

---

١ - رواه أحمد، والترمذي بسند صحيح وقد تقدم

٢ - رواه مسلم- كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا - حديث: ٢٣٣

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ- كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر - حديث: ٦٧٠١، وَمُسْلِمٌ- كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ الفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، حديث: ٧٠٩٦

.

لزوم البيت أمان من كثير من الذنوب والمعاصي:

من فوائد لزوم المسلم بيته أن في لزوم البيت أمان من كثير من الذنوب والمعاصي، فمن ذلك النظر إلى الحرام، لاسيما في كثير من المجمعات التي يكثر فيها الاختلاط، وإلف المعاصي، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك الوقوع في الغيبة والنميمة والبهتان لاسيما في كثير من المجالس التي تخلوا من ذكر الله تعالى.

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِي ﷺعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ» قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ قَالَ «غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الأَذَى وَرَدُّ السَّلاَمِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْىُ عَنِ الْمُنْكَرِ».[1]

لزوم البيت أمان من الفتن الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ:

ومن فوائد لزوم المسلم بيته أن في لزوم البيت أمان من الفتن الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ البَحْرِ، التي يصبح فيها العبد مؤمنًا ويمسي كافرًا عياذًا بالله أو يمسي مؤمناً ويصبح كافرًا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا».[2]

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ أَنْتَ يَا أَبَا ذَرٍّ وَمَوْتًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى يُقَوَّمَ الْبَيْتُ بِالْوَصِيفِ؟»- يَعْنِي الْقَبْرَ- قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ – أَوْ قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ-قَالَ: «تَصَبَّرْ» قَالَ:«كَيْفَ أَنْتَ، وَجُوعًا يُصِيبُ النَّاسَ، حَتَّى تَأْتِيَ مَسْجِدَكَ فَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى فِرَاشِكَ، وَلَا تَسْتَطِيعَ أَنْ تَقُومَ مِنْ فِرَاشِكَ إِلَى مَسْجِدِكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ- أَوْ مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ- قَالَ: «عَلَيْكَ بِالْعِفَّةِ» ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتَ، وَقَتْلًا يُصِيبُ النَّاسَ حَتَّى تُغْرَقَ حِجَارَةُ الزَّيْتِ بِالدَّمِ؟» قُلْتُ: مَا خَارَ اللَّهُ لِي وَرَسُولُهُ، قَالَ: «الْحَقْ بِمَنْ أَنْتَ مِنْهُ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا آخُذُ بِسَيْفِي، فَأَضْرِبَ بِهِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، قَالَ: «شَارَكْتَ الْقَوْمَ إِذًا، وَلَكِنِ ادْخُلْ بَيْتَكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ دُخِلَ بَيْتِي؟ قَالَ: «إِنْ خَشِيتَ أَنْ يَبْهَرَكَ شُعَاعُ السَّيْفِ، فَأَلْقِ طَرَفَ رِدَائِكَ عَلَى وَجْهِكَ، فَيَبُوءَ بِإِثْمِهِ وَإِثْمِكَ، فَيَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».[3]

---

١ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ- كتاب الاستئذان، باب قول الله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا}- حديث: ٥٨٨٤، وَمُسْلِمٌ-كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه – حديث: ٤٠٥٤

٢ – رَوَاهُ مُسْلِمٌ – كِتَابُ الْأَيْمَانِ، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ، حديث: ١٨٦

٣ – رواه أحمد- حديث: ٢٠٩١٩، وأبو داود- كتاب الفتن والملاحم، باب في النهي عن السعي في الفتنة، حديث: ٣٧٣٥، وابن ماجه- كتاب الفتن، باب التثبت في الفتنة- حديث: ٣٩٥٦ وابن حبان- ذكر البيان بأن على المرء عند وقوع الفتن العزلة والسكون، حديث: ٦٠٤٥ بسند صحيح



وعن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ فَقَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ فَقُمْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: «الْزَمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ».[1]

استحباب صلاة النوافل في البيوت:

من فوائد لزوم المسلم بيته ما يحصل في البيت من البركة والخير بسبب الصلاة، وتلاوة القرآن، وتقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد الأسرة.

عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْعَلُوا فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ صَلاَتِكُمْ وَلاَ تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا».[2]

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ حُجْرَةً فِي الْمَسْجِدِ مِنْ حَصِيرٍ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا لَيَالِيَ، حَتَّى اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ، ثُمَّ فَقَدُوا صَوْتَهُ لَيْلَةً فَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ نَامَ، فَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَتَنَحْنَحُ لِيَخْرُجَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «مَا زَالَ بِكُمُ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ صَنِيعِكُمْ، حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيْكُمْ، وَلَوْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ مَا قُمْتُمْ بِهِ فَصَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ صَلاَةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ، إِلاَّ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ».[3]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَدْخُلُ بَيْتًا يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ».[4]

وَعَنْ عَاصِمِ بْنَ عَمْرٍو الْبَجَلِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَأَلُوا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالُوا لَهُ: إِنَّمَا أَتَيْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ عَنْ صَلاَةِ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَطَوُّعاً وَعَنِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَعَنِ الرَّجُلِ مَا يَصْلُحُ لَهُ مِنِ امْرَأَتِهِ إِذَا كَانَتْ حَائِضاً فَقَالَ أَسُحَّارٌ أَنْتُمْ لَقَدْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مُنْذُ سَأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «صَلاَةُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ تَطَوُّعاً نُورٌ فَمَنْ شَاءَ نَوَّرَ بَيْتَهُ» وَقَالَ فِي الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ: «يَغْسِلُ فَرْجَهُ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ ثُمَّ يُفِيضُ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثاً». وَقَالَ فِي الْحَائِضِ «لَهُ مَا فَوْقَ الإِزَارِ».[5]

---

١ – رواه أحمد– حديث: ٦٨٢٧ ، ورواه أبو داود– كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي– حديث: ٣٨٠١ بسند صحيح

٢ – رواه البخاري– كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة – باب كراهية الصلاة في المقابر، حديث: ٤٢٤، ومسلم– كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته – حديث: ١٣٣٦

٣ – رواه البخاري– كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه، حديث: ٦٨٨١ ، ومسلم– كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته، حديث: ١٣٤١

٤ – رواه الحاكم– كتاب فضائل القرآن، أخبار في فضل سورة البقرة – حديث: ٢٠٠٥ ، والطبراني في الكبير– حديث: ٨٥٢٢

٥ – رواه أحمد– حديث: ٨٧



.

حسن تربية الأولاد:

من فوائد ملازمة البيت إلا لما لابد منه كالصلاة المفروضة، وكسب المعاش، وحضور الجمع والجماعات والعيدين، وعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وصلة الأرحام، وحضور مجالس العلم، وغيرها مما يحتاجه العبد في حياته، ومنها تعاهد الأهل والأولاد بالتربية، ومما يؤسف له أن كثيرًا من الناس يتركون أولادهم بلا تربية ولا تأديب، ومنهم من يسلم أولاده إلى الخدم ليتولوا تربيتهم، ومنهم من يسلمهم لوسائل الإعلام، يأخذون منها دينهم ويستقون منها عقيدتهم ، ومنهم من يسلم أولادهم لقرنائهم يتعلمون منهم ويتخلقون بأخلاقهم ، فإذا ما وجد انحرافا في سلوك أولاده ، واعوجاجا في أخلاقهم ، تملكه العجب، و لم يعلم أنه إنما أتي من قبيل فعله السيئ وعمله القبيح، لأنه من أحلاس المقاهي مثلا، أو لأنه لا يرى أولاده إلا نادرًا، ولا يعرف عنهم أكثر مما يعرفه الغريب، وأنا أذكر هنا نقاط تعين في تربية الأولاد هي عبارة عن منهج الإسلام في تربية الأولاد، ومع ذلك فهي لا تضمن هدايتهم وصلاحهم وإنما هدايتهم وصلاحهم من الله تعالى.

لذلك قيل:

ليس اليتيمُ من انتهى أبواه ***** من هم الحياة وخلفاه ذليلًا

إن اليتيمَ هو الذي تلقى له ***** أمًا تخلت أو أبًا مشغولًا

.

مسئولية الآباء نحو أبنائهم:

الأبناء أمانة استودعها الله تعالى الآباء والأمهات، يجب عليهم حفظها من أسباب التلف، وسبل الهلاك، ويجب عليهم تعهدها بالرعاية، كما يتعهد النبات ويحفظ من سائر الآفات.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.[١]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،فَالإِمَامُ رَاعٍ،وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهْيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهْوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ».[٢]

ومما يؤسف له أن كثيرًا من الناس لا يعرف قدر هذه المسؤلية، ولا عظم هذه الأمانة، فيفرط فيها أيما تفريط، ويضيعها من حيث يحسب أنه يحفظها.

ولا شك أن للتفريط في تربية الأولاد عاقبة وخيمة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا العقوق أثر من آثار هذا التفريط، وفي الآخرة حرمان الجنة أثر التفريط في تربيتهم؛ لأنهم أمانة في أعناق الأبوين.

فَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ عَادَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقَالَ مَعْقِلٌ إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ لِي حَيَاةً مَا حَدَّثْتُكَ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».[٣]

---

١ – سورة التحريم: الآية /٦

٢ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، حديث: ٨٦٧، وَمُسْلِمٌ– كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، حديث: ٣٤٩٦

٣ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح– حديث: ٦٧٥١، وَمُسْلِمٌ– كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار – حديث: ٢٢٩

.

متى تبدأ تربية الأولاد؟

قد يَعْجَبُ كثيرُ من الناسِ عندما يعلمون أن تربية الأبناء تبدأ قبل إنجابهم؛ بل تبدأ من لحظة اختيار الزوجة التي ستكون أما لهؤلاء الأولاد.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ».[1]

وإرشاد النَّبِيِّ ﷺ لذات الدين لأنها ستكون أما للأولاد، ومربية ومعلمة لهم، فإذا كانت عارية من الأخلاق، فقيرة في دينها، كان أولادها كذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

وعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَأَنْكِحُوا الأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ».[2]

---

١ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين– حديث: ٤٨٠٣، وَمُسْلِمٌ– كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين، حديث: ٢٧٣٩

٢ – رَوَاهُ ابن ماجه– كتاب النكاح، باب الأكفاء– حديث: ١٩٦٤، والبيهقي في السنن– كتاب النكاح، جماع أبواب اجتماع الولاة، باب اعتبار الكفاءة، حديث: ١٢٨٥٥ بسند صحيح

.

مقومات التربية السليمة:

السعي في إصلاح العبد لنفسه والمداومة على التقوى:

قال الله تعالى: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً}.[1]

وقال تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}.[2]

فقد يحفظ الله ذرية العبد بسبب صلاحه بعد موته كما في الآية السابقة فقد كانت علة بناء الخضر للجدار هي {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً} فقد حفظهما الله تعالى بصلاح أبيهما.

قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ لِابْنِهِ: لَأَزِيدَنَّ فِي صَلَاتِي مِنْ أَجْلِكَ، رَجَاءَ أَنْ أُحْفَظَ فِيكَ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا}.[3]

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَمُوتُ إِلَّا حَفِظَهُ اللَّهُ فِي عَقِبِهِ وَعَقِبِ عَقِبِهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُنْكَدِرِ: إِنَّ اللَّهَ لَيَحْفَظُ بِالرَّجُلِ الصَّالِحِ وَلَدَهُ وَوَلَدَ وَلَدِهِ وَالدُّوَيْرَاتِ الَّتِي حَوْلَهُ فَمَا يَزَالُونَ فِي حِفْظٍ مِنَ اللَّهِ وَسِتْرٍ.[4]

غرس العقيدة الصحيحة في نفوسهم:

إن غرس العقيدة الصحيحة في نفوس الأولاد يجب أن يكون على رأس الأولويات بالنسبة للآباء، و لم لا؟ وذلك من مقاصد الشريعة الغراء، فهي رأس الأمر، والغاية من بعثة الرسل وإنزال الكتب، ولأجلها قامت سوق الجنة والنار.

ولو كان العبد في غاية الاجتهاد في العبادة، صوامًا قوامًا ولكنه فاسد الاعتقاد، فليس لعبادته وزن يذكر، ولا ينتفع منها بقليل ولا كثير، ودليل ذلك ما ورد عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ قَالَ:كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ بِالْبَصْرَةِ قَالَ: فَانْطَلَقْنَا حُجَّاجًا أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَافَقْنَا عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ قَبْلَنَا نَاسًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ وَيَقُولُونَ: لَا قَدْرَ وَإِنَّمَا

---

١ - سورة النساء: الآية/٩

٢ - سورة الكهف: الآية/٨٢

٣ - سورة الكهف: الآية/ ٨٢

٤ - جامع العلوم والحكم - (١/ ٤٦٧)



الْأَمْرُ أُنُفٌ قَالَ: فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ وَأَنَّهُمْ مِنِّي بَرَاءُ، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.[١]

ومما يدل على أنَّ غرس العقيدة من الأولويات في هذا الدين ما رواه عبد الله بنَ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ نَحْوَ الْيَمَنِ فَقَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ».[٢]

وقال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}.[٣]

وقال تعالى: {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}.[٤]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺقَالَ كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ».[٥]

تعويدهم على العبادة منذ الصغر:

إن النشأة في ظل الطاعة وفي كنف العبادة لها أبلغ الأثر على الإنسان طول عمره، إذ أن ذلك يجعله يألف هذه العبادة ويألف أهلها، وتلين بها جوارحه، وتعتاد عليها نفسه وأعضائه، وكم رأينا مَنْ ينفر من الصيام بحجة أنه ما اعتاد عليه، أو يخجل من دخول المساجد لأنه ما تعود على الصلاة صغيرًا، أو يخشى من نظر الناس إليه إذا رأوه في الصف بين المصلين، ومن تخجل من لبس الحجاب لأنها ما اعتادت على لبسه قبل البلوغ، فيكون ذلك من أعظم الصوارف عن الطاعة.

---

١ – رَوَاهُ مُسْلِمٌ– كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان– حديث: ٣٤

٢ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته، حديث: ٦٩٦٠، وَمُسْلِمٌ– كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، حديث: ٥٣

٣ – سورة لقمان : الآية/ ١٣

٤ – سورة لقمان: الآية/ ١٦

٥ – رَوَاهُ أحمد– حديث: ٢٥٩٢ ، والترمذي– أبواب صفة القيامة والرقائق والورع – باب، حديث: ٢٥٠٠

قال الله تعالى على لسان لُقْمَانَ الحكيم: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}.[1]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ».[2]

وعَنْ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الْأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ: «مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَنَصْنَعُ لَهُمْ اللُّعْبَةَ مِنْ الْعِهْنِ فَنَذْهَبُ بِهِ مَعَنَا فَإِذَا سَأَلُونَا الطَّعَامَ أَعْطَيْنَاهُمْ اللُّعْبَةَ تُلْهِيهِمْ حَتَّى يُتِمُّوا صَوْمَهُمْ».[3]

وما أجمل النشأة على الطاعة، وما أروع النمو في كنف الهداية، فَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».[4]

غرس الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة في نفوسهم:

الِاسْتِئْذَانُ:

ومن ذلك الِاسْتِئْذَانُ، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}.[5]

ومما يؤسف له أن كثيرًا من الناس قد وقع منهم تفريط ظاهر في هذه الآداب، حتى أصبحت مستغربةً عند كثير منهم، مستهجنةً أحيانًا إذا دعا إليها داعٍ، أو سعى في إحياءِ ميِّتِهَا ساعٍ؛ فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ

---

١ – سورة لقمان: الآية /١٧

٢ – رَوَاهُ أبو داود– كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة – حديث: ٤٢٣ بسند صحيح

٣ – رَوَاهُ مُسْلِمٌ – كتاب الصيام، باب من أكل في عاشوراء فليكف بقية يومه، حديث: ١٩٨٤

٤ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين– حديث: ١٣٦٨، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ– كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة – حديث: ١٧٧٤

٥ – سورة النور: الآية/ ٥٨

.

عَبَّاسٍ:" تَرَكَ النَّاسُ ثَلَاثَ آيَاتٍ فَلَمْ يَعْمَلُوا بِهَا: {يَا أَيُّهَا الَّذِينُ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ}. إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.[1]

وَالْآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ النِّسَاءِ: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ}.[2]

وَالْآيَةَ الَّتِي فِي الْحُجُرَاتِ: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}".[3]

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا»، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا، أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا».[4]

آداب الطعام:

ومن ذلك آداب الطعام كالتسمية والأكل باليمين؛ فَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ ﷺ قَالَ كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ».[5]

عدم خلف الوعد:

ومن ذلك خلف الوعد فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ». قَالَتْ أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِيهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ».[6]

غرس علو الهمة في نفوسهم:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ » فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللهِ فَاسْتَحْيَيْتُ فَقَالُوا يَا

---

١ – سورة النور: الآية/ ٥٨

٢ – سورة النساء: الآية/ ٨

٣ – سورة الحجرات: الآية/ ١٣، تفسير ابن أبي حاتم – (٨/ ٢٦٣٢)

٤ – رَوَاهُ مالك– كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ الِاسْتِئْذَانِ، حديث: ١٧٤٥، والبيهقي في السنن الكبرى– كتاب النكاح– باب استئذان المملوك والطفل في العورات الثلاث، حديث: ١٢٦٨٠

٥ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، حديث: ٥٠٦٧، وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ – كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث: ٣٨٦٠

٦ – رواه أبو داود– كتاب الأدب، باب في التشديد في الكذب – حديث: ٤٣٦٠ بسند حسن لغيره



رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنَا بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «هِيَ النَّخْلَةُ» قَالَ عَبْدُ اللهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا.[1]

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يرغب ولده في إجابة النبي ﷺ ولا يسفه رأيه ولا يستصغر عقله شحذاً لعزيمته وإعلاء لهمته، بخلاف من يقول لولده اسكت فأنت لا تفهم ولا تتكلم فأنت لا تدري فتخمد جذوة النبوغ في نفسه وينطفئ نور الذكاء في عقله، وكلما أراد الإقدام على أمر له فيه خير تذكر كلام أبيه فأحجم فيظل صغير وقد بلغ من السن عتياً، متروياً لا يشارك في عظيم أو حقر، هياباً لا يعرف للإقدام سبيلاً، جباناً لا تعرف الشجاعة إلى قلبه طريقاً.

ذكر ابن سعد عن المدائني قال نظر أبو سفيان رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه وهو غلام فقال إنَّ ابني هذا لعظيمُ الرأسِ وإنه لخليقٌ أن يسودَ قومَهُ فقالت هِنْدٌ قومَهُ فقط ؟ ثكلته إنْ لم يَسُدْ العربَ قاطبةً.[2]

المساوة بينهم في المعاملة والعدل في الأعطيات:

عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عَامِرٍ قَالَ سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رضي الله عنه وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَتَى رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا ؟» قَالَ: لَا قَالَ:« فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ قَالَ فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ».[3]

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَتُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ».[4]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَبَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ، جَالِسًا فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ:«مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ ».[5]

---

١ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا، حديث: ٦١، وَمُسْلِمٌ– كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة، حديث: ٥١٣٤

٢ – الإصابة في تمييز الصحابة ٦ / ١٥٣

٣ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الإشهاد في الهبة، حديث: ٢٤٦٨، وَمُسْلِمٌ– كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة – حديث:٣١٤١

٤ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته – حديث:٥٦٥٩

٥ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته – حديث:٥٦٥٨



.

وقال الزبير بن بكار في كتاب النسب حدثني عمي مصعب عن جدي عبد الله بن مصعب أن العوام لما مات كان نوفل بن خويلد يلي ابن أخيه الزبير وكانت صفية رضي الله عنها تضربه وهو صغير وتغلظ عليه فعاتبها نوفل وقال ما هكذا يضرب الولد إنك لتضربينه ضرب مبغضة فرجزت به صفية ...

من قال إني أبغضه فقد كذب ،،، وإنما أضربه لكي يلب ،،، ويهزم الجيش ويأتي بالسلب

.

الآثار المترتبة على تخلي الآباء عن مسئوليتهم في تربية الأولاد:

الآثار المترتبة على تخلي الآباء عن مسئوليتهم في تربية أولادهم كثيرة جداً أذكر منها أثرين اثنين هما:

حرمان الجنة:

عَنْ مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسترْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلاَّ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّة».[1]

قال القرطبيُّ: هو لفظٌ عامٌّ في كلِّ مَنْ كُلِّفَ حِفْظَ غيرِهِ؛ كما قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فالإمامُ الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤولٌ عن رعيَّتِهِ». وهكذا الرجلُ في أهل بيتِهِ، والوَلَدُ والعبدُ. والرعايةُ: الحِفْظُ والصيانة، والغِشُّ : ضِدُّ النصيحة.[2]

عقوق الأبناء:

أتى رجل إلى عمرَ بن الخطاب ﷺ يشكو إليه عقوق ولده فأحضرَ أميرُ المؤمنين الغلامَ وأنَّبه، فقال الغلام: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حق على أبيه؟ قال: بلى، قال: فما حقه على أبيه؟ قال: أنْ يَنْتَقِيَ أُمَّهُ، ويُحْسِنَ اسْمَهُ، ويُعَلِّمَهُ الكتابَ. قال الغلامُ: يا أميرَ المؤمنينَ، إنَّ أبي لم يفعلْ شيئًا من ذلك، استولدني من أَمَةٍ زنجية كانت لمجوسيّ، وقد سماني جُعلاً، و لم يعلّمْني من الكتاب حرفًا واحدًا، فالتفتَ أميرُ المؤمنينَ عُمرُ ﷺ إلى الرجل وقال له: جئتَ إليَّ تشكو عقوقَ ولدِكَ وقد عقَقْتَهُ قبلَ أن يَعقَّك، وأسأْتَ إليه قبْلَ أنْ يُسيء إليك!

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ أَنْحَلَنِي: أَبِي نُحْلًا، غُلَامًا لَهُ، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ: أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَشْهِدْهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَشْهَدَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي النُّعْمَانَ نُحْلًا وَإِنَّ عَمْرَةَ سَأَلَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَقَالَ: «أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَ النُّعْمَانَ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: فَقَالَ: بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ، " هَذَا جَوْرٌ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: «هَذَا تَلْجِئَةٌ فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي» قَالَ مُغِيرَةُ: فِي حَدِيثِهِ «أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ سَوَاءٌ» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَشْهِدْ عَلَى

---

١ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب الأحكام، باب من استرعي رعية فلم ينصح– حديث: ٦٧٥١، وَمُسْلِمٌ– كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار – حديث: ٢٢٩

٢ – المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – ٢ / ١١٨



.

هَذَا غَيْرِي» وَذَكَرَ مُجَالِدٌ فِي حَدِيثِهِ «إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنَ الْحَقِّ أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ أَنْ يَبَرُّوكَ».[1]

---

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ- كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابُ الهِبَةِ لِلْوَلَدِ، وَإِذَا أَعْطَى بَعْضَ وَلَدِهِ شَيْئًا لَمْ يَجُزْ، حَتَّى يَعْدِلَ بَيْنَهُمْ وَيُعْطِيَ الآخَرِينَ مِثْلَهُ، وَلاَ يُشْهَدُ عَلَيْهِ حديث: ٢٥٨٦، وَمُسْلِمٌ- كِتَابُ الْهِبَاتِ، بَابُ كَرَاهَةِ تَفْضِيلِ بَعْضِ الْأَوْلَادِ فِي الْهِبَةِ، حديث: ١٦٢٣، وَرَوَاهُ أبو داود- كِتَاب الْبُيُوعِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يُفَضِّلُ بَعْضَ وَلَدِهِ فِي النُّحْلِ، حديث: ٣٥٤٢ واللفظ له

من أسبابِ النَّجَاةِ

(وَابْكِ عَلى خَطِيئَتِكَ)

من أســـــــبَابِ النَّجَاةِ التوبة النصوح لله تعالى.

تعريف التوبة:

التَّوبةُ في اللُّغة هي الرُّجوع.

والتَّوبةُ في الشَّرعِ هي النَّدَم على الفعل الماضي، والإقلاع عنه في الحاضر، والعزم على عدم فعله في المستقبل.

الله عز وجل لا يتعاظمه ذنب:

قال الله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}.[1]

فضل التوبة:

التوبة دأب الصالحين وديدهم:

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.[2]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».[3]

عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».[4]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».[5]

وعن عبد الله بْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَاأَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ».[6]

---

١ – سورة الزمر: الآية/ ٥٣

٢ – سورة آل عمران: الآية /١٣٥

٣ – رواه مسلم- كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة- حديث: ٥٠٤٣

٤ – رواه أحمد- حديث: ١٢٨٢٠، والترمذي- أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ- باب، حديث: ٢٤٨٣ بسند حسن

٥ – رواه البخاري- كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة – حديث: ٥٩٥٧

٦ – رواه مسلم- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه – حديث: ٤٩٧٨

.

وعَنِ الأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».[١]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».[٢]

قال ابن القيم: ومترل التوبة أول المنازل وأوسطها وآخرها فلا يفارقه العبد السالك ولا يزال فيه إلى الممات وإن ارتحل إلى مترل آخر ارتحل به واستصحبه معه ونزل به فالتوبة هي بداية العبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية كما أن حاجته إليها في البداية كذلك وقد قال الله تعالى:{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} وهذه الآية في سورة مدنية خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب بسببه وأتى بأداة لعل المشعرة بالترجي إيذانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح فلا يرجو الفلاح إلا التائبون جعلنا الله منهم.[٣]

الله عز وجل يحب التوبة ويحب التوابين:

من عظيم فضل التوبة، أنها توصل العبد إلى أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها بشر من البشر، بل ويسمو إليها الخلق كلهم، ألا وهي تحقيق محبة الله تعالى، فإذا أذنب العبد ذنبًا ثم تاب منه صادقًا، وأسرع إلى الله تعالى مقبلًا، وفر من ذنبه إلى الله تعالى خائفًا، قبل الله تعالى توبته، وأسبغ عليه من رحمته، وشمله بعفوه ومغفرته، وأحبه لتوبته.

قال الله تعالى: {إن اللّهَ يُحِبّ التّوّابِينَ وَيُحِبّ الْمُتَطَهّرِينَ}.[٤]

يجعل الله للتائبِ رصيدًا من الحسنات بقدر ما كان عنده من سيئات:

قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً}.[٥]

---

١ – رواه مسلم– كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه – حديث:٤٩٧٧

٢ – رواه أحمد– حديث: ٤٥٨٧، والترمذي– أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ– باب ما يقول إذا قام من مجلسه، حديث: ٣٤٣٩ وابن ماجه– كتاب الأدب، باب الاستغفار – حديث: ٣٨١٢، بسند صحيح

٣ – مدارج السالكين – ١ / ١٧٨

٤ – سورة البقرة : الآية/٢٢٢

٥ – سورة الفرقان: الآيات / ٦٨–٧٠





وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، وَآخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، رَجُلٌ يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: اعْرِضُوا عَلَيْهِ صِغَارَ ذُنُوبِهِ، وَارْفَعُوا عَنْهُ كِبَارَهَا، فَتُعْرَضُ عَلَيْهِ صِغَارُ ذُنُوبِهِ، فَيُقَالُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، وَعَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْكِرَ وَهُوَ مُشْفِقٌ مِنْ كِبَارِ ذُنُوبِهِ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ، فَيُقَالُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَكَانَ كُلِّ سَيِّئَةٍ حَسَنَةً، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ عَمِلْتُ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا هَا هُنَا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.[1]

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ شَيْخٌ كَبِيرٌ يَدَّعِمُ عَلَى عَصًا لَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي غَدَرَاتٍ وَفَجَرَاتٍ، فَهَلْ يُغْفَرُ لِي؟ قَالَ: «أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟» قَالَ: بَلَى، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ غَدَرَاتُكَ وَفَجَرَاتُكَ».[2]

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِي طَوِيلٍ شَطَبٍ الْمَمْدُودِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً إِلَّا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: «فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟» قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «نَعَمْ، تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ»، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى.[3]

التوبة من أعظم أسباب المغفرة:

قال الله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ}.[4]

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}.[5]

١ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ ، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً فِيهَا، حديث: ٣١٤

٢ – رواه أحمد– حديث: ١٩٤٣٢

٣ – رواه الطبراني في الكبير– حديث: ٧٢٣٥

٤ – سورة الزمر: الآية / ٥٣ ، ٥٤

٥ – سورة التحريم: الآية / ٨



وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: {تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} قَالَ: هُوَ الرَّجُلُ يَعْمَلُ الذَّنْبَ ثُمَّ لاَ يَعُودُ إِلَيْهِ.[1]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺفِي قَوْلِهِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} قَالَ: يَتُوبُ مِنَ الذَّنْبِ ثُمَّ لاَ يَعُودُ.[2]

وقال الشعبي: التائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ }.[3]

الله يفرح بتوبة المؤمن:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاَةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ».[4]

النَّدَمُ تَوْبَةٌ:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ».[5]

التوبة تجب ما قبلها:

قال الله تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا}.[6]

---

١ – رواه الحاكم في المستدرك– كتاب التفسير، تفسير سورة التحريم، حديث: ٣٧٦٥، والبيهقي في السنن– كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حديث: ١٩١٣٨ بسند صحيح

٢ – رواه البيهقي في السنن– كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف – حديث: ١٩١٣٩ بسند صحيح

٣ – سورة البقرة: الآية/ ٢٢٢ – شرح السنة للإمام البغوي– ٥ / ٨١

٤ – رواه مسلم– كتاب التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، حديث: ٥٠٣٩

٥ – رواه أحمد– حديث: ٣٨٨٨، وابن ماجه– كتاب الزهد، باب ذكر التوبة– حديث: ٤٢٥٠، وابن حبان– كتاب الرقائق، باب التوبة– حديث: ٦١٣ والحاكم– كتاب التوبة والإنابة، حديث: ٧٦٧٩ ،والبيهقي– كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حديث: ١٩١٣١ بسند صحيح

٦ – سورة مريم: الآية/٥٩ ، ٦٠

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}.[1]

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ بِمَكَّةَ (وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) إِلَى قَوْلِهِ (مُهَانًا) فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ وَمَا يُغْنِى عَنَّا الإِسْلاَمُ وَقَدْ عَدَلْنَا بِاللَّهِ وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ وَأَتَيْنَا الْفَوَاحِشَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا) إِلَى آخِرِ الآيَةِ. قَالَ فَأَمَّا مَنْ دَخَلَ فِي الإِسْلاَمِ وَعَقَلَهُ ثُمَّ قَتَلَ فَلاَ تَوْبَةَ لَهُ.[2]

التَّوبةُ صقل للقلب وتطهير للنفس:

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّيْنُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}».[3]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ "، قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَى: لَا أَدْرِي أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ».[4]

---

١ – سورة الفرقان: الآيات/ ٦٨ –٧٠

٢ – رواه مسلم– كتاب التفسير، حديث: ٥٤٦٧

٣ – رواه أحمد– حديث: ٧٧٦٨، والترمذي– أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ويل للمطففين، حديث: ٣٣٣٨، والنسائي– سورة المطففين، قوله تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} حديث: ١١٢١٢، وابن ماجه– كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، حديث: ٤٢٤٢ بسند صحيح

٤ – رواه البخاري– كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ}، حديث: ٧٥٠٧، ومسلم– كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب. حديث: ٢٧٥٨

.

شروط التوبة:

قال ابن القيم: وشرائط التوبة ثلاثة الندم، والإقلاع، والاعتذار، فحقيقة التوبة هي الندم على ما سلف منه في الماضي والإقلاع عنه في الحال والعزم على أن لا يعاوده في المستقبل، والثلاثة تجتمع في الوقت الذي تقع فيه التوبة، فإنه في ذلك الوقت يندم ويقلع ويعزم فحينئذ يرجع إلى العبودية التي خلق لها وهذا الرجوع هو حقيقة التوبة.[1]

قال النووي رحمه الله: للتوبة ثلاثة شروط أن يقلع عن المعصية وأن يندم على فعلها وأن يعزم عزما جازما أن لايعود إلى مثلها أبدا فان كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع وهو رد الظلامة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه والتوبة أهم قواعد الإسلام وهى أول مقامات سالكي طريق الآخرة.[2]

١ – مدارج السالكين – ١ / ١٨٢

٢ – شرح النووي على مسلم – ١٧ / ٢٥



.

وسائل الثبات على التوبة:

الأولى: المبادرة بالتوبة.

من وسائل الثبات على التوبة، المبادرة بالتوبة وعدم التسويف، فإن التسويف من أسباب طمع الشيطان في ابن آدم وجرأته عليه، فإذا رأى منه استهانة بالتوبة والمبادرة إليها، سلك إليه كل سبيل لصده عنها، ومنعه منها،

قَالَ تَعَالَى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}.[1]

وَقَالَ: {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }.[2]

وَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا».[3]

وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا أَوْ الدُّخَانَ أَوْ الدَّجَّالَ أَوْ الدَّابَّةَ أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ».[4]

قال ابن القيم رحمه الله: إذا أراد الله بعبده خيراً، فتح له أبواب التوبة والندم والذل والانكسار والافتقار والاستعانة به، ودوام التضرع والدعاء، والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات.[5]

الثانية: الإقلاع عن الذنب.

فإن التوبة مع الإقامة على الذنب نوع من الإستهزاء لا يتصور من عاقل.

الثالثة: الندم على المعصية.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِلِ بْنِ مُقَرِّنٍ قَالَ دَخَلْتُ مَعَ أَبِي عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ قَالَ نَعَمْ».[6]

---

١ – سورة آل عِمْرَانَ: الآية/ ١٣٣

٢ – سورة الْحَدِيدِ: الآية/ ٢٢

٣ – رواه مسلم– كتاب الإيمان، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن – حديث: ١٩٤

٤ – رواه مسلم– كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال – حديث: ٥٣٥٢

٥ – الوابل الصيب – (١ / ١١)

٦ – رواه أحمد– حديث: ٣٤٦٢، وابن ماجه– كتاب الزهد، باب ذكر التوبة– حديث: ٤٢٥٠، والحاكم– كتاب التوبة والإنابة، حديث: ٧٦٨٠ والبيهقي في السنن– كتاب الشهادات، باب شهادة القاذف، حديث: ١٩١٣١ بسند صحيح

.

الرابعة: العزم على عدم الرجوع للذنب.

وذلك بقطع العلائق التي بينه وبين ما يقربه من المعصية؛ حتى لا يقع فيها مرة أخرى، وسواء أكانت هذه العلائق أصحاب سوء، أو رسائل أو صور أو أرقام هواتف، أو آلات طرب ولهو، أو غيرها من وسائل المعاصي، ويعلم أن هذا الذي يؤزه إلى المعصية أزاً، ويدفعه إليها دفعاً، ويرغبه فيه، سيكون من أشد الناس له عداوة يوم القيامة، ويتبرأ منه، بل ويتلاعنان كما قال الله تعالى: {الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ }.[1]

وقال تعالى:{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}.[2]

ويستحب له كذلك أن يغير من هيئته التي كان عليها قبل التوبة مثل قص الشعر إن كان موفرا وتبديل الثياب إن كانت له ثياب يشتهر بها ودل على ذلك ما رواه عُثَيْمُ بْنُ كُلَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّهُ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ قَدْ أَسْلَمْتُ فَقَالَ: «أَلْقِ عَنْكَ شَعَرَ الْكُفْرِ» يَقُولُ أَحْلِقْ وقَالَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِآخَرَ: «أَلْقِ عَنْكَ شَعَرَ الْكُفْرِ وَاخْتَتِنْ».[3]

فقد قَالَ العَالِمُ لمن قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ: «وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ».[4]

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سُئِلَ عُمَرُ عَنِ التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، فَقَالَ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ أَنْ يَتُوبَ الْعَبْدُ مِنَ الْعَمَلِ السَّيِّئِ، ثُمَّ لاَ يَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا.[5]

الخامسة: ملازمة أهل الطاعة.

البحث عن رفقة صالحة تعينه على طاعة الله تعالى، وتتعهده إذا اعتراه الفتور، أو أصابه الملل، حتى لا يرجع للمعاصي مرة أخرى من أعظم أسباب الثبات على التوبة، والمداومة على الطاعة، ولكن يجب أن يتوفر في هذه الرفقة أمران الأول سلامة الاعتقاد، والبعد عن البدع، والسبيل إلى معرفة ذلك بقياس ما هم عليه من أقوال وأفعال وأحوال على ما كان عليه سلف هذه الأمة.

---

١ – سورة الزخرف: الآية/٦٧

٢ – سورة العنكبوت: الآية/٢٥

٣ – رواه أحمد– حديث: ١٥١٦٠، وأبو داود– كتاب الطهارة، باب في الرجل يسلم فيؤمر بالغسل– حديث: ٣٠٥، والطبراني في الكبير، حديث: ١٨٨٠١، والبيهقي في السنن– كتاب الطهارة، جماع أبواب ما يوجب الغسل– باب الكافر يسلم فيغتسل، حديث: ٧٦٥ بسند حسن

٤ – رواه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار – حديث رقم: ٣٣٠١، ومسلم كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله – حديث رقم: ٥٠٧٤

٥ – مصنف ابن أبي شيبة– كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام – كلام عمر بن الخطاب ﷺ ، حديث: ٣٣٨٢٣

وهذا ما أرشد إليه العالِمُ قاتلَ المئةِ نفسٍ لما أراد التوبة قال له: «انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ مَعَهُمْ».[1]

السادسة: محاسبة النفس.

من تمام التوبة المداومة على محاسبة النفس على كل حركة وسكنة، والوقوف لها بالمرصاد حتى لا ترجع إلى المعصية مرة أخرى.

فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ: (حاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ، يَوْمَ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ).[2]

قال الفضيلُ بنُ عياض لرجلٍ: (كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال فأنت منذ ستين سنة تسيرُ إلى ربِّك يُوشِكُ أنْ تَبلُغَ، فقال الرجل: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فقال الفضيلُ: أتعرف تفسيرَه تقول: أنا لله عبد وإليه راجع، فمن عَلِمَ أنَّه لله عبد، وأنَّه إليه راجع، فليعلم أنَّه موقوفٌ، ومن علم أنَّه موقوف، فليعلم أنَّه مسؤول، ومن عَلِمَ أنَّه مسؤولٌ، فليُعِدَّ للسؤال جواباً، فقال الرجل: فما الحيلةُ؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تُحسِنُ فيما بقي يُغفَرُ لك ما مضى فإنّك إنْ أسأتَ فيما بقي، أُخِذْتَ بما مضى وبما بقي).

السابعة: إشغال النفس بما فيه نفعها.

من أسباب الثبات على التوبة أن يشغل العبد نفسه بشيء من طاعة الله تعالى مثل: أن يجعل لنفسه ورداً ثابتًا من كتاب الله حفظاً وتلاوةً وقراءةً تفسيرًا، وحفظ أحاديث النبي ﷺ والمداومة على طلب العلم، فإن نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، لذلك قال الله تعالى: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.[3]

أي لا تنسوا ذكر الله تعالى: فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم، فإن الجزاء من جنس العمل.[4]

---

١ – تقدم تخريجه

٢ –رواه الترمذي– أبواب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب حديث: ٢٤٤١، بسند ضعيف ، وابن أبي شيبة في مصنفه– كتاب الزهد، ما ذكر في زهد الأنبياء وكلامهم عليهم السلام، كلام عمر بن الخطاب ﷺ حديث: ٣٣٧٩١، وابن المبارك في الزهد– باب الهرب من الخطايا والذنوب، حديث: ٣٠٧ ، وأحمد بن حنبل في الزهد – زهد عمر بن الخطاب ﷺ حديث: ٦٣٩

٣ – سورة الحشر: الآية/ ١٩

٤ – تفسير ابن كثير – (٨ / ٧٧)



.

عوائق التوبة

١- التسويف للتوبة.

مِنَ أخطر مُعَوّقاتِ التَّوْبَةِ التسويف وعدم المُبَادَرَةِ بالتوبة وذلك يجعل العبد بين خَطَرَيْن عَظِيمَين الأول: تَرَاكَم الران على القَلْبِ حتى يسود ويؤل أمره إلى الموت موت القلب فلا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، فتتمكن المعصية من قلبه تمكنا لا يستطيع معه الإقلاع عن الذنب فيفعل الذنب لا بدافع الشهوة ولكن لأنه أصبح له عادةً وهذه أخطر حالة يمكن أن يصل إليها العبد لأنه يتعذر عليه الرجوع عن الذنب والحالة كذلك.

فعَنْ حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ سَمِعَتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يقول: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوب عَرْضَ الْحَصِيرِ فَأَيُّ قَلْب أَنْكَرَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ وَأَيُّ قَلْب أَبْشَرَ بهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى تَصِيرَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ أَبْيَضُ مِثْلُ الصَّفَا لَا يَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْآخرُ أَسْوَدُ مُرْبَدٌّ كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا وَأَمَالَ كَفَّهُ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».[١]

وثانيهمَا: أنْ يبادره المرض فيضعضع بنيانه، ويزلزل أركانه ويوهن قواه، ويكون تركه للذنب عجزًا عن ممارسته، وربما ظل يشتهيه بقلبه، ويتحسر على فوته، ويتلذذ بما سلف من مزاولته، فيأثم بنيته، ويؤاخذ على سوء طويته، فيجتمع له نوعان من العذاب، عذاب دنيوي، وهو الحرمان من مواقعة الذنب، وعذاب أخروي بسبب الحرص على فعله مع العجز.

وقد قال العلماءُ: ما مثِالُ المُسَوّفِ بالتوبةِ إلا مثال مَنْ احتاج إلى قلْع شجرةٍ فرآها قَويةً لا تنقلعُ إلا بمشقةٍ شديدةٍ فقال: أؤَأَخِّرُها سنةً ثُم أعودُ إليها وهو يعلمُ أنّ الشجرة كُلما بَقِيتْ ازدادتْ قوةً لرُسُوخِها وثباتها وكلما طال عُمُرُهُ ازْدَادَ ضَعْفُه لكبر سنه فإذْا عَجزَ عن قلعها معَ قُوَّتِهِ وضعفها فكيف يقوى عليها مع قوتها وضعفه.

ترك التوبة مخافة الرجوع للذنوب مرة أخرى، وهذه شبهة يقع فيها كثير من الناس، فكثير من الناس يخاف من التوبة لاحتمال رجوعه إلى الذنب مرة أخرى، فنقول لمثل هذا: ليس من مقصود الشرع أن يكون الناس كالملائكة لا يعصون الله طرفة عين، لأن هذا تكليف بما ليس في المقدور، وهذه ليست دعوة للإسراف على النفس بالذنوب والمعاصي،بل نقول يجب على العبد البعد عن الذنب والانتهاء عن المعاصي، فإذا زل لكونه بشراً ولكونه ليس معصوماً فليبادر بالتوبة إلى الله تعالى والندم على ما بدر منه والإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العود، فعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ رَبُّهُ أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ رَبِّ أَذْنَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ

---

١ - رواه مسلم- كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا- حديث: ٢٣٣



فَقَالَ أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْبًا قَالَ رَبِّ أَصَبْتُ آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي فَقَالَ أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلَاثًا فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ».[1]

وربما أتت المنية وهو مازال يسوف التوبة، ويمني النفس بطول العمر، ويأمل آمالا لو امتد حبلها لبلغت من السنين المئين أو الآلاف.

وممن يعتبر بحاله، ويتعظ المرء بمآله أبو بَصِيرٍ أَعْشَى بْنُ قَيْسٍ الشاعر المشهور.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: خَرَجَ أَعْشَى بْنُ قَيْسٍ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ، فَقَالَ يَمْدَحُ النَّبِيَّ ﷺ:

وَآلَيْتُ لَـا آوِي لَهَـا مِـنْ كَلَالَـةٍ ***** وَلَا مِنْ حَفًى حَتَّـى تُلَـاقِي مُحَمَّـدَا

مَتَى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْـنِ هَاشِـمٍ ***** تُرَاحِي وَتَلْقَـى مِـنْ فَوَاضِـلِهِ نَـدَى

نَبِيٌّ يَـرَى مَـا لَـا تَـرَوْنَ وَذِكْـرُهُ ***** أَغَارَ لَعَمْـرِي فِـي الْبِلَـادِ وَأَنْجَـدَا

لَـهُ صَـدَقَاتٌ مَـا تُغِـبُّ وَنَائِـلٌ ***** فَلَـيْسَ عَطَـاءُ الْيَـوْمِ مَانِعَـهُ غَـدَا

أَجِدَّكَ لَـمْ تَسْـمَعْ وَصَـاةَ مُحَمَّـدٍ ***** نَبِيِّ الْإِلَـهِ حَيْـثُ أَوْصَـى وَأَشْـهَدَا

إذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِـزَادٍ مِـنَ التُّقَـى ***** وَلَاقَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَـنْ قَـدْ تَـزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَـى أَنْ لَـا تَكُـونَ كَمِثْلِـهِ ***** فَتُرْصِدَ لِلْـأَمْرِ الَّـذِي كَـانَ أَرْصَـدَا

فَإِيَّـاكَ وَالْمَيْتَـاتِ لَـا تَقْرَبَنَّهَـا ***** وَلَا تَأْخُذَنْ سـهما حديـدا لتقصـدا

وَذَا النُّصُبَ الْمَنْصُـوبَ لَـا تَنْسُـكَنَّهُ ***** وَلَـا تَعْبُـدِ الأوثـان والله فاعبـدا

ولا تقـربنّ جـارة كَـانَ سِـرُّهَا ***** عَلَيْـكَ حَرَامًـا فَـانْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّـدَا

وَذَا الـرَّحِمِ الْقُرْبَـى فَلَـا تَقْطَعَنَّـهُ ***** لِعَاقِبَـةٍ وَلَـا الْأَسِـيرَ الْمُقَيَّـدَا

---

١ – رواه البخاري– كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : يريدون أن يبدلوا كلام الله ، حديث:٧٠٩١، ومسلم– كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة– حديث: ٥٠٦٠

.

وَسَبِّحْ عَلَى حِينِ الْعَشِــيَّةِ وَالضُّــحَى	*****	وَلَا تَحْمَدِ الشَّــيْطَانَ وَاللَّــهَ فَاحْمَــدَا
وَلَا تَسْخَرَنَّ مِنْ بَــائِسٍ ذِي ضَــرَارَةٍ	*****	وَلَا تَحْسَــبَنَّ الْمَــالَ لِلْمَــرْءِ مُخْلِــدَا

فَلَمَّا كَانَ بمكة– أو قريب مِنْهَا– اعْتَرَضَهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ جَاءَ يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُسْلِمَ. فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّهُ يُحَرِّمُ الزِّنَا. فَقَالَ:

الْأَعْشَى وَاللَّهِ إِنَّ ذَلِكَ لَأَمْرٌ مَا لِي فِيهِ مِنْ أَرَبٍ. فَقَالَ: يَا أَبَا بَصِيرٍ إِنَّهُ يُحَرِّمُ الْخَمْرَ.

فَقَالَ الْأَعْشَى:

أَمَّا هذه فو الله إن في نفسي منها العلالات وَلَكِنِّي مُنْصَرِفٌ فَأَتَرَوَّى مِنْهَا عَامِي هَذَا، ثُمَّ آته فَأُسْلِمُ فَانْصَرَفَ فَمَاتَ فِي عَامِهِ ذَلِكَ وَلَمْ يَعُدْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. [١]

٢- ترك التوبة خوفًا من لمز الناس.

فمن الناس من يظن أن الاستقامة ضعفًا، والتزام الجادة وهنًا، والتقيد بأحكام الشرع سببه عدم القدرة على مواقعة المعصية، فيفعل الذنب حتى لا يساء به الظن بزعمه.

٣- ترك التوبة مخافةً سقوط المترلة وذهاب الجاه والشهرة.

ومن ذلك ما وقع من أبي نواس الشاعر الماجن لما نصحه أبو العتاهية الشاعر الواعظ ولامه على تمتكه في المعاصي، فأنشد أبو نواس:

أتراني يا عتاهي	*****	تاركاً تلك الملاهي
أتراني مفسداً بالنسك	*****	عند القوم جاهي

٤- التمادي في الذنوب اعتمادًا على سعة رحمة الله.

فمن الناس من يصر على المعصية ويتمادى في الغي، ويسرف على نفسه فإذا عوتب أو زجر عما هو فيه قال: إن الله غفور رحيم على حد قول القائل:

---

١ – البداية والنهاية – (٣/ ١٠٢)





.

وَكَثِّرْ ما استطعت من الخطايا ***** إذا كان القدوم على كريم

ويستدل بقول الله تعالى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ}.[1]

٥- الاغترار بإمهال الله للمسيئين.

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}».[2]

٦- الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي.

وهذا حال الكفار والفساق الذين لا يحبون اللوم على المعصية، ويستحلون الذنوب، فجمعوا إلى معصيتهم التي اقترفوها معصية استحلال الذنب وهذا أقبح أثراً من الذنب، وأعظم خطراً على العبد.

قال الله تعالى: {وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللَّهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ}.[3]

---

١ - سورة الحجر: الآية / ٤٩

٢ - رواه البخاري- كتاب تفسير القرآن، سورة البقرة، باب قوله: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ }، حديث: ٤٤١٧، ومسلم- كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ، حديث: ٤٧٨٦

٣ - سورة النحل: الآية/٣٥



مِنْ قَصَصِ التَائِبِينَ

تَوْبَةُ مَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ:

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ «وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ» قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ وَتُبْ إِلَيْهِ» قَالَ فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتِ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فِيمَ أُطَهِّرُكَ» فَقَالَ مِنَ الزِّنَى. فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَبِهِ جُنُونٌ» فَأُخْبِرَ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ فَقَالَ «أَشَرِبَ خَمْرًا» فَقَامَ رَجُلٌ فَاسْتَنْكَهَهُ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ رِيحَ خَمْرٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَزَنَيْتَ» فَقَالَ نَعَمْ. فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَكَانَ النَّاسُ فِيهِ فِرْقَتَيْنِ قَائِلٌ يَقُولُ لَقَدْ هَلَكَ لَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ وَقَائِلٌ يَقُولُ مَا تَوْبَةٌ أَفْضَلَ مِنْ تَوْبَةِ مَاعِزٍ أَنَّهُ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَالَ اقْتُلْنِي بِالْحِجَارَةِ قَالَ فَلَبِثُوا بِذَلِكَ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةً ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ جُلُوسٌ فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ « اسْتَغْفِرُوا لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ» قَالَ فَقَالُوا غَفَرَ اللَّهُ لِمَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«لَقَدْ تَابَ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ أُمَّةٍ لَوَسِعَتْهُمْ».[1]

تَوْبَةُ الْغَامِدِيَّةِ:

عَنْ بُرَيْدَةَ ﷺ قَالَ جَاءَتِ الْغَامِدِيَّةُ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ زَنَيْتُ فَطَهِّرْنِي. وَإِنَّهُ رَدَّهَا فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَرُدُّنِي لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَحُبْلَى. قَالَ:«إِمَّا لاَ فَاذْهَبِي حَتَّى تَلِدِي». فَلَمَّا وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي خِرْقَةٍ قَالَتْ هَذَا قَدْ وَلَدْتُهُ. قَالَ: «اذْهَبِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطِمِيهِ» فَلَمَّا فَطَمَتْهُ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فِي يَدِهِ كِسْرَةُ خُبْزٍ فَقَالَتْ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ قَدْ فَطَمْتُهُ وَقَدْ أَكَلَ الطَّعَامَ. فَدَفَعَ الصَّبِيَّ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَحُفِرَ لَهَا إِلَى صَدْرِهَا وَأَمَرَ النَّاسَ فَرَجَمُوهَا فَيُقْبِلُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا فَتَنَضَّحَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِ خَالِدٍ فَسَبَّهَا فَسَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ سَبَّهُ إِيَّاهَا فَقَالَ: «مَهْلاً يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ». ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ.[2]

---

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ- كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى - حديث: ٣٢٩٣

٢ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ- كتاب الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى ، حديث: ٣٢٩٤



توبة رجل من بني إسرائيل:

عَنْ أَبِى سَعِيدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «كَانَ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ لاَ فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا أَتَى نِصْفَ الطَّرِيقِ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ» قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَاءَ بِصَدْرِهِ.[١]

توبة كَعْب بْنِ مَالِكٍ ﷺ:

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ إِلاَّ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ غَيْرَ أَنِّي تَخَلَّفْتُ عَنْ غَزْوَةِ بَدْرٍ وَلَمْ يُعَاتِبِ اللَّهُ أَحَدًا حِينَ تَخَلَّفَ عَنْهَا إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا كَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهَا رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا تِلْكَ الْغَزْوَةَ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُهُ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَثِيرٌ لاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ يُرِيدُ الدِّيوَانَ قَالَ كَعْبٌ : فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلاَّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا وَأَقُولُ فِي نَفْسِي إِنِّي قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَرَدْتُهُ فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَحَرَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ فَكُنْتُ إِذَا

١ – رواه البخاري– كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار – حديث رقم: ٣٣٠١، ومسلم– كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله – حديث رقم: ٥٠٧٤

خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَطُفْتُ فِيهِمْ أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلاَّ رَجُلاً مَغْمُوصًا مِنَ النِّفَاقِ أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ فَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ قَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ:«مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ يَنْظُرُ فِي عِطْفَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَمَا قُلْتَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا إِلاَّ خَيْرًا فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي هَمِّي وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ وَعَرَفْتُ أَنِّي لاَ أَخْرُجُ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَادِمًا وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَ الْمُخَلَّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَيَكِلُ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ :«تَعَالَ». فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ:«مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟» فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً وَلَكِنْ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثًا كَاذِبًا تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو عَفْوَ اللَّهِ لاَ وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ قُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ » فَقُمْتُ وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَقَالُوا: لاَ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ قَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَكَ فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ثُمَّ قُلْتُ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ رَجُلاَنِ قَالاَ مِثْلَمَا قُلْتَ وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَمَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا:مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ وَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَيُكَلِّمُنِي أَحَدٌ وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ ثُمَّ أُصَلِّي فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي نَظَرَ إِلَيَّ فَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَ اللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدُكَ اللَّهَ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَالَ فَسَكَتَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ قَالَ فَعُدْتُ لَهُ فَنَاشَدْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ:اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَفَاضَتْ عَيْنَايَ

وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ وَكُنْتُ كَاتِبًا فَإِذَا فِيهِ:أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِيكَ فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا:وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاَءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهِ التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا حَتَّى إِذَا مَضَتْ لَنَا أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ بِهَا؟ فَقَالَ: لاَ بَلِ اعْتَزِلْهَا فَلاَ تَقْرَبَنَّهَا وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ فَقُلْتُ لاِمْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ. قَالَ كَعْبٌ : فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَتْ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ قَالَ:« لاَ وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبَنَّكِ » قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ وَإِنَّهُ مَا زَالَ يَبْكِي مُذْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِي هَذَا فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِهِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ تَخْدُمُهُ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِ اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمُلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرَ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ الْفَرَجُ وَأَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونِي وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ إِلَيَّ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعَتُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبُشْرَاهُ وَوَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ:« أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ». قُلْتُ:أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ:« لاَ بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بُشِّرَ بِبِشَارَةً يَبْرُقُ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكَذَلِكَ يُعْرَفُ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:« أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلاَّ صِدْقًا مَا بَقِيتُ فَوَ اللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ابْتَلاَهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُذْ حَدَّثْتُ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا ابْتَلاَنِي مَا تَعَمَّدْتُ مُذْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ

فِيمَا بَقِيَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ{لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِي وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلاَمِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوهُ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ قَالَ اللَّهُ تَبَارَك وَتَعَالَى:{سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى{وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَخَلُّفَنَا عَنِ الْغَزْوِ وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا مِمَّنْ حَلَفَ وَاعْتَذَرَ فَقَبِلَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».[1]

تَوبَةُ أَبِي مِحْجَنٍ ﷺ:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : أُتِيَ سَعْدٌ بِأَبِي مِحْجَنٍ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ وَقَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، فَأَمَرَ بِهِ إِلَى الْقَيْدِ، قَالَ: وَكَانَ بِسَعْدٍ جِرَاحَةٌ، فَلَمْ يَخْرُجْ يَوْمَئِذٍ إِلَى النَّاسِ، قَالَ: وَصَعِدُوا بِهِ فَوْقَ الْعُذَيْبِ لِيَنْظُرَ إِلَى النَّاسِ، قَالَ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْخَيْلِ خَالِدَ بْنَ عُرْفُطَةَ، فَلَمَّا الْتَقَى النَّاسُ، قَالَ أَبُو مِحْجَنٍ:

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُرْدَى الْخَيْـلُ بِالْقَنَـا ***** وَأُتْـرَكُ مَشْـدُودًا عَلَـيَّ وَثَاقِيَـا

فَقَالَ لابْنَةِ خَصَفَةَ، امْرَأَةِ سَعْدٍ: أَطْلِقِينِي وَلَكِ عَلَيَّ إِنْ سَلَّمَنِيَ اللَّهُ أَنْ أَرْجِعَ حَتَّى أَضَعَ رِجْلِي فِي الْقَيْدِ، وَإِنْ قُتِلْتُ اسْتَرَحْتُمْ، فَحَلَّتْهُ حِينَ الْتَقَى النَّاسُ، فَوَثَبَ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ يُقَالَ لَهَا: الْبَلْقَاءُ، ثُمَّ أَخَذَ رُمْحًا، ثُمَّ خَرَجَ، فَجَعَلَ لاَ يَحْمِلُ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنَ الْعَدُوِّ إِلاَّ هَزَمَهُمْ، وَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا مَلَكٌ، لِمَا يَرَوْنَهُ يَصْنَعُ، وَجَعَلَ سَعْدٌ يَقُولُ: الصَّبْرُ صَبْرُ الْبَلْقَاءِ، وَالطَّعْنُ طَعْنُ أَبِي مِحْجَنٍ، وَأَبُو مِحْجَنٍ فِي الْقَيْدِ، فَلَمَّا هُزِمَ الْعَدُوَّ، رَجَعَ أَبُو مِحْجَنٍ حَتَّى وَضَعَ رِجْلَيْهِ فِي الْقَيْدِ، فَأَخْبَرَتْ بِنْتُ خَصَفَةَ سَعْدًا بِالَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، قَالَ: فَقَالَ سَعْدٌ: وَاللهِ لاَ أَضْرِبُ الْيَوْمَ

---

[1] - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ- كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك- حديث: ٤١٦٥، ومسلم- كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه- حديث: ٥٠٨٠

.

رَجُلاً أَبْلَى اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى يَدَيْهِ مَا أَبْلاَهُمْ، قَالَ: فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَقَالَ أَبُو مِحْجَنٍ: قَدْ كُنْتُ أَشْرَبُهَا حَيْثُ كَانَ يُقَامُ عَلَيَّ الْحَدُّ، فَأَطْهَرُ مِنْهَا، فَأَمَّا إِذْ بَهْرَجْتَنِي فَلاَ وَاللهِ لاَ أَشْرَبُهَا أَبَدًا.[١]

توبة الْكِفْلِ:

عَنِ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ لَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَدِيثًا لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مِرَارٍ وَلَكِنْ قَدْ سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ: «كَانَ الْكِفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبٍ عَمِلَهُ فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتِّينَ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَأَهَا فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ فَقَالَ مَا يُبْكِيكِ أَكْرَهْتُكِ قَالَتْ لَا وَلَكِنْ هَذَا عَمَلٌ لَمْ أَعْمَلْهُ قَطُّ وَإِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ الْحَاجَةُ قَالَ فَتَفْعَلِينَ هَذَا وَلَمْ تَفْعَلِيهِ قَطُّ قَالَ ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ اذْهَبِي فَالدَّنَانِيرُ لَكِ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَا يَعْصِي اللَّهَ الْكِفْلُ أَبَدًا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأَصْبَحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ قَدْ غَفَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلْكِفْلِ».[٢]

تَوْبَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْلَمَةَ الْقَعْنَبِيِّ:

كان عبد الله بن مسلمة القعنبي شاباً كثير المجون كثير الشراب، وله قومٌ من الأحداث المردان، يجلس معهم، فدعاهم يوماً وقعد على الباب ينتظرهم فمر به شعبة بن الحجاج رحمه الله أحد أئمة الحديث فاستوقفه على حماره والناس خلفه يهرعون فقال من هذا ؟ فقيل شعبة فقال وأيش شعبة ؟ قالوا محدث فقام إليه عليه أزار أحمر فقال له حدثني فقال له ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك فأشهر سكينه وقال له حدثني أو أجرحك، فقال له شعبة: حدثني مَنْصُورٌ عَنْ رِبْعِيَّ عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».[٣]

فرمي القعنبي سكينه ورجع إلى منزله، فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فأراقه، وقال لأمه: الساعة أصحابي يجيئون فأدخليهم وقدمي الطعام إليهم، فإذا أكلوا فأخبريهم بما عملت بالشراب حتى ينصرفوا، ومضى من وقته إلى المدينة.[٤]

---

١ – رَوَاهُ سعيد بن منصور– كتاب الجهاد، باب كراهية إقامة الحدود في أرض العدو– حديث: ٢٣٢١، وَابن أبي شيبة– كتاب التأريخ، في أمر القادسية وجلولاء – حديث :٣٣٠٨٤ ، وعبد الرزاق– كتاب الأشربة ، باب من حد من أصحاب النبي ﷺ ، حديث: ١٦٤٩١

٢ – رواه أحمد حديث: ٤٦٠٨، والترمذي– أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب حديث: ٢٤٨٠، وأبو يعلى– حديث: ٥٥٩٣، وابن حبان – كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، حديث: ٣٨٨، والبيهقي في شعب الإيمان، حديث: ٦٨٢٨ بسند ضعيف

٣ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ– كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار ، حديث:٣٣١٤

٤ – معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي – ١ / ٦٢



.

ولازم مالك بن أنس ثلاثين سنة يسمع منه ويتعلم فأكثر السماع عنه حتى صار أثبت رواة الموطأ ، قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: القعنبي أحب إليك في " الموطأ " أو إسماعيل بن أبي أويس ؟ قال: بل القعنبي، لم أر أخشع منه ، ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة فما سمع من شعبة غير هذا الحديث.[1]

تَوْبَةُ الفُضَيْلِ بنِ عِيَاضٍ رحمه الله:

عن الفضل بن موسى: كان الفُضَيْلُ بنِ عِيَاضٍ شاطرًا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقى الجدران إليها، إذ سمع تاليًا يتلو: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}.[2]

فلما سمعها قال: بلى يا رب قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خربة، فإذا فيها سائل، فقال بعضهم: نرتحل، وقال بعضهم: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا، قال: ففكرت وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.[3]

تَوْبَةُ أَبِي العَتَاهِيَةِ رحمه الله:

قال أبو سلمة الغنوي: قلت لأَبِي العَتَاهِيَةِ: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد قال إذًا والله أخبرك إني لما قلت :

الله بـــــيني وبـــــين مـــــولاتي	*****	أهـــدت لي الصـــد والمـــلالات
منحتـــــها مهجـــــتي وخالصـــــتي	*****	فكـــان هجرانهـــا مكافـــاتي
هـــــيمني حبـــــها وصـــــيرني	*****	أحدوثـــة في جميـــع جـــاراتي

رأيت في المنام في تلك الليلة كان آتياً أتاني فقال: ما أصبت أحدًا تدخله بينك وبين عتبة، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى، فانتبهت مذعورًا وتبت إلى الله تعالى من ساعتي من قول الغزل.[4]

---

١ – سير أعلام النبلاء– ١٠ / ٢٥٩

٢ – سورة الحديد: الآية/ ١٦

٣ – تهذيب الكمال – ٢٣ / ٢٨٦، و تهذيب التهذيب– ٨ / ٢٦٥، وسير أعلام النبلاء – ٨ / ٤٢٣

٤ – تاريخ بغداد – ٦ / ٢٥٨



.

أثر ترك التوبة:

تارك التوبة ظالم لنفسه، لأنه منعها مما فطرها الله تعالى عليه من الرجوع له والإنابة إليه، وهو ظالم لها كذلك لأنه حملها على لذة عاجلة ربما حرمتها اللذة الدائمة في الدنيا، وأوجبت لها عذابًا دائمًا في الآخرة.

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.[1]

اللهم إنا نسألك التوفيق لتوبة نصوح تغفر لنا بها ما تقدم من ذنوبنا، وتستر بها ما بدا من عيوبنا، وترضى بها عنا، فإنك أكرم مسئول، وخير مأمول.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم.

---

١ – سورة الحجرات: الآية /١١



المُحتَويَات



.

